

العقيدة الطحاوية
شرح فضيلة الشيخ
فهد بن سليمان الفهيد
3OLAT.COM

المجلس: ١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

أما بعد،.

ففي بداية هذه الدروس العلمية في الدورة الثانية للدروس المخصصة في كتب العقيدة أشكر الله جل وعلا وأحمده وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعلها دروسًا نافعة بإذنه سبحانه وتعالى.

ثم أقدم بين يدي هذه الدروس وصايا لنفسي ولكم بتقوى الله جل وعلا، والإخلاص (فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)، فجاهدوا أنفسكم بإصلاح نياتكم ومقاصدكم لعل الله جل وعلا أن يجعل هذا العلم الذي تقرؤونه وتسمعونه علمًا نافعًا راسخًا، فإن العلم لا ينفع إلا إذا رسخ في القلب، فإذا رسخ في القلب نفع –بإذن الله– ولو قل.

ثم أوصي نفسي وإخواني بآداب العلم: آداب التعلم، وآداب الاستماع، وآداب السؤال، وآداب الإخوة فيما بينهم، فإن هذه بها يكمل العبد حسن خلقه، وبه يدرك درجة الصائم القائم كما صح في الأحاديث والأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في حسن الخلق.

ثم أيضًا أوصي إخواني بالجد والاجتهاد، والحفظ والمراجعة فيما بينهم في هذه الدروس والمتون، وقبلها في كتاب الله جل وعلا، ثم ما تيسر من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا بد من العزيمة الصادقة بالقلب، ولا بد من الجد والاجتهاد والمثابرة، وهذا يعني أن تُعرض عن القيل والقال، وعن الكلام الذي لا ينفع، وتشتغل بالكلام النافع والعلم النافع.

أيضًا عليك –يا أخي الكريم– بالصدق مع الله جل وعلا في الدعاء، تتضرع إليه والاضطراح بين يديه أن يهديك لصراطه المستقيم، وأن يرزقك لزوم منهج أصحاب نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، ومعرفة طريقتهم،

وعقيدتهم، وعباداتهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وغير ذلك مما هم عليه، فإذا عرفت ذلك فالزمه ولو قل، بهذا تنجو يوم القيامة وتكون سعيدًا في الدنيا والآخرة.

ثم أيضًا أوصيك بأدب وأؤكد على نفسي وإياك به وهو: التواضع لله جل وعلا، ثم التواضع لخلقه، وألا يرى الإنسان نفسه بين إخوانه، ويستعيذ بالله جل وعلا من الكبر، (فمن كان في قلبه مثقال ذرة من كبر لا يدخل الجنة) كما قال صلى الله عليه وسلم.

أسأل الله جل وعلا أن يجعل هذه اللقاءات نافعة، وأن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح.

*** المتن ***

قَالَ الْعَلاَّمَةُ حُجَّةَ الْإِسلَام أَبُو جَعْفَر الْوَرَّاقِ الْطَّحَاوِيّ بِمِصْرَ – رحمهُ الله-:

هَذا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيْدَةِ أَهْلِ الْسُّـــنَّةِ وَالجْمَاعَةِ عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ الْنُّعْمَانِ بنْ ثَابِت الْكُوفِي، وَأَبِي يُوسُف يَعْقُوب بِنْ إِبْرَاهِيم الأَنْصَاريّ، وَأَبِي عَبْدِ الله مُحْمَّد بنْ الْحَسَن الْشَّيبَانِي رُضْوَان الله عَلْيهِمْ أَجْمَعِين، وَمَا يَعْتَقْدُون مِنْ أُصُولِ الْدِّين وَيَدِينُون بِهِ رَبِّ الْعَالَمِين.

نقُولُ في تَوحيدِ الله مُعتَقدينَ بتوفيق الله: إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ.

١- وَلا شيءَ مثْلُهُ.

٢- وَلا شَيْءَ يُعْجزُهُ.

٣- وَلا إلهَ غَيْرُهُ.

٤- قَديمٌ بلا ابتدَاء، دَائمٌ بلا انْتهاء.

٥- لا يَفنَى ولا يَبيدُ.

٦- ولا يكونُ إلا ما يُريدُ.

٧- لا تَبلُغُه الأَوْهَام، ولا تُدْركُهُ الأفْهَامُ.

٨- وَلا يُشْبِهُ الأَنَامَ.

٩- حَيٌّ لا يَموتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ.

١٠- خَالِقٌ بِلا حَاجَة، رَازِقٌ بلا مُؤْنَة.

١١– مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ.

١٢– مَا زالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيماً قَبْلَ خَلْقِهِ، لم يَزدَدْ بِكَوْنِهِم شَيْئاً، لم يكنْ قَبلَهُم مِنْ صِفَتِهِ، وكما كانَ بصفاته أزَلِيًّا، كذلك لا يزالُ عَلَيْها أبديًّا.

١٣– ليسَ منذُ خَلَقَ الخلْقَ اسْتَفَادَ اسمَ "الخَالِقِ"، ولا بِإِحْدَاثِ البريَّةَ استفادَ اسمَ "الباري".

١٤– له معنى الرُّبُوبيَّةِ ولا مَرْبُوب، ومعنى الخالق ولا مخلُوقَ.

١٥– وكما أنَّه مُحْيِي المَوْتَى بَعْدَما أَحْيَا، استحقَّ هَذَا الاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهم، كذلِكَ استحقَّ اسْمَ الخَالِقِ قبلَ إنْشَائِهم.

١٦– ذلك بأنَّهُ على كلِّ شَيْءٍ قديرٌ، وكلُّ شَيءٍ إليهِ فقِيرٌ، وكلُّ أمْرٍ عَلَيْهِ يَسيرٌ. لا يحتاجُ إلى شَيْءٍ، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى:١١].

١٧– خَلَقَ الخَلْقَ بعِلْمِه.

١٨– وَقَدَّرَ لهمْ أَقْدَارًا.

١٩– وَضرَبَ لهم آجَالاً.

٢٠– ولم يَخْفَ عليهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُم. وعَلِمَ ما هُمْ عَامِلُونَ قَبلَ أنْ يَخْلُقَهُم.

٢١– وأَمَرَهُم بِطَاعَتِهِ، ونَهَاهُم عَنْ مَعْصِيتِهِ.

٢٢– وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ ومَشيئَتِهِ, ومَشيئتُهُ تَنْفُذُ، لا مَشيئَةَ للعبادِ إلا ما شاءَ لهم، فما شاءَ لهم كان، وما لم يَشأ لم يَكُن.

٢٣– يَهْدِي مَنْ يشاءُ، وَيَعْصِمُ ويُعَافِي فَضْلاً، ويُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَخْذُلُ ويَبْتلي عَدْلاً.

٢٤– وكُلُّهُم يتقلَّبُون في مَشيئتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ.

٢٥– وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الأضدادِ والأندَادِ.

٢٦– لا رَادَّ لقضَائِه، ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِه، ولا غالبَ لأمرِهِ.

٢٧– آمَنَّا بذلِك كُلِّهِ، وأَيْقَنَّا أنَّ كُلاًّ مِنْ عِنْدِهِ.

*** الشرح ****

قوله: (قَالَ الْعَلاَّمَةُ حُجَّةُ الْإِسْلَام أَبُو جَعْفَر الْوَرَّاقِ الطَّحَاوِيّ بِمِصْرَ – رحمهُ الله–): هذا هو العالِم المحدث الفقيه أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، والوراق ربما وُصف بذلك لأنه كان يشتغل

بنسخ الكتب، والطحاوي نسبة إلى بلدة في مصر، وكتب هذه العقيدة بمصر، وهذا العالم توفي -رحمه الله- سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة (٣٢١ هـ)، وهو فقيه ومحدث من علماء الشافعية ثم صار من علماء الأحناف، فدَرَس مذهب الشافعية ثم انتقل إلى مذهب الأحناف، ولكنه كان من المتبعين للدليل وينكر التعصب، وله في ذلك رسالة مطبوعة ومعروفة في الاتباع، وقد حصل انحراف في العقيدة في زمن أبي جعفر الطحاوي وهذا الانحراف قديم لكنه في عصره كان شديدًا، وبعده بيسير حدثت الدولة العبيدية التي تسمى زورًا بالفاطمية وهي دولة ظاهرها الرفض وباطنها الكفر المحض كما قال المؤرخون والعلماء، فحدثت الأقوال المنحرفة، وانتشرت العقائد الفاسدة، وقلت معرفة الناس بعقيدة الإسلام الصافية، وجاء هذا العالم ألف هذا الكتاب ليبين العقيدة التي عليها علماء مذهب أبي حنيفة -رحمه الله-، ومذهب أيضًا كبار تلامذته وكبار فقهاء المذهب كما سماهم: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصار، وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني ونحوهم، وهؤلاء من علماء أهل السنة لكنهم وقع لهم بعض الشيء في مخالفة السنة في مسألة الإيمان وقعوا في الإرجاء، ويقال لهم: مرجئة الفقهاء، والمؤلف الطحاوي وافقهم في هذا أيضًا وتابعهم، وسيأتي التنبيه على هذه المسألة.

وهذه العقيدة في جملتها موافقة لأصول أهل السنة والجماعة، ولكن ليست مرتبة الترتيب المناسب، ذكر مسائل متفرقة في القدر كررها في أكثر من موضع، وبعض المسائل كررها أكثر من مرة، فكأنه وضعها لعموم المسلمين، وجعلها بألفاظ يسيرة حتى يعرف المسلمون الأصول العقدية.

الكتاب عند العلماء يعتبرونه من الكتب المعتمدة في العقيدة، لكنهم ينبهون على الهفوات اليسيرة التي وقع فيها المصنف -رحمه الله-، وهذا الكتاب ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مناظرته في الواسطية أنه احتج به على المعطلة وعلى المخالفين في باب الأسماء والصفات، وذكره من جملة الكتب التي أحضرها في الجواب عن الشبه التي أدلى بها النفاة، ومناظرة الواسطية مطبوعة ومعروفة وموجودة في مجموع الفتاوى في المجلد الثالث بعد العقيدة الواسطية مباشرة، والذي قرأ العقيدة الواسطية وضبطها وفهمها يستفيد من قراءة المناظرة، أما الذي لم يقرأ العقيدة الواسطية ولم يدرسها على المشايخ فإنه ربما لا يتحقق له الفائدة الكبيرة إلا إذا درس المتن أولًا، فذكر ابن تيمية -رحمه الله- أنه أحضر لهم هذه العقيدة الطحاوية وأنها مرتضاة عند الحنفية؛ لأنه ذكر لهم أنه يأتيهم بأقوال الأئمة وأتباع الأئمة الأربعة، من كل المذاهب في الرد على النفاة، وهذه الطريقة مفيدة، وقد ذكرها أيضًا ابن القيم في (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية)،



وغيرهم من أهل العلم يأتون بهذا كثيرًا، والمقصود أن الطحاوي عقيدته مشهورة ومرتضاة عند أتباع الأئمة، وينبهون على ما فيها من تلكم الهفوات.

والعقيدة الطحاوية لها شروح قديمة كثيرة، ذكروا في مقدمة التحقيق الذي طُبع في شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز -رحمه الله- أن لها سبعة شروح، والسبعة المشار إليهم على الطريقة البدعية، طريقة الماتردية، والماتردية مثل الأشاعرة كلهم تبعوا عبد الله بن كُلاب على انحرافات في باب الأسماء والصفات، وإن كان هو من جملة المثبتين للصفات لكن عنده أخطاء كثيرة في هذا الباب، وأخطاؤه دون أخطاء المعتزلة بلا شك، فمن تبعهم مجموعة؛ كالحارث المحاسبي، والقلانسي، وجماعة، ثم بعدهم جاء أبو الحسن الأشعري تلقى عنهم هذا، وبعدما تاب من اعتزاله صار على طريقتهم، ثم بعدهم جاء أبو منصور الماتريدي وألف كتبًا تأثر فيها بطريقة ابن كُلاب، والماتريدي هذا تأثر به كثير من الأحناف المتأخرين، وبعض المعاصرين أيضًا شرحوا هذه العقيدة على طريقة أهل البدع، وقد تجد في المكتبات شرح الطحاوية فانتبه! فاسلم شرح وأفضل شرح هو شرح ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- مطبوع ومتداول، ومن العلماء المعاصرين الراسخين في العلم: شُرحت هذه العقيدة وعُلق عليها منها: تعليق الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- مطبوع ومتداول، كذلك الشيخ محمد بن مانع -رحمه الله-، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- له تعليق يسير عليها، وكذلك الشيخ صالح آل الشيخ له شرح طيب ومفيد وكبير لكنه فُرِّغ من أشرطه ولم يراجعه الشيخ فيما يظهر، وكذلك شرح للشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- شرح مختصر ومفيد، وهناك سمعية كثيرة لعدد من المشايخ والفضلاء، والمقصود أن الإنسان يحذر من شروح أهل البدع والأهواء وتعليقاتهم وكتبهم، فعليك أن تسأل أهل العلم قبل أن تعتمد شرحًا حتى تتوثق، وهناك شرح مختصر يسير يصلح للطلاب المبتدئين والمتوسطين أيضًا في المدارس الابتدائية والثانوية والمتوسطة للشيخ محمد الخميس -حفظه الله- واسمه (التعليق الميسر على الطحاوية)، هذه إشارة لشروح هذا الكتاب.

وذكر بعض المشايخ أنهم يقولون في عقيدة الطحاوي لما قال: هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة. قال: هذه عقيدة الطحاوي. لأن نسبة كل ما فيها لأهل السنة والجماعة مع وجود هذه الهفوات فيه نظر.

والشرح سيكون مختصرًا وإذا احتجنا التوسع توسعنا.

قوله: (هَذا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيْدَةِ أَهْلِ الْسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ الْنُّعْمَانِ بْنِ ثَابِت الْكُوفِي، وَأَبِي يُوسُف يَعْقُوب بْنِ إِبْرَاهِيم الأَنْصَارِيّ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بْنِ الْحَسَن الْشَّيبَانِي

رُضْوَان الله عَلَيهِمْ أَجْمَعِين، وَمَا يَعْتَقْدُون مِنْ أُصُولِ الْدِّين وَيَدِينُون بِهِ رَبّ الْعَالَمِين): المسلم عند اختلاف الأهواء، وانتشار الباطل يبحث عن عقيدة السلف الصالح؛ لأن الله جل وعلا قال في كتابه: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠]، فقوله: {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ}: هذا ثناء من الله عليهم، فمن كان على هذا فإنه يقتدى به، ومن هنا صار في الدين أئمة يُقتدى بهم؛ لأنهم من أهل الاتباع الصادق لكتاب الله، ولسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وللسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار –رضي الله عنهم-، ومن هنا نوه المصنف بهذا، فذكر أبا حنيفة وأبا يوسف ومحمد الشيباني –رحمهم الله-، وهؤلاء من علماء أهل السنة، ولكن وقع لهم بعض الشيء في مسألة الإيمان ويقال لهم: مرجئة الفقهاء، وسنشرح هذه المسألة في موضعها من الكتاب.

قوله: (بَيَانِ عَقِيْدَةِ أَهْلِ الْسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ): المسلمون يحتاجون إلى من يُبين لهم العقيدة؛ لأن الكتب لا تتكلم، فطالب العلم والعالم يبين للمسلمين العقيدة الصحيحة.

تعريف العقيدة: هي ما يعتقده العبد ويدين به، أي ما يعقد القلب عليه، يعقد مثل عقدة الحبل يعني أنه متوثق متأكد مطمئن متيقن، لا يدخله في ذلك شك ولا ريب، والألفاظ الرديفة لكلمة العقيدة مثل: التوحيد، الإيمان، الشريعة، السنة، الفقه الأكبر، هذه الأسماء تطلق ويراد بها معنى واحد. فتطلق العقيدة على التوحيد؛ لأن أعظم مسائلها توحيد الله جل وعلا. والإيمان؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الإيمان؟ فقال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره). والسنة أي الطريقة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم، والسنة لها إطلاقات متعددة فإذا قيل: السنة في باب الاعتقاد فتكون طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليها وكان عليها أصحابه. والفقه الأكبر؛ لأن الفقه هو الفهم عن الله جل وعلا، فالفقه يطلق على المسائل الشرعية مثل الطهارة والصلاة والزكاة، ويطلق الفقه الأكبر على ما يؤمن المؤمن ويعتقده في ربه جل وعلا وفي رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي مسائل الدين والإيمان، كذلك الدين، قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أتاكم يعلمكم أمر دينكم)، وربما هناك بعض الإطلاقات الأخرى، وهناك بعض الزائغين من المعاصرين رجل أعمى الله بصيرته أخذ يتكلم في عقيدة أهل السنة والجماعة ويقول: أيش كلمة عقيدة، هذه لم تكن معروفة عند السلف، وهذه كلمة عصرية. وأخذ يتكلم بالباطل وأحسن من رد عليه ردًا مكتوبًا محررًا الشيخ عبد المحسن عباد –حفظه الله- في كتابه الطيب المفيد (الانتصار لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخيار ورد أباطيل حسن المالكي)، فمن أباطيله

هذه المسألة، وذكر —حفظه الله– في رده أن السلف كانوا يستخدمون هذا المصطلح وليس عصريًا، وأورد من النقول عن الأئمة المتقدمين استخدامهم لكلمة العقيدة والاعتقاد، بل ذكر حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم صحيحًا فيه إثبات هذه الكلمة، ولا شك أن أهل البدع يشغبون، فيجب على طلبة العلم أن يحذروا من شبهاتهم، وألا يصغوا لهم، فإن الإنسان إذا صار يصغي لأهل الباطل والبدع تضرر كثيرًا، والله عز وجل نهى عن ذلك فقال سبحانه: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} [الأنعام: ٦٨].

قوله: (أَهْلِ الْسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ): أهل بمعنى آل وهما واحد، والسنة الطريقة التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم، وسموا أهل جماعة؛ لأنهم مجتمعون على الحق، ومجتمعون على الكتاب والسنة، ولأنهم لا يخرجون عن الجماعة، لا الخروج العلمي، ولا الخروج العملي، فالخروج العلمي هو ما عليه أهل البدع كلهم، والخروج العملي ما عليه الخوارج والمعتزلة.

قوله: (عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ): الملة الإسلامية ويقصد بهم مذهب الإمام أبي حنيفة —رحمه الله–

.

قوله: (نقولُ في تَوحيدِ الله مُعتَقدينَ بتوفيقِ الله: إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ): بعض النسخ مكتوب فيها (أنَّ) وهذا خطأ مطبعي، والصواب: (إنَّ)؛ لأن أي جملة تقع في مقول القول ومبتدأة بـ إن لا بد أن تكسر الهمزة، وتوحيد الله جل وعلا أرسل الله جل وعلا به الرسل، وأنزل به الكتب، قال الله جل وعلا: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]، قال ابن عباس: ليوحدوه. وقال سبحانه وتعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ: (إنك تأتي قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعهم إليه إلى أن يوحدوا الله)، وفي رواية: (شهادة أن لا إله إلا الله)، فجعل الشهادة هي التوحيد.

توحيد الله معناه: جعله واحدًا؛ لأن وحد يوحد توحيدًا جعل الشيء واحدًا، وجعل بمعنى اعتقد، مثل ما قال الله عز وجل: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} [الزخرف: ١٩]: اعتقدوا، فتوحيد الله إفراده سبحانه وتعالى فيما يستحق في الربوبية والألوهية وفي الأسماء والصفات.

قوله: (بتوفيق الله): تثبيت من الله؛ لأن هذا كله فضل من الله سبحانه وتعالى على العبد، الهداية إلى طريقة السلف ومنهاجهم، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر هذا المعنى في الجوامع الكبار: (من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له)، فالموفق هو الله سبحانه وتعالى.

قوله: (إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ): الله سبحانه وتعالى من أسمائه الواحد {وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: ١٦]، وواحد بمعنى أحد، وفي سورة الإخلاص: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ١- ٤]، فهو سبحانه أحد وهو واحد في ألوهيته فلا يستحق العبادة غيره، ولا يوجد شيء من الألوهية في غيره، وهو أحد وواحد في ربوبيته فهو الخالق الرازق المدبر المتصرف المالك، وهو واحد سبحانه وأحد في أسمائه وصفاته فلا مثيل له ولا ند ولا نظير له، هذا معنى واحد لا شريك له؛ لأن أهل الكلام إذا جاءوا في هذا المقام على اختلاف مذاهبهم سواء كانوا ماتريدية أم أشعرية أم معتزلة أم غيرهم إذا جاءوا لهذا الموضع قالوا: واحد في ذاته لا قسيم له، وأحد في صفاته، وأحد في أفعاله. فيذكرون توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال وتجتمع هذه في أنهم يجعلون لا إله غيره يعني لا رب وخالق غيره، فيذكرون هذا ويجعلونه هو معنى هذه الجملة، مع أن هذه الجملة مما وردت في الكتاب والسنة وتفسيرها لا يكون بالرجوع إلى أهل الكلام، وإنما ترجع إلى كلام الصحابة –رضي الله عنه–، تجمع شتاته، تجمع ما تفرق منه وتعرف المعنى الصحيح، فمعنى واحد ومعنى أحد ونحو ذلك بالرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة فيظهر لك المعنى الصحيح، وعندما تنظر في كتاب الله جل وعلا وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم –وقد نظر العلماء في ذلك وبينوا ذلك– يتبين أن التوحيد في ثلاثة أمور: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

ومن أهل العلم من جعل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات شيئًا واحدًا، فيقولون: توحيد القصد والطلب، وتوحيد المعرفة والإثبات. وهذا شيء واضح؛ لأن إيمانك بأن الله سبحانه وتعالى رب العالمين، وخالقهم، ورازقهم، هذا يتعلق بصفاته وأفعاله، وإيمانك بأن له الأسماء الحسنى والصفات العلا كذلك يتعلق بأسمائه وصفاته وأفعاله، فصار هذا متعلقًا بتوحيد العلم والمعرفة والإثبات، فلا تجعل له شريكًا في الخلق ولا شريكًا في الرزق ولا شريكًا في الأسماء والصفات، والقسم الثاني: توحيد القصد والطلب، هو توحيد الألوهية، قصدك أنت هو الأعمال القلبية، والطلب: الأعمال بالجوارح والقلب أيضًا، هذه الأمور تخصها بالله سبحانه وتعالى.

ومن أهل العلم من يزيد: توحيد الاتباع للرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا ليس مأخوذًا من كلمة: لا إله إلا الله، وإن كان داخلًا فيها؛ لكن تعلقها بـ أشهد أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهادة أن لا إله إلا الله لا تتم إلا بشهادة أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا أمر سائغ إذا قيل توحيد المتابعة، قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: ٣١].

وننبه: أنك عندما تقول: واحد في ذاته لا قسيم له. هذا ناقص؛ لأن هذا مرادهم الرد على النصارى الذين يجعلون الله ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، فهذا الرد طيب على النصارى لكنه لا يكفي؛ لأنه قصر التوحيد على جزء واحد وهو أنه سبحانه غير متعدد وأنه واحد وهذا نقص؛ لأن من معاني كلمة الواحد أن نفرده بالعبادة.

فَلِواحدٍ كن واحدًا في واحد ... أعني طريق الحق والإيمان

فلا بد أن نخصه بالعبادة جل وعلا، فهذا من معاني الواحد، فلا تجعل له شريكًا في العبادة والدعاء والطلب والسجود والذبح والنذر، فهو واحد جل وعلا يُخص بالعبادة، يُوَّحد، يُطلب منه الأمور، وهذا معنى {اللَّهُ الصَّمَدُ} [الإخلاص: ٢]: أن تصمد إليه الخلائق، كل ما نزلت بك حاجة فالجأ إليه، وتوكل عليه، وثق به، وادعه، وارجه، وخف منه، وأحبه، توحده في جميع أعمال القلوب وأعمال الجوارح.

قوله: (لا شريكَ لَهُ): هذا تأكيد للجملة الأولى واحد، وفيها بيان ضد التوحيد وهو الشرك، والشرك نوعان: أكبر، وأصغر، وبعضهم يقول: جلي وخفي. والخفي قد يكون أكبر وقد يكون أصغر، والشرك هو: صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨، ١١٦]، وقال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢]، ولهذا نقول: إن الله واحد لا شريك له، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فالشريك منفي عن الله سبحانه وتعالى، سواء قيل: الشريك في الخلق والإيجاد، أو قيل: الشريك في الأسماء والصفات، أو قيل: الشريك في العبادة والدعاء والخوف والرجاء، فإذا جعل لله شريكًا في العبادة فقد أشرك بالله، والله جل وعلا سمى ذلك شركًا، فالذي يقول: إن لله شريكًا في الخلق. فهذا واضح عند جميع المسلمين أنه جعل لله شريكًا وهذا كفر، لكن الذي يقول: يا حسين المدد المدد، أو يا رسو الله المدد المدد أغثني. وهذا كثير عند بعض المشركين ممن ينتسب للإسلام في هذه الأمة، وهذا جعل لله شريكًا وأشرك بالله بنص القرآن قال تعالى: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا

يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: ١٣- ١٤]، والشرك هذا كانوا يدعونهم، وينادونهم، ويطلبون منهم الأشياء، {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} القطمير القشرة التي على النواة، والآيات في هذا كثيرة، سواء في طلب الشفاعة، أو طلب الدعاء، أو طلب الجنة، أو طلب المغفرة، أو طلب المدد، فكل هذا يُطلب من الله سبحانه وتعالى.

قوله: (وَلا شيءَ مثْلُهُ): قال الله سبحانه وتعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]، وقال تعالى: {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [النحل:٧٤]، وقال تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤]، وقال تعالى: {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢٢]، والآيات في هذا الباب كثيرة، ومنها آية في سورة مريم جمعت أنواع التوحيد الثلاث: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهي قوله جل وعلا: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥]، فقوله: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا}: هذا توحيد الربوبية، {فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ}: هذا توحيد الألوهية، {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}: هذا توحيد الأسماء والصفات، وهذا استفهام بمعنى النفي يعني ليس له سمي، والاستفهام إذا كان بمعنى النفي يكون للتحدي، يعني نتحداكم أن تذكروا له سميًا، وقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١]، الكاف هنا قيل: بمعنى المثل يعني ليس مثله مثله مبالغة في نفي المثل، وقيل: الكاف صلة فذكرها للتأكيد في نفي المثل عن الله سبحانه وتعالى.

المسألة الثانية: قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]، في الآية رد على الممثلة وفيها رد على المعطلة، الممثلة الذين مثلوا الله بخلقه، قالوا: الخالق مثل المخلوق. هؤلاء كفار؛ لأنهم كذبوا قول الله جل وعلا. وفي مقابلهم النفاة المعطلة الذين قالوا: لا نصف الله جل وعلا بأنه سميع ولا بصير ولا نصف الله بأنه يسمع ولا يبصر. وكذلك بقية الأسماء والصفات، هؤلاء يقال لهم: المعطلة، فرد الله عليهم فقال: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، ففي الآية دليل على أنه يجب إثبات الأسماء والصفات لكن يجب نفي المماثلة، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل.

المسألة الثالثة: هذه الآية فيها الرد على المشركين؛ عباد الأضرحة، عباد الأولياء، عباد الأنبياء، عباد غير الله، وهذا هو المقصود الأساس، فعابد الأضرحة عندما ينادي: يا فلان، يا فلان. يستغيث بالميت، أو ينادي ملك من الملائكة، أو ينادي الشمس والقمر مثل الصابئة، أو يعبد الأصنام، أو غير ذلك من المشركين، ماذا يتخيل هذا المشرك الجاهل؟ يتصور أن هذا يعلم الغيب، أو ربما يتصور أن هذا يقدر على

بعض الأمور، أو يتصور أن هذا بيده بعض التصرف، ولهذا تجد الخرافيين والصوفية الخارجين عن الشريعة دائمًا يبالغون في باب الكرامات؛ حتى يعطوا بعض الأسماء الهيلمان لهؤلاء، فيعطوهم أنهم يفعلون، ويرزقون، ويأتون بكذا وكذا، وفقط أحسن الظن بهذا الولي وانظر ماذا يحصل لك، وهذا كله كذب في كذب حتى يعلقون بهؤلاء، حتى قالوا: لا تدخل ذرة في مصر ولا تخرج إلا بإذن البدوي. فانظر الغلو؟! فهذا كله من الغلو والخروج عن الشريعة، فأعطوا هؤلاء بعض صفات الخالق، فرد الله عليهم: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]، فأنت أيها العابد هذا الذي صرفت العبادة له من المخلوقين ليس مثل الله، فيقول: نعم. ولا أحد يقول: إن هذا مثل الله. حتى غلاة المشركين لا يقولون هذا، ويعبدون الله، والله ليس كمثله شيء، فأنت جعلت هذا الولي يعلم الغيب والله هو الذي يعلم الغيب، فكيف تقول: إن هذا الولي يعلم الغيب؟! أنت جعلته يخلق ويرزق ويدبر، والله ليس كمثله شيء، ففي هذه الآية الرد على المشركين، فتنبه لهذه الفائدة الجليلة المهمة؛ لأن كثيرًا ممن يقرأ الآية ربما يخطر في باله الرد على المعطلة والممثلة وهذا حق لا شك، ولكن فيها أعظم من ذلك وهو الرد على من عبد غير الله، أو صرف العبادة لغير الله.

قوله: (وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ): قال الله سبحانه وتعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر: ٤٤]، وقال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: ٢٥٥]: يعني لا يعجزه ولا يثقله، فالعجز من صفات النقص التي يجب أن تُنفى عن الله سبحانه وتعالى، والعجز يكون لسببين: إما انتفاء القدرة، وإما انتفاء العلم، والله جل وعلا هو العليم القدير، ولهذا ربنا جل وعلا لما ذكر لنا خلق السموات والأرض وأنها سبع سموات قال: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: ١٢]، فالقدرة والعلم له سبحانه وتعالى.

المسألة الثانية: نفي العجز عن الله سبحانه وتعالى هنا لثبوت كمال قدرته وعلمه، قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر: ٤٤]، وهنا قاعدة معروفة عند علماء أهل السنة يقولون: النفي الوارد في كتاب الله جل وعلا في باب أسماء الله وصفاته يكون لإثبات كمال ضده. {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ} [البقرة: ٢٥٥]، لكمال حياته وقيومته، {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩]، لكمال عدله، {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق: ٣٨]، لغوب يعني تعب؛ لكمال قوته وقدرته، وهكذا فهو باب واسع.

المسألة الثالثة: إذا قرأت القرآن وكذلك أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تجد أن باب الإثبات أوسع وأكثر من باب النفي.

مثال ذلك: آية الكرسي: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: ٢٥٥]: هذه فيها إلهية من سوى الله، {الْحَيُّ الْقَيُّومُ}: إثبات، {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}: هذا نفي، {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}: هذا إثبات، {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ}: هذا نفي الشفيع، {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ}: هذا إثبات العلم، {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}: هذا إثبات، {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}: هذا إثبات، {وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا}: هذا نفي، {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}: إثبات، عشر جمل الإثبات أكثر من النفي، وتختم الآيات كثيرًا بأسماء الله وصفاته {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة: ١٢٠، وغيرها]، {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]، {وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم: ٣٧، وغيرها]، هذا إثبات، قال العلماء: لأن الإثبات فيه المدح والثناء، والنفي فيه توهم النقص، وبيان كمال الرب سبحانه وتعالى. وهذه طريقة القرآن والسنة.

وأما من انحرف من علماء أهل الكلام فإنهم يكثرون النفي ويجعلونه أكثر من الإثبات، فتجدهم مثلًا يذكرون بعض النقائص ويكثرون منها ويذكرون أفرادها، وتفاصيلها، وهذا مخالف لطريقة القرآن والسنة.

المسألة الرابعة: أن طريقة القرآن كما ذكر العلماء هي التفصيل في الإثبات أكثر منه إجمالًا، والإجمال في النفي أكثر منه تفصيلًا، يعني إثبات الصفات ونفي النقائص عن الله موجود في كتاب الله هذا وهذا، التفصيل في الإثبات مثل: السميع البصير، العزيز الحكيم، الرحمن الرحيم، تُذكر صفات الله وأسمائه بالتفصيل، وهناك إجمال في باب الإثبات؛ كقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} [النحل: ٦٠]، {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الأعراف: ١٨٠]، ونحو ذلك فهذا يسمى إجمالًا، لكن التفصيل أكثر من الإجمال في باب الإثبات، وفي باب النفي الإجمال أكثر من التفصيل؛ كقوله تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤]، هذا إجمال، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١] هذا إجمال، ونحو ذلك، وقد يوجد تفصيل في النفي لكنه قليل مثل: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: ٢٥٥]، {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق: ٣٨]، ونحو ذلك، هذه كلها لطائف من لطائف العلم أحبب إيرادها.



قوله: (وَلا إلهَ غَيْرُهُ): قال الله سبحانه وتعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [الأعراف: ٦٥]، وكل رسول يقول هذا لقومه كما في سورة الأعراف وفي سورة هود، تقول الرسل لأقوامهم: {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: ٥٩، هود: ٥٠، وغيرها]، لم يقل: اعرفوا، بل اعبدوا؛ لأن المقصود عبادته سبحانه وتعالى فليس فقط معرفته، فمعرفته من لوازم العبادة، لكن لا تكفي المعرفة ونلغي العبادة أو نجعلها لغيره أو نشرك فيها، ومعنى لا إله غيره هو معنى لا إله إلا الله، هذه كلمة التوحيد، مفتاح الجنة، مفتاح الإسلام، أصل الدين، أول ما يدخل به العبد الدين وعليها تصح الأعمال، قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: ١٩]، ومعنى لا إله إلا الله أي: لا معبود بحق إلا الله؛ لأن الإله بمعنى المعبود، إله: همزة مكسورة، ثم لام ثم ألف لا تكتب لكن تنطق ثم حرف الهاء، هذه أربع أحرف، إله على وزن فعال بمعنى مفعول مألوه يعني معبود، فالإلهية والألوهية بمعنى واحد وهي العبادة، هذا هو القول المشهور عند أهل العلم، ومنهم من يقول: من أله يأله بمعنى يتحير. لكن الصحيح الأول أُلِه بمعنى عُبِد فالإله هو المعبود.

واعراب (لا إله إلا الله): لا: نافية للجنس، وإله: اسم لا مبني على الفتح في محل نصب، يقول علماء اللغة: خبرها محذوف وجوبًا. دائمًا النحويين على خط واحد يقولون: تقديره موجود. وهنا في هذا الموضع غلط، لكن لو قلت: لا رجل في الدار. لا نافية للجنس، ورجل اسم لا مبني على الفتح في محل نصب، في الدار جار ومجرور متعلق بالخبر وهو موجود أو كائن أو مستقر، هذا في كلام الناس، لكن في الأمور الشرعية نردها إلى الكتاب والسنة ولا نردها لعلماء النحو المتأخرين، مع الشكر لهم على جهدهم، لكن في باب الألفاظ الشرعية والمصطلحات الشرعية نردها إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} [الأنبياء: ٦٢]، فالتقرير يكون هو الحق، فـ إله: اسم لا مبني على الفتح في محل نصب خبرها محذوف وجوبًا تقديره حق أو بحق، إلا: أداة استثناء، الله: لفظ الجلالة هذا مستثنى وهو مرفوع؛ لأنه بدل من الخبر، والبدل يأخذ حكم المبدل منه، وهذه الصيغة تسمى صيغة حصر وقصر، يعني نحصر الألوهية الحقة في الله جل وعلا، وننفيها عما سواه، أحسن من قولنا: استثناء مفرغ من الألفاظ البلاغية، ولهذا يقال: ركنا التوحيد النفي والإثبات، نفي الألوهية عما سوى الله، وإثباتها لله. هذا من جهة الإعراب.

ومن جهة المعنى: لا معبود بحق إلا الله، فلا بد أن نأتي بهذه الجملة؛ لا معبود؛ لأننا قلنا: إن الإله بمعنى المعبود، حق هذا خبر، إلا الله، فصارت هذه الكلمة تعطينا معنى عظيم جدًا وهو: أن أي مخلوق مهما

كان ليس له حق في أن نعبده، مهما بلغ من المنزلة والولاية والكرامة والفضل عند الله جل وعلا فلا يستحق شيئًا من العبادة، فالذي يستحق العبادة وحده هو الله، فصارت هذه الكلمة تبطل استحقاق الألوهية عن غير الله، ولهذا رفضها المشركون؛ لأنهم عرفوا معناها، قال تعالى: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص: ٥]، قالوا: إذا قلنا: لا إله إلا الله، فالآلهة غير الله لا يستحقون العبادة، ولا يستحقون أن ندعوهم، ولا أن نرجوهم، ولا أن نذبح لهم، وتصير أعمالنا باطلة وكفر ونقض لمحبتنا لله، ونقض لمعرفتنا بالله وإشراكنا مع الله غيره. فرفضوا أن يقولوها، فعرفوا أن هذا معنى لا إله إلا الله، فمعناها: إفراد الله جل وعلا بالعبادة وأنه هو المستحق لها، وأن عبادة غيره عبادة باطلة كفرية ضالة، وأن أصحابها الذين عبدوا غير الله لم يؤمنوا بالله ولم يوحدوا الله وأنهم صرفوا العبادة لغيره وأنهم أشركوا معه غيره، وهذا المعنى الصحيح لـ لا إله إلا الله.

وهناك تعريفات خاطئة لـ لا إله إلا الله، يجب أن نفهم أنها خاطئة، ونذكر ثلاثة أنواع:

النوع الأول: من الناس من يقول: معنى لا إله إلا الله أي لا خالق إلا الله. أو لا قادر على الاختراع إلا الله، يعني الإيجاد من عدمه، وأيضًا يقولون: الإله هو الغني عما سواه ومفتقر إليه من عداه. وهذا مذكور في شروح الجوهرة وغيرها عند الأشاعرة، يذكرون هذين المعنيين في الإله، وعند التأمل يظهر جليًا أن القدرة على الاختراع وأن الغنى الذي هو من أوصاف ربنا جل وعلا، هذا من توحيد الربوبية، وهذا أقر به المشركون، قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف: ٨٧]، فصار الآن تعريف المتأخرين هؤلاء لكلمة التوحيد بهذه الكلمات معناها أنهم ما جاءوا بجديد ولا أعطوا كلمة التوحيد حقها من المعنى، فالذي أقر به المشركون تأتون به الآن؟! هذا غاية ما عندكم! ولهذا جعلوا الغاية من التوحيد توحيد الربوبية، ونبه الشارح ابن أبي العز –رحمه الله– تنبيهات جيدة في هذا المقام، نقلها من شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، قال: الغاية عند كثير من المتكلمين والمتصوفة ونحوهم هو تحقيق توحيد الربوبية. فهذا الشيء حق ولا يُنكر لكنه أقر به كفار مكة، فهل هناك شيء آخر؟ نعم، توحيد الألوهية هو الذي حصلت بسببه الخصومة والعداوة بين الرسل وبين أعدائهم، فتوحيد الألوهية هو الغاية وهو إفراد الله بالعبادة، فإذا قلت: معنى لا إله إلا الله: لا خالق إلا الله. أتيت بتوحيد الربوبية وهذا لا يكفي ناقص، والتعريف غلط، مثل أن تقول لشخص: ما الصلاة؟ قال: الصلاة أن تقول: سبحان ربي الأعلى. وهذا جزء من السجود، فالصلاة هي: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، فإذا ذكر الجزء يكون غلطًا.

النوع الثاني: يقولون معناها: لا إله موجود إلا الله. وهنا ليس المراد نفي وجود الآلهة الأخرى، الله سماها آلهة، قال تعالى: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا

زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} [هود: ١٠١]، هُبل، اللات، العزى، هذه آلهة لكن آلهة باطلة لا تغني شيئًا {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} [النجم: ٢٣]، لكنها لما عُبدت صارت آلهة عبدها هؤلاء الكفار والجهال والمشركون من دون الله فسميت آلهة، فأنت إذا قلت: لا إله موجود. والآلهة هذه موجودة، فقل: لا إله حق إلا الله. فتبين للناس بطلانها.

النوع الثالث: من يقول: معنى لا إله إلا الله: لا حاكمية إلا لله. وهذا غلط أيضًا؛ لأن الحاكمية هذه واجب أن تكون لله سبحانه وتعالى نتحاكم إلى شرعه، والتحاكم إلى غير شرعه علامة النفاق والزيغ عن الدين، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء: ٦٠]، وفي آخر الآيات قال: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]، وكذلك الحكم لله سبحانه وتعالى {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} [الأنعام: ٥٧، وغيرها]، فالحكم لله، والتحاكم يجب أن يكون إلى شرعه، فهذا من أمور العقيدة ومن أمور الإسلام التي لا مساومة فيها، لكن ليس معنى هذه الكلمة العظيمة هذا الجزء، فهذا جزء من توحيد الألوهية وقيل: جزء من توحيد الربوبية، من جهة الحكم لله من تدبير شؤون العالم وإنزال الشرائع، ومن جهة أفعال العباد الذي هو التحاكم فهذا توحيد الألوهية، فعليه أن يتحاكم إلى شرع الله، ولكن من أخل بهذا الواجب ففيه تفصيل عند العلماء، يفصلون في مسألة الحكم بغير ما أنزل الله، وهذا التفصيل سيرد في موضعه في هذه الرسالة.

فهذه أغلاط يجب أن نتجنبها؛ لأن بعض المفكرين –كما يسمونهم- المعاصرين صاروا يقولون هذه الجملة: لا حاكمية إلا لله هو معنى لا إله إلا الله. فإذا قرأت هذا الكلام اعرف أن هذا التعريف غلط، وهذا سببه غلوهم في هذا الباب.

قوله: (قَدِيمٌ بلا ابتدَاء، دَائمٌ بلا انْتهاء): الله جل وعلا من أسمائه الحسنى الأول والآخر، والتعبير بالأسماء الحسنى الواردة في الكتاب والسنة هو المتعين، أما قديم فلم يرد في الكتاب ولا في السنة تسمية الله عز وجل بذلك، لكن اشتهر عند المتكلمين استخدام هذه الكلمة في وصف الرب جل وعلا، وبعض علماء أهل السنة في مقام الرد عليهم ومناقشتهم ربما يأتون بهذه الكلمة؛ لأن مقام الرد يحتاج إلى استخدام بعض عبارات المردود عليهم، لكن في مقام التسمية وفي مقام ذكر أسماء الله الحسنى نبين أنه ليس من الأسماء الحسنى، كما أن هناك بعض المحاذير الأخرى، وهناك حديث إذا دخل المسجد قال: (أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم)، هذا الحديث وصف لسلطان الله بأنه قديم، والمراد هنا بالسلطان غير

الملكوت وأقرب من ذلك أنه الملك، وصف الله جل وعلا وصفته؛ لأن السؤال لا يكون إلا بصفة من صفات الله، فهو الملك والتدبير والتصرف والقدرة هذا يقال له: السلطان، فمعناه السؤال بصفات الله جل وعلا، فسلطانه القديم يعني صفاته وهو مُلكه وتصرفه في خلقه جل وعلا، وأن ذلك قبل وجودهم فليس القديم هنا اسم من أسماء الله الحسنى، وإنما بيان أن هذا الخلق قبله مُلك لله جل وعلا وتصرفه جل وعلا فيهم قبل وجودهم، وكذلك دائم يقال: الآخر، فهو سبحانه الأول والآخر، فهذا من المحظورات القديم، والدائم.

قوله: (لا يَفنَى ولا يَبيدُ): هذا نفس الشيء، نقول في باب النفي كما نقول في باب الإثبات، أننا نكون متمسكين بألفاظ الكتاب والسنة، والله سبحانه وتعالى قال: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

قوله: (ولا يكونُ إلا ما يُريدُ): الإرادة هنا بمعنى المشيئة، فمشيئة الله نافذة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، هذا معنى هذه الجملة.

قوله: (لا تَبلُغُه الأوْهَامُ، ولا تُدْرِكُهُ الأفْهَامُ): الأوهام جمع وهم، والأفهام جمع فهم، يعني إذا توهم المتوهم هل يمكن أن يدرك ويبلغ حقيقة صفات الله وكنهها؟ لا يمكن ذلك؛ لأن كيفياتها وحقيقتها وكنهها لا يعلمها إلا الله، أما معنى الاسم ومعنى الصفة يعلمه العباد، قال تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: ١١٠]، وقال تعالى: {لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٠٣]، وقال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣]، والذي يجعل وهمه وعقله هو المعين لصفات الله وحقيقتها فهذا قال على الله ما لا يعلم وهذا من أعظم المحرمات، كذلك لا تدركه أفهام البشر وعقولهم، ولهذا يقال: باب الأسماء والصفات باب توقيفي؛ لأن الاعتماد فيه على نصوص الكتاب والسنة، وإن كان هناك من الأسماء والصفات ما يُعلم بالعقل مثل: من نظر في خلق السموات والأرض يتبين له أن الله عليم، وأن الله قدير {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: ١٢]، فإن هناك من المخلوقات ما يدل على قدرة الخالق سبحانه وتعالى، وعلى حكمته وعلى إحكامه ونحو ذلك، فهذا يدل عليه العقل مع ما دل عليه الشرع لكن لا نعتمد على العقل وحده؛ لأنه مظنة الخطأ والغلط، فقول المصنف –رحمه الله– هو من باب ذكر عظمة الرب جل وعلا وأن الخلق يعجزون عن إدراك حقيقة وكيفية صفاته.

قوله: (وَلا يُشْبِهُ الأنَامَ): هذا معناه مثل ما تقدم {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]، والتعبير بالتشبيه بدل التمثيل هذا مشهور عند العلماء يتجوزون في هذا، يعبرون يقولون: نفي التشبيه

ونفي التمثيل، الله ليس له شبيه، الله ليس له مثيل. ولا بأس بذلك، لكن من أهل العلم من نبه إلى بدعة الجهم بن صفوان في قوله: هو شيء لا يشبه الأشياء. والجهم خبيث لما قال: لا يشبه الأشياء. ليس مراده ما عليه أهل العلم، ولكن أراد نفي حتى الاشتراك في الاسم المطلق؛ لأن الاشتراك في الأسماء المطلقة ليس معناها التمثيل ولا المشابهة، لكن هذا الخبيث أراد إدخال الشبهة من هذا الوجه، فصار المعطلة كلهم يشتركون معه ويقولون: نحن ننفي التشبيه. ويريدون بذلك أصل الصفات، حتى إثباتها ينفونها قالوا: حتى لا نكون مشبهين. والله عز وجل يقول: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان: ٢]، أنت عندك سمع وعندك بصر والله عز وجل هو السميع البصير لكن أهل السنة يقولون: الاشتراك في هذا الاسم ليس معناه المماثلة. ليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير، الله ليس كمثله شيء، فسمع الإنسان محدود وبصره محدود وهكذا بقية أموره وناقص وعاجز، وأما الخالق جل وعلا فله الكمال المطلق، فأراد هؤلاء الخبثاء أن يشبهوا على المسلمين ويلقوا في قلوبهم الشبهة ويقولون: إنك إذا قلت: إن الرب سميع. شبهت بالمخلوق السميع، إذن لا تقول: إن الله سميع، ولا تقول: إن الله بصير، ولا تقول: إن الله رحيم. وهكذا فنفوا الأسماء والصفات وهذا تعطيل كامل بدعوى نفي التشبيه، فهذا من التلبيس ولا يلتبس على أهل الإسلام باطل هؤلاء، ومثاله: إذا قلت: يد. فلا تستطيع أن تقول ما المراد باليد، لكن إذا قلت لك: يد النملة. فأنت رأيت النملة وتعرفها فتقول: أصغر من الشعرة مثلًا، يد الفيل كبيرة وكذا، يد الإنسان صفتها كذا، فالآن الاسم أو الصفة لما أضيفت تخصصت، فعرف الإنسان أن هذه اليد تناسب النملة، وتلك اليد تناسب الفيل، وتلك اليد تناسب الإنسان، فهل يد النملة مثل يد الفيل؟ ليس هناك عاقل يقول: إنهما متشابهان، وهكذا، فإذا أضيفت اليد إلى من {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]، انقطع الآن باب التصور، انقطع باب دخول العقل في هذا المقام، آمن وسلم وأمسك؛ لأن الله ليس كمثله شيء، فيتأدب مع الله، فيثبت ما أثبته الله، ويقطع دابر التكييف والتخيلات والشياطين ووساوسها، ويؤمن بأن الله ليس كمثله شيء.

قوله: (حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ): مثل ما تقدم والحي القيوم من أسماء الله الحسنى وقيل: إنهما الاسم الأعظم لله عز وجل، ورد في ثلاث مواضع: في آية الكرسي، وفي أول آل عمران، وفي سورة طه.

قوله: (خَالِقٌ بِلا حَاجَة، رَازِقٌ بلا مُؤْنَة): هذا من أوصاف ربنا جل وعلا، الله خلق الخلق وليس هو محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: ١٥]، ورازق بلا مؤنة أي ليس هناك كُلفة عليه عندما يرزق العباد فلا يتعبه ذلك ولا يثقله.

قوله: (مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ): الله هو المحيي المميت سبحانه وتعالى، وإذا مات العبد أو العباد أو من شاء من خلقه فإنه لا يخاف منهم، والله جل وعلا موصوف بالكمال المطلق، وباعث بلا مشقة أي يبعث الخلق للحساب يوم القيام بلا مشقة {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢] سبحانه وتعالى.

قوله: (مَا زالَ بِصِفَاتِهِ قَديماً قَبْلَ خَلْقِهِ، لَم يَزدَدْ بِكَوْنِهِم شَيْئًا، لَم يكنْ قَبلَهُم مِنْ صِفَتِهِ، وكما كانَ بصفاته أزَلِيًّا، كذلك لا يزالُ عَلَيْها أبديًّا. ليسَ منذُ خَلَقَ الخلْق اسْتَفَادَ اسمَ "الخَالِق"، ولا بِإِحْدَاثِ البريَّةَ استفادَ اسمَ "الباري". له معنى الرُّبُوبِيَّةِ ولا مَرْبُوب، ومعنى الخالق ولا مخلُوقَ. وكما أنَّه مُحيي الموْتَى بَعْدَمَا أَحْيَا، استحقَّ هَذَا الاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهم، كذلِكَ استحقَّ اسْمَ الخَالِق قَبْلَ إِنْشَائِهم. ذلك بأنَّهُ على كلِّ شَيْءٍ قديرٌ، وكلُّ شَيْءٍ إليهِ فَقِيرٌ، وكلُّ أمْرٍ عَلَيْهِ يَسيرٌ. لا يحتاجُ إلى شَيْءٍ، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى:١١]): هذه الجمل متعددة لكنها مرتبطة فيما بينها، ربنا جل وعلا متصف بصفات الكمال، لم يكن هناك وقت ربنا جل وعلا لم يكن متصفًا بصفات الكمال، لا، بل في كل وقت هو جل وعلا متصف بصفات الكمال، وهو سبحانه لم يستفد الكمال من خلقه بل هو معطي الكمال وهو منشئ الكمال، وهو الذي خلقهم وأعطاهم، قال: ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه. قديمًا يعني هو الأول سبحانه وتعالى، موصوفًا بصفاته، وهذا فيه الرد على من يقول: إن الله جل وعلا اتصف بصفات الخلق أو صفة الكلام بعد أن كان معطلًا عنها ولم يكن متصفًا بها. وهذا من أقوال أهل البدع، الكرامية يقولون مثلًا في صفة الكلام: إنه لم يكن يتكلم ثم تكلم. يعني أنه كان قبل غير موصوفًا بالكلام، وهذا كلام باطل، كذلك طوائف أخرى من أهل الضلال عندهم أغلاط في هذا المقام، وعلى كل حال فكلام المصنف في الجملة كلام طيب لكن عند التدقيق هناك بعض المؤاخذات اليسيرة.

قوله: (مَا زالَ بِصِفَاتِهِ قَديماً قَبْلَ خَلْقِهِ): ما زال بصفاته، هذه العبارة جميلة فتقول: الله بصفاته ولا تقول: الله وصفاته، الله وعلمه. فهذا كلام المعتزلة، وكلام الجهمية، يجعلون تعدد الصفات تعددًا للذات، وأن الصفات مستقلة، لكن عندما تقول: الله بصفاته. يعني أن الصفات قائمة به سبحانه وتعالى، فالباء هنا للمصاحبة، فليست الصفات منفصلة بائنة كما يقول هؤلاء الضلال، ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه يعني أن كماله المقدس قديم سواء في صفات الذات أو صفات الفعل مثل الكلام ومثل بقية صفات الأفعال القائمة به، فلا نقول: إنه كان معطلًا عنها ثم اكتسبها بعد ذلك، ويكفيك في هذا المقام آية واحدة: {إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} [هود: ١٠٧]، هل تكفيك هذه؟ نعم تكفيني، {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ}

[العنكبوت: ٥١]، نعم يكفينا، الحمد لله، آمنا بكلام الله وأيقنا، فالله عز وجل فعال لما يريد، وليس هناك وقتًا من الأوقات لمن يكن فعالًا لما يريد، في كل وقت من الأوقات هو فعال لما يريد، آمنت بهذه الكلمة وهذه الآية وفهمتها احمد الله وتكون بهذا قد استرحت من هذا الكلام كله.

قوله: (لم يَزدَدْ بِكَوْنِهِم شَيْئًا، لم يكنْ قَبلَهُم مِنْ صِفَتِهِ): يعني ليس ربنا جل وعلا استفاد من خلقه الكمال، فالكمال المطلق لله جل وعلا، وهو الذي يعطي الخلق، فالله غني عن كل شيء سبحانه وتعالى.

قوله: (وكما كانَ بصفاته أزَليًّا، كذلك لا يزالُ عَلَيْها أبديًّا): يعني أن كماله المطلق، في أسمائه وصفاته ثابتة أزلًا وأبدًا، وكلمة أزل يستخدمها بعض المصنفين ومعناها منحوتة من كلمتين: لم يزل أو لا يزال، لم يزل يعني في القديم، ولا يزال في المستقبل، الأزل يعني ما مضى، لم يزل يختصرونها في كلمة أزلي ومعناها هو الأول، والأول الذي ليس قبله شيء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء)، وكما كان بصفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبديًا، فهو الرحيم، وهو الخالق، وهو الرازق، وهكذا بقية أسمائه قديمة أزلًا وأبدًا، لم يأت وقت من الأوقات معطل عن أسمائه الحسنى وصفاته العلا، ولم يستفد اسم الخالق لما خلق الخلق، فهو الخالق قبل أن يخلق الخلق، ولم يستفد اسم الرازق من مخلوقاته لما رزقهم، بل هو الرازق قبل أن يخلقهم ويرزقهم، وهكذا، ونحن نحمل هذه الجملة على المعنى الصحيح، وإلا فالماتريدية والأشعرية يفرحون بهذه الجملة ويحملونها على نفي صفات الأفعال؛ نفي الاستواء، ونفي المجيء، ونفي الفصل بين عباده، ونفي الكلام، وهكذا.

المجلس: ٢.

قوله: (خَلَقَ الخَلْقَ بعِلْمِهِ وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا ... آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَيْقَنَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ عِنْدِهِ): هذه الجمل من الكلمات تتعلق بتقدير الله سبحانه وتعالى للمقادير، وسيذكر المصنف –رحمه الله– القدر ويكرره في أكثر من موضع وسيأتي بعد عدة فقرات أيضًا وهناك توسع فيه، لكن هنا نبين مراتبه، فذكر أهل العلم أن الإيمان يقتضي منك أن تؤمن بأربعة أشياء:

الأول: أن تؤمن بأن الله علم كل شيء قبل أن يقع.

الثاني: أن تؤمن بأن الله كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ.

الثالث: أن تؤمن بأن الله سبحانه وتعالى مشيئته نافذة.

الرابع: أن تؤمن بأن الله خالق كل شيء.

هذه مراتب القدر التي يجب الإيمان بها.

قوله: (خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِهِ): هذا ذكر للمرتبة الأولى.

قوله: (وَقَدَّرَ لَهُمْ أَقْدَارًا): أيضًا هذا يشمل مراتب القدر كلها.

قوله: (وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالًا): جمع أجل، فلكل مخلوق أجل ينتهي إليه، قال تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: {إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [يونس: ٤٩].

قوله: (وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ): لكمال علمه سبحانه وتعالى، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} [آل عمران: ٥].

قوله: (وَعَلِمَ مَا هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ): هذا معنى الإيمان بمرتبة العلم، فعَلِم سبحانه وتعالى قبل أن يخلقهم من هو من أهل الجنة ومن هو من أهل النار، علم سبحانه وتعالى كل شيء مما سيقع.

قوله: (وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ): ومعناه أنه مع إيماننا بالقضاء والقدر يجب علينا أن نؤمن بالشرع، فنجمع بين الأمرين ونعمل بها، فلا نحتج بالقدر ونترك الدين، ونترك الواجبات ونرتكب المحرمات، فنؤمن بقضاء الله وقدره ونعمل بشرعه، ولهذا قال: أمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته. مع أنه قد علم إلا أنه سبحانه وتعالى أمر العباد بطاعته ونهاهم عن معصيته، فالعلم هذا ليس حجة للعبد أن يترك الواجبات ويرتكب المحرمات؛ لأنه لا يدري، فإذا ادعى أنه مكتوب عليه الضلال قبل أن يقع فهذا تخرص وكذب فلا يعلم ذلك، كما رد الله على المشركين في سورة الأنعام وفي سورة النحل: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩]، فأنت تؤمن بأن الله علم كل شيء حتى دقائق الأمور قبل أن تقع، ولكن لا تحتج بهذا على ترك الواجبات وارتكاب المحرمات، بل تجتهد وتستعين، وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، ولو أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل)، فبعض أهل الضلال في باب القدر أنكروا القدر وآمنوا بالشرع؛ كالقدرية وتبعتهم المعتزلة، قالوا: ليس هناك قدر. ومعناه أن الله لا يعلم الأمر قبل وقوعه فالأمر أُنف إذا وقع علمه الله، وقالوا: إن الله لا يعلم الأشياء ولم يكتبها. ومن



باب أولى لم يشئها ولم يخلقها، فنفوا أربع مراتب: نفوا العلم، ونفوا الكتابة، ونفوا المشيئة، ونفوا أن الله خلقها، والقدرية يعملون بالشرع ففيهم عبادة وفيهم زهد وفيهم عباد ويشددون على الناس حتى المعتزلة منهم من يرون الخروج على السلاطين بالسيف، ويدعون أن هذا أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، فيدعون أنهم يقومون بالشريعة مع أنهم ينكرون القدر، وقد قال فيهم ابن عمر –رضي الله عنهما- المقولة المشهورة وهو أول حديث في صحيح مسلم حديث جبريل عليه السلام الطويل: بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ... الحديث، وسبب روايته أن يحي بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن جاءوا إلى عبد الله بن عمر وقد قدموا للحج، قالا: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم –يتتبعون العلم-، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف –يعني مستأنف إذا وقع علمه الله، وإذا لم يقعل لم يعلم الله ذلك. فقال عبد الله بن عمر: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر ... ثم ذكر حديث جبريل عليه السلام الطويل، وفيه: (الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، كله الأمور مقدرة، فهؤلاء القدرية يقال لهم: الغلاة، منهم عمرو بن عبيد المعتزلي، الذي يدعي العبادة والزهد، والإعراض عن الدنيا، حتى أن بعض الخلفاء اغتر به فيمدحه ويحبه ويقول: كلكم يطلب الصيد، كلكم يمشي رويد إلا عمرو بن عبيد. اغتروا بعبادته وزهده وبكاؤه فأخذوا بالظاهر وما علموا أن عنده أمر مخرج من الملة الإسلامية إنكار تقدير الله للمقادير، ومثله معبد الجهني، وبلال الدمشقي، ومجموعة من هؤلاء المجرمين، فهؤلاء هم القدرية عرفنا خبثهم ومذهبهم، والذي أدركهم من الصحابة عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وواثلة بن الأسقع وطبقتهم أي بعد تقريبًا سنة (٦٥) من الهجرة، فما كانت بدعتهم موجودة ولا عُرفت هذه المقالة ولا أحد تفوه بها أصلًا ولم تخطر بقلب مؤمن، بل أحد التابعين قال: خطر في قلبي شيء من القدر فحدثني بشيء عن الله يذهب عني. فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ... ثم ذكر حديث القدر الذي سبقت الإشارة إليه، شبهة شيطانية عالجها بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر)، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأنا ما أخطأه لم ليكن ليصيبه، ولو مت على غير هذا كنت من أهل النار، ثم ذهب إلى عدد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

فكلهم حدثه بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وطريقة أخرى عكس القدرية والمعتزلة خرجت بعدهم بسنين وهم الجبرية مذهب جهم بن صفوان، وجهم جمع خبائث:

أولًا: نفي الأسماء والصفات، التعطيل المحض.

ثانيًا: القول بالجبر وأن العباد مجبورون ضد مذهب القدرية، فيقال لهم: الجبرية، والقدرية المثبتة أي عكس القدرية النفاة الذين يقولون: إن الله لم يقدر شيء. لكن هؤلاء أثبتوا القدر لكن غلوا ونفوا أن للعبد مشيئة وفعل واختيار.

ثالثًا: قال بالإرجاء فهو غال في الإرجاء.

وهذه الأسباب تدخل النار؛ تكذيب أسماء الله وصفاته تعطيلها وجحدها، وتعطيل حقيقة الإيمان، وتعطيل حقيقة القدر وقدرة العبد، فهؤلاء الجبرية عطلوا الشريعة، وعطلوا الأوامر والنواهي، قالوا: العبد لا يسمى مؤمنًا ولا يسمى مصل، فهو مجبور لا اختيار له، فالزاني والسارق وشارب الخمر هذا لا اختيار لهم ولا قدرة لهم. فعطلوا الأوامر والنواهي بدعوى إثبات القدر، فالمؤلف أراد إبطال الطريقتين، فبعد أن ذكر القدر قال: وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته.

قوله: (وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ): بقضائه وقدره، فالله جل وعلا قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكل شيء من أمور الخلق يجري بتقدير الله جل وعلا فلا يزيد عن ما قدر الله ولا ينقص، فيقع كما قدره الله.

قوله: (ومَشيئتُهُ تَنْفُذُ): قال الله تعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٨، ٢٩]، فإذا شاء الله شيء كان وإذا لم يشأ لم يكن، ولهذا المسلمون أجمعوا على هذه المقولة: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، والآيات في ذكر مشيئة الله النافذة كثيرة، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} [البقرة: ٢٥٣].

قوله: (ومَشيئتُهُ تَنْفُذُ، لا مَشيئَةَ للعبادِ إلا ما شاءَ لهم): ما شاء الله لهم يقع، فمشيئة العبد حق ومشيئة الرب حق، لكن مشيئة العبد ليست نافذة على كل حال، بل لا تقع إلا إذا شاء الله سبحانه وتعالى، وهذا من المضايق التي ضل فيها القدرية والجبرية، فالقدرية نفوا عموم مشيئة الله، فالمعتزلة والقدرية لا يقولون: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. هذه المقولة عندهم غلط ولا يؤمنون بها، وعندهم أن مشيئة الله إذا عارضت مشيئة العبد نفذت مشيئة العبد، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، فوصفوا الله جل وعلا بأنه لا تنفذ مشيئته إذا خالفت مشيئة العبد، وهذا كفر وضلال، والعكس طريقة الجبرية يثبتون مشيئة الرب ولكنهم ينفون مشيئة

العبد، فالجبرية غلوا في فعل الرب سبحانه وتعالى ونفوا فعل العبد، والمعتزلة غلوا في فعل العبد وزعموا أن له المشيئة المطلقة وقصروا وجفوا في حق الرب سبحانه وتعالى فزاغوا وضلوا، أما طريقة أهل السنة والجماعة فهي ما دل عليه قوله سبحانه وتعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير: ٢٨]، أثبت للعبد مشيئة ونسب الفعل إليه، وقال: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٩]، فيثبتون أن للعبد مشيئة واختيار وقدرة على الفعل لكن ذلك تابع لمشيئة الله، هدايته أو ضلاله، إيمانه أو كفره، كل ذلك تابع لمشيئة الله، ولهذا يسألون الله الهداية، ويسألون الله سبحانه وتعالى الثبات، ويسألون الله التوفيق، فأهل السنة هم الذين صاروا على طريقة القرآن والسنة.

قوله: (يَهْدِي مَنْ يشاءُ): فمن الأمور التي تقع بمشيئته وتقديره أنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، يعصم من يشاء ويذل من يشاء، يعافي من يشاء ويبتلي من يشاء، كل هذا تابع لهذه المسألة الكبيرة مسألة المشيئة، فالتوفيق بيد الله، والهداية بيد الله، والقدرية ينازعون في هذا فهم لا يؤمنون بهذا والمعتزلة القدماء وأيضًا المعاصرين يقولون بمثل هذا، وإن قالوا: إن الهداية بيد الله. فيقولون: هذه مجاز وإلا العبد فهو الحر، المستقل، وهو الذي بيده كل شيء. فعندهم انحراف عظيم في هذا الباب، ولهذا هم غير صادقين في دعائهم الله جل وعلا الهداية؛ لأنه كما قال الأعرابي، جاء في حلقة فيها عمرو بن عبيد وهو قد أهمه أمر بعيره فقد فقده أو سرق منه ماله، فقال: إن بعيري أو مالي قد سُرق. فرفع يديه هذا المعتزلي: اللهم إنك لم ترد أن يسرق ماله فسرق، اللهم ردها عليه. فقال الأعرابي: أنا لا حاجة إلى دعائك، إذا كان لم يُرد ولم يشأ أن يُسرق فسرق فكيف أسأله أن يرده. يعني ليس الأمر بيده وليست المشيئة عنده، أن أدعو الذي على كل شيء قدير، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالمعتزلة تنقصوا الله أعظم تنقص، وأيضًا القدرية، وكذبوا بهذه النصوص الشرعية وعطلوا حتى يُروى عن عمرو بن عبيد فظائع والتي إن صحت عنه وأنه قالها فنعوذ بالله من الكفر والضلال، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم ينقض مذهبهم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر فيه أن الإنسان في بطن أمه يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد. لكنهم يقولون: لم يُكتب شيء من هذا ولم يقض الله جل وعلا قبل أن يخلق الخلق، إنما هذا يقع فيما بعد، إذا وقع علمه الله. وذكر الذهبي في ترجمة عمرو بن عبيد أنه قال: وذكر حديث الصادق المصدوق، فقال: لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته، أو قال: لما أحببته، ولو سمعت ابن مسعود يقوله ما قبلته، ولو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول لقلت له: ليس على هذا أخذت ميثاقنا. وهذا يدل على

انحرافهم في باب التلقي، فليس التلقي عندهم ما جاء الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم، بل ما وافق عقولهم التي قد عشش فيها الشيطان وفرّخ وباض.

قوله: (يَهْدي مَنْ يشاءُ، وَيَعْصِمُ ويُعَافِي فَضْلاً، ويُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَخْذلُ ويَبْتلي عَدْلًا): فيهدي من يشاء، هذه الهداية هداية التوفيق والإلهام وقبول الحق، ومعناه خلق قبول الحق في القلب، والذي يملكه هو الله سبحانه وتعالى، وهذا يسمى عند العلماء هداية التوفيق أن يكون في قلبك قبول للحق، والله عز وجل هو الذي يخلق هذا القبول وييسره ويمد العبد به، وكذلك هو الذي يخلق الإضلال وعدم قبول الحق في القلب، فالله وحده لا شريك له يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ولهذا نقول: {اهْدِنَا الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: ٦]، يعني وفقنا وألهمنا، وكذلك الهداية تطلق بمعنى هداية الدلالة والإرشاد وليست المرادة هنا، لكن المراد هداية التوفيق؛ لأن هداية الدلالة والإرشاد هذه للرسل والأنبياء والدعاة والعلماء لكنهم لا يملكون هداية القلوب وإصلاحها، قال تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦]، فهذه الهداية المنفية عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك عن غيره وهي هداية التوفيق، أما الهداية المثبتة {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: ٥٢]، هذه هداية الدلالة والإرشاد، وعندما تسأل ربك في سورة الفاتحة: {اهْدِنَا الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، أول ما يدخل في هذا هداية التوفيق والإلهام وقبول الحق، كذلك يدخل في عموم {اهْدِنَا الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، دلنا وأرشدنا وثبتنا وزدنا ونحو ذلك.

قوله: (ويَخْذلُ ويَبْتلي عَدْلًا): كما قال في الجملة التي بعدها: وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله. يعني أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحدًا {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩]، ولهذا ربنا بين السبب في زيغ من زاغ فقال: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: ٥]، فهذا فعل الرب سبحانه وتعالى نفذ ومشيئته وقعت لكن كل شيء له أسباب، والله قدر الأسباب وقدر مسبباتها، فهو سبحانه وتعالى أفعاله دائرة بين الفضل وبين العدل، ولهذا يجب أن تلجأ إلى الله، وتسأله أن يتفضل عليك ويحسن إليك، وإذا ظلمت نفسك وأسرفت على نفسك ترجع إلى الله وتستغفره وتخشى على نفسك من ذنوبك، وتسأل الله جل وعلا أن يمحو آثارها عنك.

قوله: (وكُلُّهم يتقلَّبُون في مَشيئتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ): فالذي هداه الله فهذا من فضله عليه، والذي أضله الله فبعدله سبحانه وتعالى {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩]، وقد ذكر الله عز وجل أسباب الضلال والزيغ في كتابه في مواضع منها: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ} [الأحقاف: ٣]، إعراض عن الحق، ومنها: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ

مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٣، ١٢٤]، ومنها: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} [الزخرف: ٢٣]، وغير ذلك الكثير في كتاب الله من أسباب الضلال، نسأل الله العفو والسلامة، وهذا من بيان الله لعباده حتى يحذروا من هذه الأسباب ويجتهدوا في تحقيق أسباب الهداية والفلاح والسعادة.

قوله: (وَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الأضداد والأنداد): الله سبحانه وتعالى متعال عن جميع النقائص، والأضداد جمع ضد يعني لا أحد من الخلق يضاد الله جل وعلا في تقديره للمقادير، وفي مشيئته وفي إيجاد المخلوقات وفي تدبيره لكونه، ولا هناك مخلوق يقدر أن يوقف قدر الله ولا أن يعترض على مشيئة الله فلا يستطيعون، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك)، فلو اجتمعت الأمة بأسرها على شيء فما يستطيعون أن يردوا قضاء الله وقدره. والأنداد جمع ند وهو النظير والشبيه، والله سبحانه وتعالى لم يكن له كفوًا، وليس له سمي، وليس له مِثل {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى:١١]، فالله جل وعلا هو المتفرد بتقدير المقادير، والله جل وعلا هو وحده الذي له المشيئة النافذة، والله وحده هو الذي خلق المخلوقات، ودبر أمورهم، وهذا يجعل المؤمن يلجأ إلى الله، ويزداد تعلقًا به، ويزداد حبًا له سبحانه وتعالى، ولهذا الإيمان بالقضاء والقدر يزيد المؤمن إيمانًا ويزيد المؤمن تقوى، ويزيد المؤمن اجتهادًا، فإذا أسرف على نفسه سارع إلى التوبة، وإذا اجتهد في العمل الصالح عرف أن هذا من فضل الله عليه ولم يستكبر ولم يغتر، ثم هو بين ذلك وذلك يسأل الله الثبات حتى يلقى ربه، فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من نفس منفوسة إلا عُلم مقعدها من الجنة ومن النار)، سأل الصحابة –رضي الله عنهم– النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا)، إذن الأمر حُسم وانتهى أجابك النبي صلى الله عليه وسلم وعلمك أن لا تدع العمل، اجتهد في العمل، أقم إسلامك وأركان الإسلام والإيمان وقم بأعمال الإحسان وحقائقه فلا تدع العمل، فقال: (اعملوا فكل ميسر لما خُلق له)، هذه كلمة عظيمة، فلا تقول: الإنسان مسير أم مخير، بل قل مثل ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كل ميسر لما خلق له)، فأهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأهل الشقاوة ييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ صلوات الله وسلامه عليه: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى} [الليل: ٥-٧]، اجتهد فأعطى واتقى وصدق بالحسنى، {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ٨-١٠]، قال بعض الصحابة: فلما سمعنا هذا ما كان أحدًا أشد اجتهادًا منا بعد ذلك. لماذا؟ لأن هذا يدعو المؤمن للاجتهاد (اعملوا)، ثم يدعو المؤمن لو كان عنده



ذنوب يخشى أن يختم عليه بخاتمة الذنوب، والذنوب مآلها إلى النار –والعياذ بالله–، فهذا يدعو إلى التوبة، إذا أذنبت تب إلى الله، ولا تقول: هذا مقدر. وتصر على الذنوب، أنت لم تتطلع على اللوح المحفوظ، فلا تتخرص، تب إلى الله مباشرة، كما أنك في أمور الدنيا تسعى في سعادتك، وفي سلامة أعضائك وسلامة نفسك كذلك في الآخرة تسعى في نجاتك.

قوله: (لا رَادَّ لقضَائِه، ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِه، ولا غالبَ لأمرِه): كل هذه تقدمت معانيها، قضاء الله لا أحد يرده، فإذا قضى الله شيئًا وقع، وإذا قدر شيئًا وقع، ولا معقب لحكمة فإذا حكم الله جل وعلا على عبد بالموت فلا أحد يعقب حكم الله ويرده إلى الحياة فلا يمكن، وكذلك لا غالب لأمره، وهذه الجمل في باب القضاء والقدر تبطل دين الخرافيين الذين يتعلقون بالأولياء ويستغيثون بهم ويعتقدون أن عندهم نوع من التدبير، وعندهم نوع من التصرف في المخلوقات، فالمؤمن بهذا يبطل هذا الدين الذي عند الخرافيين والمشركين من غلاة الصوفية وأشباههم، ويؤمن بأنهم خلق من خلق الله لا يملكون نفعًا ولا ضرًا.

قوله: (آمَنَّا بذلِك كُلِّه، وأَيْقَنَّا أنَّ كُلاًّ مِنْ عِنْدِهِ): أي آمنا بقضاء الله وقدره وأيقنا أن كلًا مما يقع من عند الله جل وعلا سواء الخير أو الشر، فنؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره، أي الأمور السارة الحسنة أو الأمور الضارة التي ليست بحسنة، مثل المرض والصحة، الغنى والفقر، القوة والضعف، الهزيمة والنصر، كل هذه الأمور تقع بقضاء الله وقدره سواء منها خيرها أو شرها وكذلك الإيمان والكفر والطاعة والمعصية، والسعادة والشقاوة، كل شيء بقدر الله خيره وشره، لكن من الآداب الواجبة على المسلم أنه لا ينسب الشر إلى الله استقلالًا، فلا يقول مثلًا: إنه خالق القردة والخنازير. ويذكر الشرور فقط، لكن يجمل فيقول: إن الله خالق كل شيء. كذلك الشرور مما يقدر الله جل وعلا لا ينسبها إلى الله؛ لأن فعل الله جل وعلا وتقديره لا يكون إلا خيرًا لكن الشر قد يكون في مفعولاته ومقدوراته، شر بالنسبة لبعض العباد وإن كان من تقدير الله جل وعلا هو خير محض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (والخير كله بيدك، والشر ليس إليك)، ولهذا الجن الصالحين الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم تأدبوا وأثنى الله عليهم وذكر مقالتهم فقالوا: {وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجِنّ: ١٠]، فلما ذكروا الشر تأدبوا مع الله {أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ}، ولما ذكروا الخير أضافوه إلى الله {أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا}، مع أن الشر والخير كله بقدر الله ومن الله وبيد الله، لكنهم يتأدبون مع الله عز وجل، وهذا واجب على المسلمين.

*** المتن ***

٢٨–وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ المصطَفى، ونبيُّه المجْتَبى، ورَسُولُهُ المُرْتَضَى.

٢٩–وأنَّه خَاتمُ الأنبياءِ، وإمَامُ الأتْقِيَاءِ، وسيِّدُ المرسَلينَ، وحَبيبُ ربِّ العالَمين.

٣٠–وكُلُّ دَعْوى النُّبوةِ بَعدَهُ فَغَيٌّ وَهَوى.

٣١–وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنِّ وكَافَّةِ الوَرَى بالحقِ والهدى، وبالنُّور والضِّياء.

٣٢–وأَنَّ القرآنَ كَلامُ الله، منْهُ بَدَأ بلاَ كَيْفِيَّة قَوْلاً، وأنْزله على رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقهُ المؤمنون على ذلك حَقًّا، وأَيْقَنُوا أنه كلامُ الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلام البَرِيَّةِ، فمن سَمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كلامُ البشرِ، فَقَدْ كَفرَ، وقد ذمَّهُ الله وعابَهُ وأوعَدهُ بسَقَر، حيث قال تعالى: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} [المدثر:٢٦]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسقَرٍ لمنْ قال: {إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} [المدثر:٢٥]، عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشْبِهُ قولَ البشر.

٣٣–وَمَنْ وَصَفَ الله بِمعنًى مِنْ مَعاني البشر، فقدْ كَفَر، فمن أَبْصَرَ هذا اعْتَبر، وعَنْ مِثْلِ قول الكفَّارِ انْزَجَر، وعَلِمَ أنَّه بصفاته ليسَ كالبشر.

*** الشرح ***

قوله: (وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ المصطفَى، ونبيُّه المجْتَبى، ورَسُولُهُ المُرْتَضَى): صلى الله عليه وسلم، وهذا خطبة بدايتها نقول: إن الله واحد لا شريك، ونقول: إن محمدًا عبده ورسوله. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، هذه مما نعتقده ونؤمن بأن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي هو عبد الله ورسوله ونبيه صلى الله عليه وسلم، فالإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وبنبوته هذه أصل من أصول الإسلام، وهو الركن الأول من أركان الإسلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

الأمر الثاني: الأدلة على رسالته ونبوته صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكرنا قبل أنواع التوحيد: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، ولم نتكلم عن الأدلة أردنا أن تكون جميعها هنا، الأدلة على توحيد الله سبحانه وتعالى، والأدلة على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، هاتان المسألتان أعظم مسائل الدين، وقد جعل الله سبحانه وتعالى من رحمته أن كل ما كان الناس إلى الشيء أحوج كانت الأدلة عليه أكثر، ولهذا الأدلة على وجود الله وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته أكثر من أن تحصى، والأدلة على رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ونبوته أكثر من أن تحصى، وهذه قاعدة لا بد أن تفهمها.

الأمر الثاني: أن من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه أرسل الرسل وأنزل الكتب، يدعون إلى الله ويعلمون العباد ويرشدونهم ويعرفونهم بالله وبحقوقه وبألوهيته وبربوبيته وبأسمائه وصفاته، وجعل معهم من الآيات والبراهين ما على مثله يؤمن البشر، فأقام الله الحجة وقطع المعاذير، قال تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥]، وليس هذا فحسب بل إن الله سبحانه وتعالى ركز في العقول وفي الفطر ما به يعرف العاقل الحق من الباطل، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى، فلا بد أن نعرف أن هذه الأدلة وهذه البراهين هي رحمة من الله جل وعلا وإحسانه إلى العباد.

الأمر الثالث: أن هذه الأدلة والبراهين سواء في باب الإيمان بالله جل وعلا أو في باب الإيمان برسوله صلى الله عليه وسلم كثيرة جدًا، فلا نستطيع أن نقول: ألف دليل، ولا ألفين دليل، بل ربما ألوف مؤلفة، والغريب والعجيب في هذا الباب أن المشتغلين بعلم الكلام المذموم في باب توحيد الله جل وعلا والإيمان به زلوا زلات عظيمة فقالوا: الطريق إلى إثبات وجود الله يكون بالعقل؛ لأن العقل قبل الشرع، وبه يعرف الإنسان الشرع. ثم العقل عندهم رصدوا دليلين أو ثلاثة أدلة أو أربعة ثم أخذوا ينتقدون الأدلة التي هم وضعوها، فالدليل يسمونه دليل الحدوث العقلي، وهو دليل صحيح لكنهم قرروه تقرير فاسد، والله جل وعلا ذكر هذا الدليل في القرآن، يعني أحسن الطرق العقلية مذكورة في القرآن ببلاغة وبفصاحة وبوضوح يجعل المؤمن يؤمن ولله الحمد.

مثال دليل الحدوث العقلي: أن جبير بن مطعم –رضي الله عنه–: لما كان على الشرك وجاء في أُسارى بدر وجلس في المسجد نائم ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فسمعه يقرأ في سورة الطور فلما بلغ: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ} [الطور: ٣٥، ٣٦]، قال: كاد قلبي أن يطير.

فالمقصود أن هذه الأدلة التي ذكروها دليل التمانع {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء: ٢٢]، هم ينصبون هذه الأدلة في باب إثبات وجود الرب، ويغلطون في تقرير هذه الأدلة، ثم يشككون فيها ثم يأتون عليها بالشبهات ثم يجيبون على الشبهات، وبعضهم يقتنع، وبعضهم لا يقتنع، ويقول: أنا أشك في وجود الله. حتى كبارهم؛ كالآمدي وغيره آخر أمره شك في الله، يقول: لا أثبت أي دليل من الأدلة كلها منتقدة، فيُعترض عليها بكذا ويعترض عليها بكذا. وهذا من العجائب والغرائب، لماذا؟ لأن الأدلة الدالة على وجود الله وعلى ربوبيته وألوهيته كما سبق كثيرة جدًا، لكن بعض الناس يظن أنه لا طريق لمعرفة الله جل وعلا إلا من خلال عقله هو ومن تقريراته هو، ولذلك أهل الكلام دائمًا يذكرون في كتبهم العقدية –ولا تنظرون فيها؛ لأن النظر فيها سبب في التشكيك وإنما ينظر فيها من أراد الرد عليهم من أهل العلم العارفين– هذه

النظريات وهذه الأدلة العقلية التي زعموا أنها تدل على إثبات وجود الله. انظر شخص يريد أن يذهب إلى مكة، وكم طريق يؤدي إلى طريق مكة؟ طرق كثيرة، وهم طريقتهم أخذوك من البر وهناك طرق سهلة لكن أخذوك لطريق وعر وصعب ثم يقول: نذهب من طريق آخر، ويذهب إلى الطريق الآخر، ثم يقول: نذهب من طريق آخر، وهكذا حتى بعد تعب وجهد يصل بك ثم يقول لك: ليس هناك طريق إلا الذي ذهبنا منه. وبقية العقلاء إذا نظروا إلى هذا يقولون: أين عقلك أنت؟ الناس يأتون مكة من طرق كثيرة، وكل على طريق صحيح، يعني تجد أعرابي يقول: إن البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج أفلا يدل على اللطيف الخبير. وهذا أعرابي عرف الله جل وعلا وآمن به، أحسن من طريقة هؤلاء ويقينه وفطرته أقوى من طريقتهم، بل هم أدخلوا على فطرهم من التشكيك والشبه ما الله به عليم، وآخر من الكفار ينظر إلى شيء واحد من محاسن الدين الإسلامي، يقول: أنت الآن تغسل وجهك ويديك ورجلك في اليوم خمس مرات إن هذا الدين حق، إن هذا الدين من عند الله. نظر إلى هذا الجانب فأسلم وعرف أن هذا ليس إلا من عند الله العزيز الحكيم، وثاني نظر إلى الصلاة، وثالث نظر إلى الزكاة، ورابع نظر إلى الصوم، وخامس نظر إلى أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا عبد الله بن سلام –رضي الله عنه– لم ير معجزة وهو كان من علماء اليهود، قال: نظرت إلى وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. قال: فسمعته يقول: (أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)، ودخل الإسلام في قلبه وعرف أن هذا من عند الله، وآخر يرى آية من آيات النبي صلى الله عليه وسلم، وآخر يسمع القرآن يسمع كلام الله جل وعلا، فالطرق التي تدل على الله والإيمان به كثيرة جدًا، ثم إذا آمن به العبد عرف أن لا طريق يدخل الجنة في العبادة وفي الإسلام والإيمان إلا من طريق الكتاب والسنة، فهذه الطرق تدله على الإقرار بالله وبربوبيته وألوهيته والإقرار برسوله ثم بعد ذلك يستسلم للشريعة، فلا يحكم عقله في كل شيء، بل يستسلم للشريعة ويجعل عقله لفهم الشريعة، هذه أمثلة من الأدلة وإلا فهي كما قال العلماء: لا حصر لها. وترجع إلى أدلة شرعية وأدلة حسية وأدلة عقلية وأدلة فطرية، وأدلة غير هذه مثل الأمم السابقة سواء ما وقع من عقوبات الله جل وعلا لمن كذب وإنجاء الله لمن آمن، أو لما تواتر عن اليهود والنصارى وأهل الملل الذين يقرون بإثبات الرسالة، ولهذا قال العلماء: إن من الحكم في إقرار اليهود والنصارى على بذل الجزية فيها الرد على الملاحدة؛ لأن هؤلاء الجماعات الكثيرة الغفيرة من اليهود والنصارى يشهدون بأن لهم رسول اسمه موسى وكذلك النصارى يشهدون بأن لهم رسول اسمه عيسى، وإن كان عندهم ضلالات في هذا، لكن فيها الرد على من ينكر الرسالات، هؤلاء خلق عظيم من خلق الله تواتر النقل أنهم آمنوا بنبي لهم

وأن لهم شريعة من عند الله وأنا لها ربًا وتؤمن بأن هناك رسول وإن كانوا ضلوا في التفاصيل، فهذا فيه الرد على الملاحدة والجاحدين للرب جل وعلا والمعطلين للرسالات، فالأدلة كثيرة جدًا لا يمكن أن تحصى، وبعض الناس يعرف أربعة طرق، خمسة طرق، وبعض الناس يعرف مائة طريق، وبعض الناس يفتح الله عليه آلاف الطرق، وأصول هذه مذكورة في القرآن والسنة، ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله أومن، أو آمن، عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعًا يوم القيامة).

وهذا يقودنا إلى أيضًا موضوع الإيمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ونبوته، فإن الأدلة على نبوته ورسالته كثيرة جدًا مثل ما تقدم، ذكر بعض الذين جمعوا في دلائل النبوة أن للنبي صلى الله عليه وسلم أكثر من ثلاثة آلاف آية وبرهان ودليل، وهذا التقدير بحسب ما تيسر لهم من الأحاديث وإلا فالأدلة على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته أكثر من ذلك بكثير جدًا، فالنظر في دين الإسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم هذا دليل، والنظر في التفاصيل، ولهذا يعجبني هذا العنوان: محاسن الدين الإسلامي؛ لأن الدين الإسلامي كله محاسن من أول الطهارة إلى آخر الإقرار، هذا في مسائل الفقه، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة وأحواله وأخباره قبل البعثة وبعد البعثة صلوات الله وسلامه عليه كلها شاهدة بنبوته ورسالته، كذلك الإخبار عما سيقع فوقع كما أخبر عليه الصلاة والسلام، وأشياء أخرى كثيرة، وفي سورة الحاقة دليل من الأدلة: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} [الحاقة: ٤٠-٤٧]، هل أحد يستطيع أن يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم؟! لو أراد الله جل وعلا لما أبقاه، ولهذا المتنبئون الكذابون الذين لهم شوكة عددهم قريب من ثلاثين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة لا يتجاوز هذا العدد، أما الذين ليس لهم شوكة وليس لهم شأن ربما مئات وينقطع أمرهم سريعًا، فالدجالون الذين لهم شوكة هل يمكنون؟ هل يبقون؟ والنبي صلى الله عليه وسلم مُكّن له ونصره الله عز وجل على أعدائه وجعل الله جل وعلا شريعته ودينه في شرق الأرض وغربها، فبعد وفاته بست أو سبع سنوات بلغ الدين الإسلامي مشارق الأرض ومغاربها في عهد عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– فمكن له وانتشر الإسلام وإلى هذه الساعة والإسلام باق (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله)، وهذا كتاب الله محفوظ من الزيادة والنقصان منذ أُنزل على النبي صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، حتى يأذن الله جل وعلا برفعه من

الصدور والمصاحف في آخر الزمان، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]، فالله جل وعلا جعل من الأدلة والبراهين على رسالته ونبوته ما على مثله يؤمن البشر، في القرآن، وفي الآيات الحسية ويسميها بعض المتأخرين المعجزات، وهذه التسمية فيها شيء، كلمة معجز هل معناها أنه يعجزهم ويقول: أتحداكم بكل آية؟ هذا ظاهر كلمة معجز، ولهذا لا نلتزم نحن بهذا المصطلح، وكما يقول العلماء: لا مشاحة في الاصطلاحات. لكن إذا أرادوا أنه لا بد من التحدي، نقول: هذا ورد في القرآن فقط {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} [الإسراء: ٨٨]، ولا بعشر سور ولا بسورة ولا حتى بالحديث كما في سورة الطور: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ} [الطور: ٣٤]، فهذا التحديث إنما ذُكر في القرآن، أما تكثير الطعام، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة صلوات الله وسلامه عليه، وتسليم الحجر عليه، وتكليمه الشجر، وانشقاق القمر، إلى غير ذلك من الآيات، هل النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتحداكم أن تأتوا بشيء مثل هذا؟، لما نبع الماء من بين أصابعه الشريفة كأمثال العيون، وكان معهم ركوة لا تكاد تكفي واحد وهم ألف وخمسمائة فيقول جابر: لو كنا ألف ألف لكفانا. والبئر التي بصق فيها صلوات الله وسلامه عليه فامتلأت، وأشياء كثيرة جدًا وليرجع إليها من أراد في كتب دلائل النبوة، لكن يجب أن يُتأكد من صحة الأخبار؛ لأن بعض الأحاديث قد يكون فيها نظر من جهة السند، وخبر هرقل ملك الروم لما جاءه أبو سفيان على شركه وسأله إحدى عشر سؤالًا عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن دعوته وعن أتباعه وعن ماذا يدعوكم إليه، وهل يزيدون أم ينقصون؟ وهل يرتد أحد منهم بعدما يدخل في الإسلام؟ وهل، وهل، هل كان في آبائه ملك؟ إلى آخر هذه الأسئلة فأجابه أبو سفيان عن هذه الأسئلة، فقال: إن كان ما تقول حقًا فسيملك ما تحت قدمي هاتين. هذا الرجل الكافر لم ير معجزة، وحتى القرآن لم يسمعه، ومع ذلك قال ما قال، وخديجة -رضي الله عنها- قالت: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق. وورقه بن نوفل لما سأل خديجة -رضي الله عنها- قال: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، ليتني فيها جزعًا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أو مخرجي هم؟)، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي -رضي الله عنه-. وهذا يدل على أن البراهين الدالة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم متعددة وليست محصورة بأشياء حسية مشاهدة بل حتى الأمور المعنوية، بل حتى بشارات الأنبياء السابقة، إخباره عما سيقع، أشياء لا حصر لها، فيغلط من يغلط من المتكلمين ويحصرها ويسميها معجزة ويشترط فيها التحدي، من أين أتيتم بهذا؟! وهذا باب واسع جدًا أحسن ما كتب فيه ابن تيمية -رحمه الله- جمع كلام أهل العلم

المتقدمين وقرر التقريرات الحسنة في كتاب النبوات، رد على المتكلمين في هذه المسالك التي غلطوا فيها في هذه المقامات.

قوله: (وأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ المصطفَى، ونبيُّه): جمع بين العبد وبين وصفه بالنبوة والرسالة، فالله جل وعلا وصف النبي صلى الله عليه وسلم بأنه عبد في مقامات شريفة عالية، ووصفه بأنه رسول الله {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} [الفتح: ٢٩]، ووصفه بأنه نبي الله {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} [الأنفال: ٦٤، وغيرها]، وصفه بأنه عبد في أربعة مواضع أو خمسة:

الأول: في مقام الإسراء وهو من أعظم المقامات التي حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم، أُسري به إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى ما فوق السماء وكلمه الله جل وعلا وسمع كلام الله، قال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: ١].

الثاني: في مقام التحدي، في سورة البقرة: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} [البقرة: ٢٣]، وصفه بالعبودية في مقام تحدي الكفار أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

الثالث: في مقام الإيحاء والوحي، قال تعالى: {فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} [النجم: ١٠].

الرابع: في مقام الدعوة إلى الله، قال تعالى: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ} [الجن: ١٩].

فصارت هذه المقامات الشريفة العالية يوصف النبي صلى الله عليه وسلم بالعبودية، كما يوصف صلوات الله وسلامه عليه بالرسالة، ولهذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– دائمًا ينبه ويقول: وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. عبد فلا يُعبد ورسول فلا يكذب بل يطاع ويُتبع. فهذا الوصف للنبي صلى الله عليه وسلم وصف كمال وفي نفس الوقت يبين للخلق أنه لا يُعبد مع الله؛ لأنه عبد بل هو أشرف العباد صلوات الله وسلامه عليه، فوصفه بالعبودية ليس نقصًا بل هو وصف كمال، وكذلك يوصف صلوات الله وسلامه عليه بالرسالة مع العبودية؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يجب أن يُطاع ويتبع.

قوله: (ونبيُّه المجْتَبَى): الاجتباء والاصطفاء متقاربين يعني اصطفاء، فالله عز وجل يصطفي من يشاء، فالنبوة ليست اكتساب، فهي ليست صنعة تكتسب، أو علم يبحث عنه الإنسان، بل هذا فضل من الله سبحانه وتعالى {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام: ١٢٤].

قوله: (وأنَّه خَاتمُ الأنبياءِ): قال الله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠]، قُرئت خاتَم، وقرئت خاتِم، وقالوا: إن الطحاوي قراءته بالكسر خاتِم. فإذا

قرأت النص فاقرأ على قراءة المصنف، ومسألة ختم النبوة مسألة مهمة جدًا، فالآن عرفنا أولًا: الأدلة. وثانيًا: الجمع بين وصف العبد والرسالة. وثالثًا: مسألة ختم النبوة. ورابعًا: عموم الرسالة. هذه المسائل لا بد أن يُتنبه لها، مهمة للغاية، فيجب على طال العلم أن يعرف الأدلة ولا يتساهل في هذا الأمر، سيحتاج إلى الرد على المتنبئين والكذابين والدجالين، والمسألة الخامسة: أن النبوة فضل واصطفاء من الله جل وعلا وليست اكتساب، والفلاسفة هم الذين يقولون: إن النبوة اكتساب. وكذلك الإسماعيلية الضلال دخلوا في هذا الباب، والنصيرية والدروز، وكل الفرق الباطنية الغالية عندهم هذا الضلال، ولهذا يزعمون أن رجلًا يسمى محمد بن إسماعيل سابع المتممين يقولون: هو الرسول الخاتم، وشريعته هي الناسخة. من أحد أئمتهم؛ لأن عندهم النبوة اكتساب، فهؤلاء لا شك أنهم كفار وزنادقة خارجون عن الإسلام، فالنبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء فهو آخرهم ولا نبي بعده، والأدلة على ختم النبوة من القرآن ومن السنة ومن الإجماع:

أما من القرآن: فقوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠]، وآيات أخرى مثل قول الله سبحانه وتعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: ١٥٨]، ومثل قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]، فهذه الأدلة وما كان مثلها تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم رسالته عامة شاملة، ولم يذكر الله جل وعلا نبيًا بعده ولا رسولًا بعده، وأما من قبل النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم بشروا بالنبي صلى الله عليه وسلم، وآخر رسول قبل رسولنا هو عيسى بن مريم، وقد أخبر الله جل وعلا أن عيسى بن مريم كان يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: ٦]، والله جل وعلا قال: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨]، فهو مهيمن على جميع الكتب السابقة ولا أحد يهيمن على القرآن.

أما السنة: فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)، وفي حديث جابر وأبي هريرة -رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة)، وفي حديث ثوبان: (إنه سيكون بعدي دجالون كذابون كلهم يزعم أنه نبي الله وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي)، وفي رواية: (كلهم يزعم أنه رسول الله)، فالدجال إما يزعم أنه نبي وإما يزعم أنه رسول الله، وكذلك مما يشهد بأن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين الأحاديث المتواترة في نزول عيسى بن مريم عليه السلام كلها تدل على أنه ينزل آخر الزمان

حكمًا مقسطًا عدلًا فيكسر الصليب ويبطل الجزية ولا يقبل إلا الإسلام أو السيف ويأتم بأتباع النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي خلف إمام المسلمين في ذلك الوقت، وهذا دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء والمرسلين فلا رسول بعده، حتى عيسى بن مريم عليه السلام هو رسول قبله ليس بعده، وإذا نزل آخر الزمان لا يحكم بشرعه هو وإنما يحكم بشريعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا إبطال لدعوى من ادعى الرسالة أو النبوة بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والأدلة في هذا المقام كثيرة، فليراجع تفسير ابن كثير في سورة الأحزاب: {وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب: ٤٠].

قوله: (وإِمَامُ الأَتْقِيَاءِ، وسيِّدُ المرسَلينَ): لقوله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر).

قوله: (وحَبيبُ ربِّ العالَمين): وهذا نقص، والمصنف بنى هذه الكلمة على حديث عند الترمذي بسند ضعيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن إبراهيم خليل الله، وأنا حبيب الله)، لكن الحديث لم يصح وهو مخالف لما صح في الصحيحين من حديث سمرة وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا)، والخُلة أعلى من المحبة، فالمحبة تثبت لعموم المؤمنين {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: ٣١]، لكن الخلة أعظم وأخص، ولم تثبت إلا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولنبي الله إبراهيم عليه السلام.

قوله: (وكُلُّ دَعْوى النُّبوةِ بَعدَهُ فَغَيٌّ وَهَوى): فقد ادعى النبوة جمع، منهم مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وآخرون كسر الله شوكتهم وأبطل كذبهم ودحضهم، ومن المتأخرين في هذه الأزمان القاديانية والبهائية والبابية، فالقاديانية يزعمون أن أحمد القادياني رسول ونبي وهؤلاء في الهند ولهم دعوة الآن في أمريكا وفي أوروبا وهؤلاء كفار زنادقة، كذلك يوجد رجل الآن خرج في الكويت خبيث زنديق اسمه حسين اللحيدي هذا نكرة ليس بشيء لكنه كان قبل أن يضل ويتزندق يتقفر العلم ثم زل وضل وانحرف وتزندق وادعى أول الأمر أنه المهدي ثم ادعى الآن أنه رسول الله وليس نبي الله، ويقول: لا تقولون نبي الله وإنما أنا رسول. وقال على نفسه: إنه يُلهم إلهام. وله أتباع يتبعونه على كفره وضلاله، فيجب عليك أن تؤمن بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، لا نبي بعده ولا رسول بعده، ثبتنا الله وإياك على الإسلام والسنة وعصمنا الله من هذه الأهواء المضلة.

والفرق بين الغي وبين غيره، قال الله في سورة النجم: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} [النجم: ١، ٢]، الضلال هو عدم معرفة الحق، والغواية معرفة الحق والعناد والاستكبار عنه، فيعرف الحق ويعاند لشيء في نفسه أو شهوة أو شبهة، والهوى سمي هوى لأمرين:

الأول: من الهوي أي السقوط {أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: ٣١]، فسمي الهوى لأنه يميل بصاحبه كالذي يسقط صاحبه، يهوي به، يجره، فإذا هوى شيئًا جره إليه بشدة.

الثاني: من العدم، الفراغ، الهواء، الذي ليس بشيء، فإذا فرغ القلب من معرفة الحق امتلأ بالباطل، فيجب أن يكون هواك أنت أيها المؤمن تابعًا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون ميلك إلى ما جاءت به الشريعة، تجعلها هي الحكم، وأخاطب نفسي والشباب؛ لأن الشاب يكون عنده عاطفة جياشة فيجب أن يحكم الشريعة على عاطفته، ولا يجعل العاطفة والميل هو الحكم.

الفرق بين النبي والرسول:

مسألة الفرق بين النبي وبين الرسول معروفة عند العلماء، فقيل: إن معنى الرسول هو النبي، ومعنى النبي هو الرسول ولا فرق بينهما. وقيل: إن النبي والرسول بينهما فرق عموم وخصوص جزئي. وقيل: إن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول. ثم اختلفوا في التفريق والضابط فقال كثير من أهل العلم: إن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بالتبليغ، والرسول من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه. وهذا هو القول المشهور وهو مأخوذ من قول الله سبحانه وتعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: ١]، إلى آخر الآيات، فبهذا نُبئ النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لم يؤمر بالبلاغ والإنذار العام، فلما نزل عليه قوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر: ١، ٢]، صار بها رسولًا إلى الناس؛ لأنه أُمر بالبلاغ والإنذار العام صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا في قولهم: إن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بالتبليغ. قصدهم التبليغ العام والإنذار العام، أما التبليغ لمن حوله فهذا لا ينافي كلام هؤلاء الذين قالوا بهذا الضابط من أهل العلم، وقيل: إن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي من بعث ليجدد شرع من قبله. وقيل غير ذلك، وعلى كل حال هذه التفسيرات وهذه الأقوال هي تلمس من أهل العلم لفهم معاني ما ورد في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ كمثل قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج: ٥٢]، فقوله: {مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ} دليل على التفريق؛ لأن العطف يدل على المغايرة، وعلى كل حال سواء قيل هذا القول أو ذاك فالأمر سهل؛ لأنه من باب التعريف التي توصل للمعاني، لكن الحقائق يجب أن تفهمها جيدًا وهي: أنه لا رسول بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولا نبي بعده، مهما قيل في التعريفات كلها، وأفضل

رجل بعد النبيين والمرسلين هو أبو بكر الصديق فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين أفضل من أبي بكر)، وكذلك عمر بعده –رضي الله عنه– ثم عثمان وعلي –رضي الله عنهما وهم الخلفاء الراشدين، وهذا دليل واضح على أن النبوة انقطعت، والوحي قد انقطع فلا أحد يوحى إليه بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وقصة أم أيمن معروفة حينما قال أبو بكر الصديق لعمر –رضي الله عنهما– لنزور أم أيمن كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يزوروها، فزاروها فإذا هي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ ألم تعلمي أن ما عند الله لرسوله خير مما عندنا؟ قالت: أبكي لأن الوحي انقطع من السماء. فبكيا –رضي الله عنهما–، الوحي الذي هو القرآن انقطع، وقد أكمل الله الدين ولله الحمد لكنها من الشوق ومن محبة كلام الله جل وعلا تقول هذا الكلام، وعمر يقول كما في صحيح البخاري: إن أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا، أمناه، وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه، ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة. فمن يدعي النبوة أو الرسالة فهذا معناه كذّب ويزعم أنه يوحى إليه، والله عز وجل صنفهم ثلاثة أصناف هؤلاء الكذابون المدعون للنبوة، في سورة الأنعام قال: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [الأنعام: ٩٣]، فليس هناك أحدًا ادعى النبوة أو الرسالة إلا ويدخل في أحد هذه الثلاثة: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} يكذب على الله جل وعلا {أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ} سواء قال: إلهام، أو قال: أوحي إلي بالرؤيا، أو قال: سمعت الوحي، أو نزل علي جبريل. {وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ}، {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} يعني سأتكلم بمثل ما تكلم الله، سأقول مثل ما قال الله، فكل هؤلاء أظلم الناس وأكفر الناس.

قوله: (وَهُو المبعوثُ إلى عَامَّةِ الجِنِّ وكَافَّة الوَرَى بالحقِّ والهدى، وبالنُّور والضِّياء): وهذه مسألة عموم الرسالة، وهي مهمة جدًا، وينتظم تحتها عدة فروع مهمة:

الأول: عموم رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الجن والإنس، إلى أهل الأرض كلهم جنهم وإنسهم، عربهم وعجمهم، أحمرهم وأبيضهم وأسودهم، كلهم داخلون في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فيجب عليهم الإيمان به واتباعه والدخول في دينه، ومن أعرض عنه من أهل الأرض بعدما بُعث فهو من الكافرين من أهل النار، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم لا يؤمن بما جئت به إلا كان من أهل النار)، لا يسمع بي أي مجرد سماع أن هناك رسول بُعث ثم لا يسأل عنه ولا يدخل في دينه فهذا من أهل النار، وقوله: (من هذه الأمة) يعني الأمة التي بلغتها الدعوة؛ لأن أهل

الأرض بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يجب عليهم الدخول في دينه، وكلهم يجب عليهم الإيمان بدعوته، فيقال لهم: أمة الدعوة، أما قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ليسوا من أمة النبي صلى الله عليه وسلم أمة الدعوة، والمعنى الثاني في الأمة: أمة الإجابة وهم الذين أجابوه وأسلموا ودخلوا في دينه، وفي القرآن: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: ١٥٨]، وفي سورة الأحقاف: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ} [الأحقاف: ٢٩]، إلى أن قال الجن لأصحابهم: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الاحقاف: ٣١]، فهذا يدل على عموم بعثته للجن والإنس، وفي سورة الأنعام يقول الله جل وعلا: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام: ١٩]، يعني بلغه الدين، بلغه القرآن، يشمل الجن ويشمل الإنس.

الثاني: إذا قال أحد: أنا على دين اليهود، أنا على دين النصارى، لا يلزمني. هذا من الكافرين، هذا من أهل النار ونقطع بذلك ولا نشك فيه، وقال بعض كفرة النصارى: إن النبي صلى الله عليه وسلم عربي ورسالته إلى العرب خاصة فنحن نؤمن أنه رسول ولكن بعث إلى العرب خاصة. والجواب عليهم نقول: إذا أنتم صدقتم بأنه رسول، هل الرسول كاذب أم صادق؟ سيقولون: صادق فالرسول لا يكذب. فنقول: وقد أخبر أنه إلى العرب والعجم إلى أهل الأرض كلهم {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: ١٥٨]، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ: ٢٨]، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]، فهو أخبر بعموم رسالته، فيجب عليكم أن تؤمنوا به.

الثالث: أن هناك من يقول: إن بعض الناس يسعه الخروج عن الشريعة كما وسع الخضر الخروج على شريعة موسى. والخضر نبي على الصحيح من قولي أهل العلم، ولم يتبع موسى؛ لأنه يوحى إليه وعلى شريعة، وبعض غلاة الصوفية والباطنية يقولون: هذا الشيء لا يلزمنا، الصلاة لا تلزمنا، يسعنا أن نخرج عنها، تسقط عنا، لسنا مخاطبين بها، الصلاة، الزكاة، الصوم. أو يقولون: نحن يسعنا الخروج عن التكاليف الشرعية فلا تلزمني هذه التكاليف الشرعية. ومن قال هذا وزعم أنه خرج عن الشريعة فهو من الكافرين.

المجلس: ٣.

قوله: (وأَنَّ القرآنَ كَلامُ الله، منْهُ بَدَأ بلاَ كَيْفِيَّة قَوْلًا، وأنْزله على رَسُولِهِ وَحيًا، وَصَدَّقهُ المؤمنون على ذلك حَقًّا، وأَيْقَنُوا أنه كَلامُ الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلام البَرِيَّة، فمن سمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كلامُ البشرِ، فَقَدْ كَفَرَ، وقد ذمَّهُ الله وعابَهُ وأوعَدهُ بسَقَر، حيث قال تعالى: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} [المدثر:٢٦]،



فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لمنْ قال: {إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} [المدثر:٢٥]، عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشْبِهُ قولَ البشر): هذه الجمل كما قال المصنف –رحمه الله-: عقيدة السلف في القرآن. فالقرآن كلام الله المنزل، غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وتكلم الله به حقيقة، فهذه الجمل يؤمن بها أهل السنة والجماعة.

قوله: (وأنَّ القرآنَ كَلامُ الله): فالقرآن هو المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم المفتتح بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس، هذا هو القرآن، فالله جل وعلا موصوف بصفات الكمال؛ كالعلم، علم الله، والقدرة قدرة الله، ومن صفاته السمع والبصر وإلى غير ذلك من الصفات ومنها صفة الكلام، فالله جل وعلا موصوف بأنه يتكلم، فكل القرآن هو كلام الله جل وعلا، وليس كلام الله فقط هو القرآن بل حتى التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم، فالكتب المنزلة من الله على أنبيائه ورسله كلها كلام الله، وليس كلام الله فقط في الكتب المنزلة بل حتى فيما يتكلم به جل وعلا مع ملائكته وفيما يقضي به {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢]، والله جل وعلا كل يوم هو في شأن سبحانه وتعالى، وكلم الله جل وعلا موسى تكليمًا، وهذا غير ما أنزل في التوراة، وكلم الله جل وعلا محمد صلى الله عليه وسلم لما عرج به وهذا غير كلام الله الذي في القرآن، وكلم الله جل وعلا جبريل عليه السلام، وكلم الله جل وعلا أهل الجنة، ويحاسب الله جل وعلا الخلائق، قال الله سبحانه وتعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} [الكهف: ١٠٩]، فكلام الله لا حد له ولو كانت البحار معها سبعة مثلها وكانت كل هذه البحار مداد يكتب بها الكلام الذي يتكلم الله جل وعلا به لنفدت هذه البحار ولم تنفد كلمات الله سبحانه وتعالى.

المسألة الثالثة: أن كلام الله جل وعلا صفة من صفاته، صفة قائمة به، موصوف به جل وعلا، لم يزل ولا يزال متصفًا بهذه الصفة، والعلماء يقولون عنها: إنه صفة ذاتية وصفة فعلية. صفة ذاتية من جهة النوع، وصفة فعلية من جهة الآحاد، يعني أن الله جل وعلا لم يزل ولا يزال متكلمًا إذا شاء، متى شاء تكلم ومتى شاء لم يتكلم، كيف شاء، ومن هنا نعلم أن الواجب على المؤمن أن يعتقد أن الصفة إذا اتصف الله جل وعلا بها يجب أن يثبتها كما جاءت بها النصوص ولا يزيد من عنده شيئًا ولا ينقص، فالله جل وعلا قال: {وَلَمَّا جَاءَ



مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف: ١٤٣]، علمنا أن التكليم عند مجيء موسى، كذلك تكليم الله جل وعلا لأهل الجنة ويكون بعد دخولهم الجنة، وهذا له نظائر كثيرة جدًا، معنى هذا أن صفة الكلام متعلقة بمشيئته سبحانه وتعالى، فإذا شاء تكلم وإذا شاء لم يتكلم أو نقول: وإذا شاء سكت. كما في حديث أبي ثعلبة الخشني: (وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان)، والصفات المتعلقة بالمشيئة يعبر عنها العلماء بأنها الصفات الفعلية، وأما الصفات الثابتة التي ليست متعلقة بالمشيئة العلماء يعبرون عنها بأنها صفات ذاتية مثل: الحياة، الحياة ليست متعلقة بالمشيئة بل هي ثابتة أزلًا وأبدًا لا تنفك في وقت من الأوقات، والصفات الفعلية هي المتعلقة بالمشيئة مثل: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [الْفَجْرِ:٢٢]، ومثل صفة الكلام وغيرها، إذن القرآن كلام الله جل وعلا وهو صفة قائمة به، وإضافة الكلام إلى الله من باب إضافة المعاني والصفات لا من باب التشريف والتكريم؛ لأن الإضافة نوعان:

النوع الأول: إضافة تشريف وتكريم إذا كانت أعيان، مثل: ناقة الله، بيت الله، فالبيت والناقة أعيان منفصلة، فإضافتها إلى الله إضافة تشريف وتكريم.

النوع الثاني: إضافة المعاني، مثل الكلام، والسمع، والعلم، والرحمة، والعزة، فهذه من باب إضافة الصفات القائمة به، وليست منفكة عنه، وليست بائنة منفصلة.

والدليل على أن القرآن صفة من صفات الله وصف بها نفسه، قوله سبحانه وتعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} [التوبة: ٦]، ومعلوم أنه يسمع من القارئ قراءة القرآن، فسمى الله جل وعلا ذلك كلام الله، أيضًا في سورة الفتح: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ} [الفتح: ١٥]، وهناك أدلة أخرى.

المسألة الرابعة: القرآن هو الكتاب، والكتاب هو القرآن، فكتاب الله والقرآن ليس بينهما فرق؛ لأن المبتدعة من الأشاعرة فرقوا وسنأتي على هذا، فنحن نعلم ونؤمن بأن القرآن هو الكتاب المنزل، هو كلام الله، ولا نقول: الكتاب غير القرآن، ولا نقول: هناك قرآنان، قرآن نزل وهو المقروء هذا، وقرآن لم ينزل. فهذا من الأقوال الكفرية.

المسألة الخامسة: نؤمن أن القرآن منزل كما قال: منه بدأ بلا كيفية قولًا وأنزله على رسوله وحيًا.

فالإنزال والتنزيل معناه أن الله جل وعلا أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الزمر: ١]، {تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [فصلت: ٢]، {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} [النساء: ١٠٥]، وآيات كثيرة في هذا المعنى، ومعنى الإنزال أو التنزيل أن الله جل وعلا تكلم بالقرآن فسمعه جبريل فنزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم، فسمعه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل وقرأه على المسلمين بلغه إياهم، هذا معنى الإنزال والتنزيل وهذا فيه فائدتان كبيرتان:

الفائدة الأولى: أن القرآن من الله {تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [فصلت: ٢]، {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الزمر: ١]، {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [غافر: ٢]، وآيات كثيرة في هذا المعنى، فهذا دليل على أن القرآن تكلم الله به، والعلماء يقولون: بدأ من الله، أو بدا منه. إما بالهمز وإما بالتخفيف، كما قال: منه بدأ بلا كيفية قولًا. يعني بدا من الله، بدا بدون همزة يعني ظهر وبان من الله، وبالهمز بدأ يعني ابتدأه الله أي أن الله عز وجل هو الذي ابتدأ بالقرآن، لم يبتدئ به غيره ولم يتكلم به غيره قبله، وإذا قلنا: ظهر وبان من الله، أو قلنا: ابتدأه الله يعني أول من بدأ به، فهو بمعنى واحد، وأبو بكر الصديق –رضي الله عنه– لما نصره الله على مسيلمة وأتباعه، جاء من جاء منهم وقال: اذكروا شيئًا مما يزعم أنه قرآن. فقرأوا عليه بعض إفك وكذب مسيلمة، فقال: ويلكم أين ذهب بعقولكم، والله إن هذا لم يخرج من إله. يعني الظاهر من هذا الافتراء والكذب، وفي الحديث: (تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه مما خرج منه)، يعني القرآن، فالقرآن خرج من الله وبان من الله وظهر من الله، بدأ من الله، هذا المعنى الأول، ابتدأه الله أي أول من تكلم به فسمعه منه جبريل، لا كما يقول أهل الضلال من المعتزلة وأشباههم: إن كلام الله مخلوق، خُلق في الهواء، فأخذه جبريل. أو خُلق في اللوح المحفوظ. وهذا كلام باطل، فالله جل وعلا تكلم بالقرآن وهو صفة من صفاته غير مخلوق.

الفائدة الثانية: عندما نقول: بدأ من الله، أو نزل من عند الله، فإننا هنا ننفي علمنا بالكيفية، كيفية تكلم الله بالقرآن لا يدركها البشر؛ لأنها صفة من صفات الله، وصفات الله جل وعلا لا تدرك كيفياتها بعقول البشر كما تقدم من قاعدة كبيرة عند السلف أنهم يثبتون الأسماء والصفات من غير تكييف، أمروها كما جاءت

من غير كيف، فالقرآن غير مخلوق، والمعتزلة والجهمية وهم على طريق واحد في هذا المقام قالوا: إن القرآن مخلوق. ومعنى هذا أن القرآن لم يتكلم الله جل وعلا به، وبالتالي فهو ليس صفة لله وليس كلام الله، ولهذا هم يقولون: إذا قلنا: كلام الله، فهذا مجاز، ليس كلام الله حقيقة. وهذا كلام المعتزلة والأشاعرة والجهمية وغيرهم، فإذا قلت: كلام الله حقيقة هذا الشيء يخالفون أهل السنة فيه. وهذا من ضلالات أهل الأهواء أنهم يردون صريح النصوص بدعوى المجاز، ومراد المعتزلة ومن قال بقولهم أن الله جل وعلا خلق شيئًا فيه هذه الكلمات وفيه هذه الجمل، وهذا الشيء هو القرآن مخلوق من المخلوقات مثل الجبال والسماوات والأرض، وليس كلام الله ولم يتكلم الله جل وعلا به. وانظر شناعة هذا القول ومعنى هذا أن الله جل وعلا لا يتكلم، ولا يأمر بشيء، ولا ينهى عن شيء، فشبهوا الله جل وعلا بالمعدومات التي لا تأمر ولا تنهى ولا تتكلم، وشبهوه بالأبكم الذي لا يتكلم، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا.

كذلك من معاني ولوازم هذه المقولة الخبيثة: أن الرسالات كلها تبطل، فالرسول معه رسالة، والرسالة هي كلام الله ووحيه أوحاه الله إليه، وهم يقولون: لم يوح إليه شيء، هذا الكلام ليس من الله، هذا مخلوق من ضمن المخلوقات. يعني الذي قال له: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: ١]، ليس الله، هذا مخلوق من المخلوقات، هذا لازم لقولهم لزومًا لا محيد عنه؛ لأنهم جعلوه مخلوقًا، حتى قال عبد الله بن المبارك: ويلهم! أيقول: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} [طه: ١٤]، هذا مخلوق!. ويقول: من قال: إن قوله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١] مخلوق فقد كفر. وأنَّا لمخلوق أن يقول ذلك؟!. فمعنى قولهم: إبطال الرسالات كلها، كذلك الشرائع؛ لأن الشريعة مبنية على الأمر والنهي والوحي، فإذا كان الآمر والناهي مخلوق من المخلوقات بطلت الشريعة، ولوازم هذا القول الفاسد كثيرة جدًا، ولهذا أجمع السلف على أن من قال: القرآن مخلوق. فهو كافر، أجمعوا على هذا إجماعًا ظاهرًا واضحًا لا شك فيه ولا لبس فيه، وذكر هذا الإجماع البخاري -رحمه الله-، والإمام أحمد، وغيرهما من أئمة السنة، والذي يراجع شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي يجد الإجماعات منقولة وصريحة على أن القرآن كلام الله، ومن قال إنه مخلوق فقد كفر، وهذا مجمع عليه ليس فيه خلاف، والأقوال الضالة في مسألة الكلام كثيرة ذكرها ابن أبي العز الشارح وردها إلى تسعة أقوال تقريبًا وهذا منقول من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة له في كلام الله، والأقوال

التسعة هذه معروفة، أقوال الباطنية الغلاة، وأقوال الفلاسفة، وأقوال النفاة الجهمية والمعطلة، وأقوال المعتزلة، ثم الأشاعرة ثم الماتريدية ثم الكرامية ثم ذكر قول أهل الحديث أهل السنة والجماعة.

اعتقاد أهل السنة والجماعة في القرآن:

أن القرآن كلام، وإن كلام الله جل وعلا لم يزل ولا يزال الله جل وعلا موصوفًا بالكلام، وكلامه سبحانه وتعالى متعلق بمشيئته، وكلام الله بحرف وصوت، هذا تقريبًا خلاصة القول الحق.

اعتقاد المعتزلة والجهمية في القرآن:

قول المعتزلة الضلال وكذلك الجهمية ومثلهم الفلاسفة والباطنية وغلاة الاتحادية والصوفية أقوالهم لا تخرج عن مقالة المعتزلة بل هم أشد وأخبث وأوضح كفرًا وأوضح ضلالًا، فالمعتزلة يقولون: إن القرآن مخلوق، وأن القرآن ليس كلام الله حقيقة بل هو مجاز. فيطلقون على القرآن أنه كلام الله، وعند التحقيق لو سألتهم هل هو كلام الله حقيقة؟ يقولون: لا، الله ليس موصوفًا بالكلام. فالمعتزلة ينفون الصفات، ومن قال بهذه المقالة أجمع السلف على تكفيره.

والأشاعرة وقريب منهم الماتريدية يقولون: إن القرآن كلام الله لكن مجازًا، والقرآن كلام الله معنى نفسي ليس بحرف ولا صوت وإن هذا المعنى النفسي إن عُبّر عنه بالعربية صار قرآنًا، وإن عُبّر عنه بالعبرية صار توراة، وإن عُبّر عنه بالسريانية صار إنجيلًا، قالوا: وهذا المعنى النفسي لا يتعدد ولا يتبعض ولا ينقسم، شيء واحد، هو الخبر وهو الأمر والنهي، وهو الاستفهام. وقالوا في هذا المعنى النفسي: إنه لم ينزل، وإنما الذي نزل هذه الحروف وهي مخلوقة فالمتلو والمقروء بين المسلمين هذا مخلوق. هذه مقولة الأشاعرة قالوا: هناك شيئان شيئًا نزل وشيئًا لم ينزل. فجعلوا القرآن قسمين: معنى نفسي والحروف والكلمات، فالمعنى النفسي قالوا: هذا كلام الله غير مخلوق. وهذا هو الكلام حقيقة عندهم، أما القرآن المنزل فقالوا: هذا مخلوق. فصار قولهم من جهة يتشبهون بأهل السنة عندما يقولون: القرآن كلام الله. ويوافقون أهل السنة في الظاهر ويتظاهرون بالرد على المعتزلة كأنهم من طوائف أهل السنة، وفي الحقيقة هم يقولون: القرآن المتلو المنزل هذا مخلوق ليس كلام الله حقيقة. فيوافقون المعتزلة، ولهذا العلماء قالوا: حقيقة قولهم يرجع إلى قول المعتزلة. وهذه البدعة ما يسمى بالمعنى النفسي جعلوا الكلام هو المعنى النفسي، الكلمة تشتمل على أمرين: أحرف مجتمعة، ومعنى، فمثلًا: الإنسان يطلق على



الجسد ويطلق على الروح، لكن لو قُدم لك ميت لتصلي عليه، فنقول: هذه جثة؛ لأن الروح خرجت منه، والروح وحدها لا تسمى إنسانًا، فمجموع الأمرين يسمى إنسانًا، كذلك الكلام مشتمل على الحروف المجتمعة وعلى المعاني المفهومة منها، ولهذا لو سمعت حرفًا مثل همزة مكررة عشرات المرات لا تفهم منها شيئًا، فعامة الناس يفهمون أن الكلام مركب من حروف ومعانى، فهؤلاء الأشاعرة وكذلك الماتريدية وكذلك شيوخ أبي الحسن الأشعري وشيخ شيوخه الذي أخذ عنه هذه البدعة اسمه عبد الله بن سعيد بن كُلاب ويقال لجماعته الكُلابية، وابن كلاب هذا كان في زمن الإمام أحمد، ولما انتشرت فتنة المعتزلة نشر هذه المقالة السيئة حتى أحد كبار علماء المذهب الأشعري وهو الشهرستاني يقول في كتاب الملل والنحل أو كتاب آخر: إن بدعة المعنى النفسي لم يأت بها لا اليهود ولا النصارى ولا المسلمون، حتى جاء عبد الله بن سعيد بن كلاب وأحدثها. أنت فقط لو جلست تتصورها عرفت بطلانها، هي أصلًا لا تُتصور ولا تُتخيل، حتى عندهم الأشاعرة أنفسهم يختلفون في المعنى النفسي اختلافًا عظيمًا، حتى من كبارهم؛ الآمدي يقول: إن المعنى النفسي هذا اختلف فيه، فمنهم من يقول: هو شيء واحد ولا يتعدد ولا يتبعض ... إلى آخره. ومنهم يقول: هو أربعة أشياء: الخبر والأمر والنهي والاستفهام. ومنهم من يزيد على هذا إلى تسعة أشياء، فقال لهم العقلاء: كيف تقولون: إنه لا يتعدد ولا يتبعض؟! وقال لهم أبو نصر السجزي وجماعة من السلف نسألكم سؤال: موسى عليه السلام كلمه الله أو لا؟ وهل الذي سمعه موسى عليه السلام جميع كلام الله أم بعض كلام الله؟ الأشعري توقف هنا. لماذا؟ لأنه لو قال: سمع جميع كلام الله. يعني كل علم الله عنده وهذا لا يقول به عاقل، ومن قال: إن علم الله كله عند موسى عليه السلام فقد كفر، قال تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} [البقرة: ٢٥٥]، وإن قال: سمع بعض كلام الله. انتقض مذهبه، لأن الكلام أو المعنى النفسي لا يتبعض، مما يدل على بطلان مقالتهم، وهناك رسالة اسمها التسعينية لابن تيمية مطبوعة قديمًا في الفتاوى المصرية وهي رسالة كبيرة وحققت في جامعة الإمام وطبعت في ثلاث مجلدات، رد على الأشاعرة وأشباههم في مسألة المعنى النفسي من تسعين وجهًا، ولذلك سميت التسعينية، أولًا: هل المعنى النفسي يسمى كلامًا؟ الآن لو أنا ساكت وبيت في نفسي أنني أقول لك كلامًا وسكت، فهل يقال: إني تكلمت؟ وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله قد عفى لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم)، فدل على أن حديث النفس لا يسمى كلامًا، فإذا

تكلم الإنسان يدان ويحاسب، أما قبل أن يتكلم فحديث نفس لا يسمى كلامًا، والمقصود أن نعرف أصل هذه البدعة ومنشأها فقط، وليس هذا محل التوسع في الرد عليها، ومن آثار هذه البدعة عند الأشاعرة: أنهم نفوا أن يكون كلام الله بحرف وصوت، فجعلوا الكلام هو المعنى وليس بحرف ولا بصوت، وقالوا: هذه الحروف مخلوقة. ومعلوم أن أهل السنة يقولون: إن حروف كلام الله جل وعلا غير مخلوقة، وأما الحروف في كلام غيره فهي مخلوقة؛ لأن الحرف الراء والخاء والباء والهمزة والواو، هذه حروف مجردة لا يقال عنها مخلوقة أو غير مخلوقة حتى يكون في الكلام حقيقة واقعة، فحروف كلام العبد ترجع إلى كلام العبد وكلام العبد مخلوق، صفة من صفات العبد، وحروف كلام الله ترجع إلى كلام الله وكلام الله صفته غير مخلوقة؛ لأن الحرف من حيث هو هو مستقل لا يوجد، هل ترى حرف يمشي في الهواء، ليس له وجود، مثل السمع، البصر، العلم، كلمة السمع هل هي موجودة مستقلة؟ لا توجد، البصر كذلك، فالبصر والسمع والكلام والحرف هذه الأشياء لا توجد استقلالًا إنما توجد مضافة فإذا أضيفت اختصت، فإذا أضيفت إلى من ليس كمثله شيء صار هذه صفة من ليس كمثله شيء، وإذا أضيفت إلى المخلوق صارت تناسب المخلوق ونقصه وعجزه، والله جل وعلا ليس كمثله شيء، فهؤلاء قالوا: لا نثبت الحروف مطلقًا في كلام الله، فكلام الله ليس بحرف. ورد عليهم السلف، منهم: ابن قدامة، له رسالة طيبة في الرد على من أنكر الحرف والصوت، وهناك رسالة أخرى له في أن القرآن كلام الله، ومنهم السجزي في رسالته لأهل زبيد مشهورة ومطبوعة وحققت في الجامعة الإسلامية، وكل علماء أهل السنة ردوا عليهم هذا الكلام، وقالوا: إن كلام الله جل وعلا بحرف. ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: (لا أقول: الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)، وأجمع الصحابة والسلف على أن من أنكر حرفًا من القرآن فقد كفر، والقرآن كلام الله فكيف تنكر الحروف؟ وهو يتبعض منه الآيات ومنه السور والأجزاء، فكيف تقول: لا يتعدد ولا يتبعض؟! وكل شيء له معنى، فكيف تقول: إن المعنى واحد؟! هل آية الكرسي معناها {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى} [الإسراء: ٣٢]؟، هل {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [البقرة: ٤٣، وغيرها] مثل {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]؟، فكل شيء له معنى فكيف تجعلون المعنى واحد لا يتعدد ولا يتبعض ولا ينقسم؟! فهذه مقولة فاسدة وباطلة، وكيف تقولون: إن هناك قرآنان قرآن نزل وقرآن لم ينزل؟! المعنى النفسي لم ينزل والقرآن نزل، والقرآن هذا مخلوق، هذا كله كلام باطل وكفري، لكن المشهور عند السلف أنهم لا يكفرون باسم الأشاعرة، فلا

يقولون: الأشاعرة كفار؛ لأن الغالب عليهم أنهم يشتغلون بعلم الحديث والتفسير والفقه ودخل عليهم الغلط من جهة التقليد والإعجاب ببعض علماء أهل الكلام، ومن جهة الشبه الكثيرة التي دخلت عليهم، من أجل هذا لا يطلقون القول بتكفيرهم بخلاف الجهمية فإنهم أطلقوا القول بتكفيرهم، وهذه المسألة مهمة في أن تعرف الفرق بين الطوائف وأنها ليست في منزلة واحدة.

ومذهب السلف مذهب أهل السنة والجماعة: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، والقرآن بحرف وصوت لكن صوت كلام الله جل وعلا ليس كصوت البشر ولا نعرف كيفيته ولا يدرك أحد ذلك؛ لأن الله جل وعلا ليس كمثله شيء، وإذا قرأ القارئ القرآن فإنه المقروء هو كلام الله وأما الصوت المسموع من القارئ فهو صوت العبد صوت المخلوق، وجبريل عليه السلام سمع كلام الله من الله جل وعلا، وأما إذا سمع العباد القرآن فإنهم يسمعون كلام الله ممن يبلغ عنه، فالرسول صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل ويبلغه {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: ٦٧]، والصحابة بلغوا القرآن إلى من بعدهم، والتابعون ومن بعدهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك قد نشأ غلط عند بعض الناس من عدم التفريق في هذه المقامات, وهي مقامات واضحة؛ لأن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئًا منشئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا، فيضاف الكلام حقيقة إلى من أنشأه وابتدأه وظهر منه، وهذه مسألة عقلانية يفهمها كل البشر، مثلًا: إنسان قال: هذا البيان من الرئيس أو الملك، أمرنا بكذا وكذا. وهذا الإنسان مذيع في الإذاعة مثلًا، فلا أحد يقول: إن هذا المذيع هو الملك أو هو الآمر الناهي، وإنما هذا مبلغ، وإذا ذكرت قصيدة من القصائد المشهورة فستقول أنت إنها لفلان ولا تنسبها للقارئ؛ لأنك تعرف القصيدة، وتنسبها إلى من ابتدأها، وإذا أنت سمعت خطيب يخطب ويقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله وإلى رسوله، فهجرته إلى الله وإلى رسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه)، وهذا كلام الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه هو الذي ابتدأه، فالكلام لا يضاف حقيقة إلى المبلغ الناقل وإنما يضاف حقيقة إلى المبتدئ المنشئ له، فإذا قال القارئ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة: ٢-٤]، فتقول: هذا كلام الله. لكن الصوت الذي سمعته صوت القارئ، صوت البشر، فالصوت مخلوق لكن الكلام الذي تكلم

الله به غير مخلوق، والمداد مخلوق، والورق مخلوق، لكن المقروء كلام الرب جل وعلا غير مخلوق، المسموع كلام الرب جل وعلا غير مخلوق، المنظور كلام الرب جل وعلا غير مخلوق، المتلو كلام الرب غير مخلوق، وهكذا، وصوت كلام الله غير مخلوق، فالله جل وعلا إذا تكلم تكلم بصوت، كما في الصحيح: (يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار)، الحديث، وهذا صريح فإن الله جل وعلا ينادي، والنداء والقول لا يكون إلا بصوت، فصوت كلام الله الذي يتكلم الله به حق، وصفه من صفاته سبحانه لكن لا ندرك كيفيته ولا ندخل في ذلك متأولين ولا مكيفين ولا ممثلين، فإن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قوله: (وأَيْقَنُوا أنه كلامُ الله تعالى بالحقيقة): وهذا فيه الرد على من يقول بالمجاز، كالذين يقولون: إن المعنى نفسي. أو يقولون: إنه مخلوق وليس كلام الله حقيقة.

قوله: (ليس بمخلوقٍ ككلامِ البَرِيَّةِ): كلام البشر مخلوق، كلام الجن مخلوق، كلام الملائكة مخلوق، أما كلام الرب جل وعلا فإنه غير مخلوق.

قوله: (فمن سِمِعَهُ فَزَعَمَ أَنَّهُ كلامُ البشرِ، فَقَدْ كَفَرَ): وهذا لا شك فيه، حتى جميع الطوائف لا تخالف، فالطوائف من المعتزلة والأشاعرة يقولون: من قال: إنه قول البشر مثل الوليد بن المغيرة فقد كفر. لكن أراد المصنف بهذا الرد عليهم وإلزامهم.

قوله: (وقد ذمَّهُ الله وعابَهُ وأوعَدهُ بسَقَر، حيث قال تعالى: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} [المدثر:٢٦]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لمنْ قال: {إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} [المدثر:٢٥]، عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ): وهذا من الاستدلال الجيد، لما بين الله سبحانه وتعالى أن من قال: إنه قول البشر. فقد كفر، علمنا أنه قول خالق البشر.

قوله: (وَمَنْ وَصَفَ الله بِمعنَى مِنْ مَعاني البشر، فقدْ كفَر، فمن أبْصَرَ هذا اعْتَبر، وعَنْ مِثْلِ قول الكفَّارِ انْزَجَر، وعَلِمَ أنَّه بصفاته ليسَ كالبشر): من قال: إن هذا قول جبريل. فقد كفر، ومن قال: إن هذا خُلق في الهواء وليس قول الله. فقد كفر، فالقرآن هو قول الله وهو كلامه، ومن وصف الله جل وعلا بمعنى من

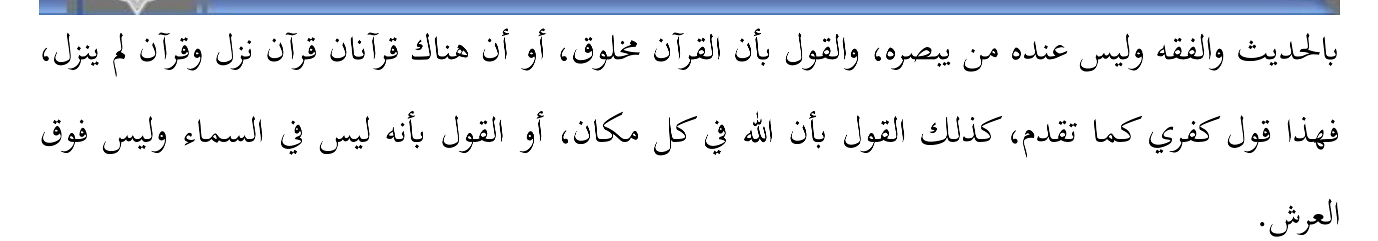
معاني البشر فقد كفر وتُوعد بسقر، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى:١١].

س: قول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} [الحاقة: ٤٠] [التكوير: ١٩]، في سورة الحاقة وفي سورة التكوير ما معناه؟.

ج: أي رسول مبلغ، أي أن هذا القرآن ليس مأخوذًا من أهل الباطل وليس بشعر ولا بكهانة بل هذا قول رسول أي تبليغ رسول، ولهذا في سورة الحاقة الرسول غير الرسول المشار إليه في سورة التكوير، في سورة الحاقة: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ} [الحاقة: ٤٠، ٤١]، فالرسول هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم، وفي سورة التكوير: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ} [التكوير: ١٩، ٢٠]، هو جبريل عليه السلام؛ لأن القرآن سمعه جبريل من الله جل وعلا ثم بلغه جبريل عليه السلام لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم بلغه محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس، فهذا القرآن مأمون فلا يتطرق إليه شك ولا ريب، فسنده محفوظ {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]، فالرسول يوحي بأن معه رسالة، فهذا القول قول رسول كريم أمين، فوصفه بالأمانة ووصفه بأنه رسول يعني معه رسالة، {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} [الحج: ٧٥]، فالرسل يبلغون الخلق كلام الله جل وعلا وأوامره ونواهيه وشريعته وما يحبه وما يغضبه وهكذا.

س٢: هل الأشاعرة كفار؟.

ج: لا نقول أنهم كفار، فالأشاعرة والماتريدية نقول عنهم: مبتدعة ضلال وكذلك الكرامية، لكن مثلًا الجهمية والمعتزلة والفلاسفة والحلولية فهؤلاء كلهم كفار، أجمع السلف على تكفير هذه الطوائف، وقد تنقل عنهم بعض المقالات ويكفر إذا أقيمت عليه الحجة ودحضت عنه الشبه مثل المشهور عن الأشاعرة إنكار العلو، وأجمع السلف على تكفير من أنكر علو الله جل وعلا، ومثل ما نُقل عن بعضهم القول بالحلول وأن الله في كل مكان، وأجمع السلف على تكفير من قال بهذه المقالة، فهذا فيه تفصيل عند العلماء فيما يتعلق بالطوائف التي عندها اشتباه وعندها اجتهاد وتحري لكن غلطوا، ما هدوا إلى الحق، فبعضهم يكون مشتغلًا



بالحديث والفقه وليس عنده من يبصره، والقول بأن القرآن مخلوق، أو أن هناك قرآنان قرآن نزل وقرآن لم ينزل، فهذا قول كفري كما تقدم، كذلك القول بأن الله في كل مكان، أو القول بأنه ليس في السماء وليس فوق العرش.

س٣: الحديث القدسي؟.

ج: الحديث القدسي كلام الله لكن ليس له حكم القرآن؛ لأن القرآن له أحكام من جهة قراءته وثواب تلاوته، ومن جهة مسه ومن جهة صحة الصلاة به، ونحو ذلك، أما الحديث القدسي ليست له أحكام القرآن، ومن الناس من يقول: إن الحديث القدسي بالمعنى؛ لأنهم نظروا إلى أنه يروى وتختلف الألفاظ فيه. وهذا ليس بسديد والصواب أن الحديث القدسي هو كلام الله أيضًا لكن إذا صح وثبت لكن ليس له أحكام القرآن.

س٤: معنى كلمة الحقيقة والمجاز؟.

ج: هذا له بحث طويل لكن اختصاره أن المتأخرين من البلاغيين في القرن الرابع أو أواخر القرن الثالث وما بعده، يقولون: إن الكلام ينقسم إلى نوعين: حقيقة ومجاز، ويقولون: إن المجاز لا يراد به ظاهره وإنما يراد به معنى آخر بقرينة تدل على ذلك. فيعبرون عنه بأنه صرف لظاهر الكلام عن حقيقته لوجود قرينة، ولهم تعريفات في هذا، ومثاله: رأيت أسدًا يخطب. يعني رجل جريء وشجاع على المنبر يخطب وليس هو أسد الحيوان المفترس، فيسمون هذه الصيغة مجاز، لكن علماء أهل السنة كثير منهم يرد هذا القول، يرد وجود المجاز في الكلام، ويقولون: الكلام كله حقيقة. لكن الحقيقة ما دلت عليها السياق والسباق والألفاظ، ولا نقول: إن الكلام ينقسم إلى حقيقة ومجاز. لكن استخدام لفظ الأسد مع وجود يخطب صار حقيقة، ليس مجازًا فعندما يسمع السامع الإنسان لا يتصور حيوانًا مفترسًا يخطب، فيعرف المراد بمجرد السماع، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- له رسالة في إبطال المجاز، والعلماء في المجاز منهم من يقول بإثباته مطلقًا، ومنهم من يقول بنفيه مطلقًا، وهذا يُنقل عن ابن تيمية وابن القيم وجماعة من المتقدمين من المحققين، فيذكرون إبطال المجاز مطلقًا، ومن علماء أهل السنة من يقول بإثبات المجاز لكنهم يقولون: في باب الصفات وفي باب الأسماء لا يدخل هذا؛ لأن الأصل الحقيقة. ومن العلماء من يفرق فيثبت المجاز إلا في القرآن، والقول الأول هو قول قوي



وهو الأقرب وهو الأسلم للمؤمن لكن التسلط على النصوص بأن هذا مجاز فهذا تحكم واعتداء، وما جر من جر إلى القول بتعطيل النصوص وعدم الإيمان بها وعدم العمل بها إلا هذه القواعد التي قعدوها، حتى إن ابن القيم كان يسميها طاغوتًا في كتابه الكبير الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.

*** المتن ****

٣٤- والرؤْيةُ حقٌّ لأهلِ الجَنَّة، بِغَيْرِ إحاطَةٍ ولا كَيْفيَّةٍ، كما نَطق به كتابُ ربِّنا {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة:٢٢-٢٣]، وتَفْسيرُهُ عَلى ما أرادَهُ الله تَعالَى وَعلِمَهُ.

وكلُّ ما جاءَ في ذَلك مِنَ الحديث الصَّحيح عَن الرسولِ صلى الله عليه وآله وسلم فهو كما قال، وَمَعناهُ على ما أراد، لا نَدْخلُ في ذلك مُتَأَوِّلين بآرائنا، ولا مُتَوَهِّمِينَ بأهْوَائنَا، فإنَّهُ مَا سَلِم في دينه إلاَّ مَنْ سَلَّمَ لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسُولِه صلى الله عليه وآله وسلم، وردَّ علْمَ ما اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إلى عَالِمِهِ.

٣٥- ولا تَثْبتُ قَدَمُ الإسلام إلاَّ على ظَهْرِ التَّسْليم والاسْتِسْلاَمِ. فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُه، ولَم يَقنعْ بالتَّسلِيم فَهْمُهُ، حَجبَه مَرامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيد، وصَافي المعرِفةِ، وصَحيح الإيمانِ؛ فيَتَذَبْذَبُ بينَ الكُفرِ والإيمانِ، والتَّصْدِيقِ والتَّكْذِيبِ، والإقْرارِ والإنكارِ، مُوَسْوَسًا تَائِهًا، شَاكًّا، زائِغًا، لا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، ولا جَاحداً مُكَذِّبًا.

٣٦- وَلا يَصحُّ الإيمانُ بالرُّؤْية لأهْل دارِ السَّلامِ لِمن اعْتَبَرَهَا مِنهُم بِوَهْمٍ أوْ تأوَّلَهَا بِفَهْمٍ إذْ كان تأويلُ الرؤْية وتأويلُ كل مَعْنَى يُضَاف إلى الرُّبُوبيَّة بِتَرْكِ التَّأْويلِ ولُزوم التَّسْليمِ. وعليه دينُ المسْلمين. ومن لم يَتَوقَّ النَّفْيَ والتشْبِيهَ، زلَّ ولَمْ يُصِب التنْزِيهَ. فَإنَّ رَبَّنا جَلَّ وعَلا موصوفٌ بصفاتِ الوحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعوتِ الفَرْدَانِيَّة، ليسَ في معناه أحَدٌ من البَرِيَّة.

*** الشرح ****

قوله: (والرؤية حقٌّ لأهلِ الجَنَّة، بِغَيْرِ إحاطَةٍ ولا كَيْفيَّةٍ، كما نَطق به كتابُ ربِّنا {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}[القيامة:٢٢-٢٣]): المراد بالرؤية هنا رؤية الله جل وعلا في الدار الآخرة، في عرصات القيامة وفي الجنة، والمؤلف هنا قال: والرؤية حق لأهل الجنة. ولا ينافي هذا الرؤية أيضًا يوم القيامة، فيؤمن أهل

السنة والجماعة بأن الله جل وعلا يُرى بالأبصار عيانًا في الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية فإذا رأوه لا يحيطون به؛ لأن الله جل وعلا قال: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣]، أي لا تحيط به، ولا كيفية رؤية الله جل وعلا فلا يمكن أن يدركها العباد، وهي أعلى وأعظم نعيم أهل الجنة.

قوله: (كما نَطق به كتابُ ربّنا {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}[القيامة:٢٢-٢٣]):

ناضرة الأولى من النضرة، وناظرة من النظر، تنظر إلى وجه ربها نظرًا، وفي التنزيل وردت مواضع تدل على إثبات الرؤية هذه أحدها في سورة القيامة.

الموضع الثاني: في سورة المطففين في الكفار قال الله عنهم: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥]، قال الشافعي، وسفيان بن عيينة، وجمع من السلف: لما أن حجب الكفار في حال السخط دل على أن أولياءه يرونه في حال الرضا.

الموضع الثالث في سورة يونس: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: ٢٦]، وفي صحيح مسلم عن صهيب الرومي أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال: (الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم).

الموضع الرابع: في سورة ق: {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} [ق: ٣٥]، نُقل عن أبي بكر الصديق وبعض الصحابة -رضي الله عنهم- قالوا: المزيد هو النظر إلى وجه الله الكريم.

الموضع الخامس: الآيات التي وردت في إثبات اللقاء {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ} [الكهف: ١١٠]، وما كان مثلها قالوا: اللقاء لا يكون إلا عن مواجهة ورؤية.

وإثبات رؤية الله عز وجل في الآخرة في السنة متواترة تواترًا قطعيًا، رواها أكثر من خمسة وعشرين صحابي، وروى عن هؤلاء الصحابة المئات من التابعين، وروى عن التابعين الألوف المؤلفة، أحاديث كثيرة جدًا عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات الرؤية وأن الله جل وعلا يُرى يوم القيامة وفي الجنة يراه المؤمنون، ومنها حديث جرير بن عبد الله البجلي في صحيح البخاري (إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته)، وفي حديث أبي هريرة: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم على ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس -يعني الفجر- وصلاة قبل غروبها -يعني العصر- فافعلوا)، وحديث: (يكشف الله الحجاب فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إلى وجهه الكريم)، وأحاديث كثيرة

جدًا، وهذه الأحاديث آمن بها أهل السنة وأثبتوها، ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الدجال وأنه يدعي الربوبية قال: (مكتوب بين عينيه كافر، يقرأها كل مؤمن يكتب أو لا يكتب)، وقال صلى الله عليه وسلم: (واعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت)، يعني أن هذا ليس برب هذا كذاب دجال، لا يغرنك المخاريق التي معه، من جنة ونار ويأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت، فانتبه واحذر، حتى أنه يأمر القرية الخربة أن تُخرج كنوزها، وهذا دليل على إثبات الرؤية في الآخرة وإبطال الرؤية في الدنيا، وهذا فيه الرد على الصوفية الذين يقولون: إنهم رأوا ربهم ونظروا إليه في الدنيا. وإجماع أهل السنة أنه لا يمكن رؤية الله عز وجل في الدنيا إلا أنهم اختلفوا في حق نبينا صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه في ليلة الإسراء والمعراج أم لا؟ والمشهور أنه لم ير ربه تلك الليلة صلى الله عليه وسلم، وموسى عليه السلام قال: {رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣]، فأخبره الله عز وجل أن هذا لا يمكن، وهذا لضعف الأجساد؛ لأن الجبل على صلابته وشدته {جَعَلَهُ دَكًّا}، لكن في الآخرة يقوي الله جل وعلا أجساد الخلق حتى يتمكنوا من رؤيته ولا يصيبهم هذا الشيء، وهذا الأمر يدل على إثبات الرؤية لا كما يقول المعتزلة أن قوله عز وجل: {لَنْ تَرَانِي} دليل على أن الله لا يُرى. وهذا غلط، فقوله: {لَنْ تَرَانِي} يعني في الدنيا، ولهذا قال العلماء: لن لا تفيد النفي المؤبد. فمثلًا قولنا: لن أعطيك الماء. فليس نفي مؤبد، ويُنقل عن ابن مالك هذا البيت:

ومن رأى النفي بلن مؤبدًا ... فقوله اردد وسواه فاعضدا

فمن رأى أن لن تفيد التأبيد فقوله اردد، وسواه فاعضدا يعني القول الثاني، والله جل وعلا قال: {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا} [البقرة: ٩٥]، اليهود لن يتمنوا الموت أبدًا، وقال تعالى: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} [الزخرف: ٧٧]، نريد الموت، إذن لن لا تفيد التأبيد كما زعم هؤلاء، وهناك طريقة عجيبة ذكرها بعض أهل العلم: أنه لا يوجد مبتدع يستدل بنص على بدعته إلا وفي نفس الموضع وفي نفس النص ما يرد بدعته وينقضها؛ لأن فهمه مغلوط، فهمه فهم هوى، ولذلك يكون في النص من الرد عليه ما يبطل به بدعته، أيضًا أجمع السلف على إثبات الرؤية والإيمان بها، حتى ظهرت المعتزلة والجهمية وأنكروا الرؤية، وقالوا: هذا تحديد وتجسيم وهذا

كفر وضلال. فالله جل وعلا ثم رسوله صلى الله عليه وسلم أخبر بهذا، فالواجب على المؤمنين والمسلمين أن يؤمنوا بما أخبر الله جل وعلا وأن يَدَعوا طريقة أهل الزيغ والضلال.

وهناك طائفة أخرى أثبتت الرؤية لكنها خالفت فيها وهم الأشاعرة، فإنهم قالوا: نثبت الرؤية من غير جهة، ولا نثبت العلو. لذلك يقولون: يُرى من غير جهة. والمراد بقولهم هذا أنهم لا يثبتون العلو، وهذا تناقض، ولهذا كبار علماء الأشاعرة يقولون: حقيقة قولنا هو قول المعتزلة، وأن المراد عندنا بالرؤية هي مزيد انكشاف علم. فهم يحرفون النصوص، فيقولون في قوله صلى الله عليه وسلم: (إنكم سترون ربكم)، أي ستعلمون ربكم، والكفار على هذا المبدأ يرون ربهم وهذا يدل على بطلان قولهم، فليس معنى يرى يعلم، فمعنى الرؤية هنا الرؤية بالأبصار وفي الحديث: (إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون القمر)، وهذا تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي، فالله ليس كمثله شيء، وأنت حينما ترى الشمس والقمر هل تحيط بها من كل الجهات وهي مخلوقة؟! والله جل وعلا أعلى وأجل وأعظم وله المثل الأعلى، أيضًا من جهة العلو فأنت حينما تنظر إلى الشمس والقمر تنظر إليها في العلو، والله جل وعلا أعلى وأعظم وأجل وليس كمثله شيء.

وأيضًا غلاة الصوفية يقولون: إن الله يُرى في الدنيا. رأيت ربي، وحدثني ربي، ... إلى آخره وهذا كذب وافتراء.

س: هل يُرى الله في المنام؟.

ج: الرؤية في المنام ليس لها أحكام اليقظة، فرؤيا المنام كما هو معلوم من باب ضرب الأمثال وليس المرئي في المنام هو الحقيقة، ومن نُقل عنه من المتقدمين أنه رأى الله جل وعلا في المنام فنقول: أولًا: نُقل عن نبينا صلى الله عليه وسلم والحديث صحيح أنه قال: (رأيت ربي في أحسن صورة)، وهذه رؤيا منام، والحديث عند الترمذي في اختصام الملأ الأعلى قال صلى الله عليه وسلم: (أتاني ربي في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك ربي وسعديك، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: رب لا أدري، فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما بين المشرق والمغرب) الحديث، وهذه رؤيا منامية وهذا حق، لكن المرئي في المنام ليس الحقيقة والواقع؛ لأن المرئي في المنام هو ضرب أمثال، ولهذا يقول هؤلاء: من رأى الله في صورة حسنة، ومن رأى الله في صورة غير حسنة، هكذا يقول المعبرون؛ لأن المقصود عندهم الرؤيا هنا المثل الذي ضرب، مما



يدل على توبة، ومما يدل على كذا، وقد يرى الإنسان نخلة، وقد يرى كذا فهذا ضرب أمثال وقد يكون من الملك وقد يكون من الشيطان، فقد يتسلط الشيطان على العبد في منامه، فالمرئي في المنام ليس هو الحقيقة والله جل وعلا ليس كمثله شيء، ومن علماء السنة من يقول: لا يصدق كل من ادعى رؤية الله جل وعلا في المنام. لأنه كثر ادعاء هذا من الخرافيين ويبنون عليها أشياء كثيرة، ومن رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخبر أن الشيطان لا يتمثل به فإنه لا يبني على هذه الرؤية حكم شرعي، فلا يقول مثلًا: الراجح في مسألة أكل لحم الجزور كذا وكذا؛ لأني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأخبرني بكذا وكذا. فلا نبني الحكم على هذه الرؤية أبدًا ولا نعتمدها، قد يكون هذا استئناس أما أن يعتمد عليها أو تكون هي العمدة فلا، فلا يؤخذ من هذا أحكام ولا تشريعات، الوحي انقطع، بل هي مبشرات تسر المؤمن ولا تغره، قال رجل للإمام أحمد: أمي رأتك في الجنة. فقال: دعني من هذا، هذا سهل بن سلامة ما زال الناس به في الرؤى حتى كان آخر أمره أنه خرج وسفك الدماء.

قوله: (وتَفْسيرُهُ عَلى ما أرادَهُ الله تَعالَى وَعَلِمَهُ): أي إثبات النظر كما أخبر سبحانه وتعالى، وأما الكيفية والحقيقة والكُنه فهذا غيب.

قوله: (وكلُّ ما جاءَ في ذَلك مِنَ الحديث الصَّحيح عَن الرسولِ صلى الله عليه وآله وسلم فهو كما قال، وَمَعناهُ على ما أراد): نؤمن بهذا، ومن أراد النظر في الحديث ينظر في الصحاح والسنن، وقد جمع ابن القيم –رحمه الله– في كتابه الكبير حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ذكر هذه الأحاديث فيما يتعلق بنعيم أهل الجنة.

قوله: (لا نَدْخلُ في ذلك مُتَأَوِّلين بِآرَائنا، ولا مُتَوَهِّمِينَ بأهْوَائنَا): الإنسان إذا كان عنده رأي يعتقده ثم سمع النص له موقفان:

الأول: موقف السلف الصالح فيطرح رأيه إذا كان مخالفًا لما عليه السلف، فأنت بشر وقد يُقذف في قلبك تصور معين أو رأي معين فاطرح هذا التصور وهذا الرأي إذا كان مخالفًا.

الثاني: موقف أهل البدع والأهواء إذا رأى هذا الرأي جعل النص موافقًا لرأيه وأخذ يلوي أعناق النصوص ويرد ظاهرها ويؤولها ويضعف أحاديث في الصحيح حتى يوافق هذا رأيه.

وأيضًا لا ندخل متوهمين بأهوائنا والتوهم في باب صفات الله جل وعلا بحقيقة صفاته وكيفيتها هذا من المحرمات، أما معنى الصفة فنؤمن بها ونعلمه، مثل ما قال الإمام مالك في الاستواء: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. فالاستواء غير مجهول المعنى، معناه واضح.

قوله: (، فإنَّهُ مَا سَلِمَ في دينه إلاَّ مَنْ سَلَّمَ لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسُولِه صلى الله عليه وآله وسلم، وردَّ علْمَ ما اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إلى عَالِمِهِ): هذه الجملة عظيمة ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]، وهذا حق في الحاكمية والحدود وأيضًا في باب الأسماء والصفات، فلماذا لا تتبع ما أنزل الله؟ ولما تتبع طريقة أهل البدع والضلال وتترك ما أنزل الله جل وعلا وتسلم للنصوص؟ ألم ينزل الله عز وجل هذه الأسماء والصفات {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [المجادلة: ١]، انظر لفظ سمع، وانظر إلى {وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا}، والثالث: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}، ثم يأتي هذا الضال المضل المبتدع ويقول: إن الله لا يسمع. تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا، فالحكم بما أنزل الله أن تعتقد وتلزم الناس وتبين لهم هذه العقيدة وتسلم لها تسليمًا، فما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل، وسلم لرسوله صلى الله عليه وسلم، ورد علم ما اشتبه إلى عالمه، فالشيطان يوسوس ويقذف الشبهات في القلب، فإذا اشتبه عليك الأمر ترده إلى عالمه، وهذه قاعدة عظيمة، ذكر الله في سورة آل عمران وفي غيرها من المواضع {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ} [آل عمران: ٧]، وهذه الآية احفظها جيدًا وافهم معناها، والله! إذا تمسك بها المؤمن نجى –بإذن الله– من كل فتنة، فمن القرآن آيات محكمات والإحكام هنا الواضحات الدلالة لا تخفى، {هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ}: أي الأصل الذي يُرجع إليه، ثم قال: {وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}: أي قد تخفى دلالتها على بعض الناس، هي في نفسها بينة واضحة عند أهل العلم، لكن عند بعض الناس قد تخفى عليه، {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران: ٧]، الذين في قلوبهم زيغ يبحثون عن الفتنة، أو يبتغون التأويل الذي هو الحقيقة ويتطلعون إليها

وهم لم يبلغوا ذلك، {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ}، علم الساعة مثلًا يظل يبحث ويريد أن يعلم متى الساعة مفتون، أو يقول: المراد بصفة الله كذا وكذا، أو المراد بنعيم الجنة كذا وكذا، أو صفة فواكه أهل الجنة، كيف شكلها؟ كيف ملمسها؟ وأمور أخرى كثيرة لا تدري عنها، والله أعلم بها، فالواجب رد علمها إلى الله، ثم قال: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} أي المواضع التي فيها اشتباه لا ينفع إلا هؤلاء، ولا يغتر أحد بمثل شخص عندما يقرأ القرآن يبكي كثيرًا، أو الذي يتصدق بأموال كثيرة، فإذا لم يكن راسخًا في العلم فلا يُعتد به، {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}، ثم ذكر دعاءهم {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} مع رسخوهم في العلم هم أهل لجوء ودعاء وتوكل على الله والرجوع إليه (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك)، هذه الآية قرأها النبي صلى الله عليه وسلم وقال لعائشة –رضي الله عنها–: (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم).

مثال: في باب الشرك يخوض دعاة الشرك الخرافيين {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: ٦٢]، الأولياء لهم جاه ومكانة، والأنبياء لهم مكانة عند الله، والأولياء لهم كرامات، اطلب منهم، ألا تؤمن بقوله: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}؟ فأنت إذا كنت عاميًا أو ليس عندك معرفة تفصيلية بالدليل الذي أورده صاحب الشبهة ترجع إلى العلماء، قال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن:١٨]، وهذا صريح واضح، {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠]، {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة: ١٨٦]، {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر: ١٣]، والآيات كثيرة، فترد المشتبه عليك إلى المحكم وأجمع بين النصوص.

مثال آخر: المحكم عندنا {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الفرقان: ٦٨]، وقال صلى الله عليه وسلم: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا)، الحديث، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا)، (ما أعظمك وأعظم حرمتك وإن دم المؤمن أعظم عند الله حرمة منك)، وهذا محكم مثل الشمس، فيرد ما اشتبه إلى المحكم وينجو من فتنتهم ولا يخالطهم ولا يجالسهم ويحذر منهم، وقس على هذا.

وروى أهل السنن عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه، حب الرمان من الغضب، فقال: (بهذا أمرتم، أو لهذا خلقتم، إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وإنما كتاب الله يصدق بعضه بعضًا، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا به، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه) فقال: عبد الله ابن عمرو: ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه. ومع الأسف هذا الجدال والمراء في الدين منهي عنه، يجب على المؤمن أن يحذر من هذه المجالس، فلا تجلس مع الجهال، وإذا كانوا طلبة علم فلا تدرسون المسائل هكذا بالتناقض وتضارب النصوص، فما علمتم فقولوا، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه، فالقرآن نزل يصدق بعضه بعضًا، ولهذا يقول المصنف: ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه. فإذا ألقى عليك الشيطان وسواس أو شبهة تعوذ بالله من الشيطان الرجيم، في باب الرؤية، في باب الصفات، فما أكثر ما يلقي الشيطان على المؤمن، وعن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني أحدث نفسي بالشيء، لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة)، سماها النبي صلى الله عليه وسلم وسوسة، وهذه الوسوسة صارت قواعد عند أهل البدع وأهل الكلام وفرحوا بها وطاروا بها وأخذوا بها وجعلوها أصول يتمسكون بها، بدل أن يستعيذوا بالله من الشيطان ويرجعون إلى النصوص ويسلمون لها، فنسأل الله السلامة والعافية.

قوله: (ولا تَثْبتُ قَدَمُ الإسلام إلاَّ على ظَهْرِ التَّسْليم والاسْتِسْلاَمِ): سلم للنصوص واستسلم، ومعنى الإسلام الاستسلام لله بالتوحيد، انقياد، وانظر إلى البعير يقوده الصبي بالحبل، فأنت تنقاد لله عز وجل إذا أمرك أو نهاك، وإذا أخبرك تصدق الخبر.

قوله: (فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُه): يبحث عن شيء محظور عنه مثل القدر، مثل كيفيات صفات الله، مثل متى تقوم الساعة، مثل أمور أخرى محظورة عنك ما أُخبرت بها ولا بُلغت بها وليست من العبادة التي كُلفت بها فتذهب وتتكلف أنت؟! {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} [ص: ٨٦]، قال صلى الله عليه وسلم: (إياكم والتنطع، إياكم والغلو، هلك المتنطعون)، ليس فقط الغلو في العبادة،

حتى الغلو في هذه الأمور إذا أراد أن يبحث فيما لم يُبلغ به، والصحابة لما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر)، هل قال أحد منهم كيف ينزل؟، ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر الصحابة أن الله جل وعلا يضحك، هل قال أحد الصحابة: كيف يضحك الله جل وعلا؟، لكن قالت عائشة –رضي الله عنها-: أو يضحك ربنا؟ قال: (نعم) قالت: لن نعدم من رب يضحك خيرًا. وهذا تثبت من عائشة –رضي الله عنها– وليس فيه السؤال عن كيفية الضحك، فلما علمت أن هذا من صفات الله جل وعلا آمنت وسلمت، وسأل الله من فضله وعلم أن من لوازم هذه الصفة أن الله جل وعلا إذا ضحك إلى عبده أعطاه الخير وأعطاه الجنة ورضي عنه.

قوله: (فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُه، ولم يَقنعْ بالتَّسليم فَهْمُهُ، حَجَبَه مَرامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيد، وصَافِي المعرِفةِ، وصَحيح الإيمانِ؛ فيَتَذَبْذَبُ بينَ الكُفرِ والإيمانِ، والتَّصْدِيقِ والتَّكْذِيبِ، والإقْرارِ والإنكارِ، مُوَسْوَسًا تَائِهًا، شَاكًّا، زائِغًا، لا مُؤْمِنًا مُصَدِّقًا، ولا جَاحداً مُكَذِّبًا): وهذا حال كثير من علماء الكلام، وقعوا في الوسوسة، ووقعوا في الشك والحيرة، وأبوا لمعالي الجويني من كبارهم –رحمه الله- تاب في آخر عمره وهو من الشافعية لكنهم كما قال النووي: لا يؤخذ بقوله لا في الخلاف ولا في الوفاق. فلا يعد من المصححين في المذهب أو لهم توجيه في المذهب ولم يكن يعرف الصحيحين ولم يعرف الأحاديث، كان مشتغلاً بعلم الكلام، قال في آخر حياته: الويل لابن الجويني، لقد خضت في الذي نهاني عنه علماء الإسلام، فإن لم يتداركني الله برحمة منه فالويل لابن الجويني، ها أنا أموت على عقيدة عجائز نيسابور. والعجوز تموت على الفطرة، تعظم كلام الله جل وعلا وتحب كلامه وتؤمن بما أخبر به ولا تشك، فإذا سألت المسلم أين الله؟ قال: في السماء. كما سأل النبي صلى الله عليه وسلم الجارية قال لها: (أين الله؟) قالت: في السماء. قال لها: (من أنا؟) قالت: أنت رسول الله. قال: (اعتقها فإنها مؤمنة).

المجلس: ٤ .

قوله: (وَلا يَصحُّ الإيمانُ بالرُّؤْية لأهْل دارِ السَّلامِ لِمن اعْتَبَرَهَا مِنْهُم بِوَهْمٍ أوْ تأوَّلَهَا بِفَهْمٍ): الذي يتجرأ على النصوص الشرعية الآيات القرآنية والأحاديث بوهمه أو يحرف النصوص، هل صح إيمانه؟ لا، فالإيمان

أن تسلم وتستسلم لكلام الله جل وعلا وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، أما الذي يجعل وهمه أو فهمه هو الحكم ويرد ويلوي أعناق الأدلة ويضعف النصوص ويردها، فهذا لا يصح إيمانه بالرؤية وربما حُرم منها، نسأل الله السلامة.

قوله: (إذْ كانَ تأويلُ الرؤْية وتأويلُ كل مَعْنَى يُضَاف إلى الرُّبُوبيَّة بِتَرْكِ التَّأْويلِ ولُزوم التَّسْليمِ. وعليه دينُ المسْلِمين): إذا كنت تريد السلامة اترك تأويل أهل البدع والتحريف، واترك لي أعناق الأدلة، اترك هذه الأشياء وسلم للنصوص، هذا هو التأويل الذي ينجيك، فالتأويل يطلق على عدة معاني، منها التفسير، ومنها الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، ويطلق بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره لمعنى آخر، وهذا عند المتأخرين، فالتأويل الذي فيه سلامتك ونجاتك هو بترك التأويلات التي عليها أهل البدع، وهذا ليس فقط في الرؤية بل في كل معنى يضاف إلى الربوبية، فكل صفة من صفات الرب لا تخوض فيها وتحرفها وترد معناها، فالمراد بترك التأويل في كلام المصنف صرف النصوص عن ظاهرها للقواعد الكلامية والبدعية، والأفضل نسميه تحريف، فيحرفون الكلم عن مواضعه، ولذلك وجب علينا التسليم، وهذا ما عليه دين المسلمين، فالمسلمون على الفطرة، ولهذا ليس بصحيح أن يقول قائل: إن أكثر الناس على مذهب الأشاعرة. بل أكثر المسلمين على الفطرة (كل مولود يولد على الفطرة)، وهناك قصة جميلة في هذا المعنى ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في درء التعارض، كان هناك شخص من نفاة العلو الأشاعرة يجادل ويصر على هذا الرأي، ونصحه شيخ الإسلام ابن تيمية عدة مرات ولكنه أصر على البدعة، قال: فجاءني مرة لحاجة فأخرته عمدًا حتى تبرم وضاق صدره ثم رفع بصره وقال: يا الله! تأخر علي الشيخ. فقلت له مباشرة: أنت محقق لمن ترفع رأسك؟ أنت تقول: الله ليس في السموات وليس في العلو. قال: فانتبه، ثم قرأت عليه آيات العلو ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨، ٦١]، وأخذت أذكر عليه الآيات، قال: فتاب من ساعته. وأبو المعالي مرة من المرات كان جالسًا يدرس للناس هذه البدعة، فكان أول ما يجلس يقول هذه الجملة البدعية التي يشبهون بها على المسلمين: كان الله ولا عرش، وهو الآن على ما كان عليه. وكلامًا من هذا المعنى ... فقال: يا شيخ دعنا من ذكر العرش، وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، فإنه ما قال عارف –عابد– قط: يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة بطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا؟ قال:

فصرخ أبو المعالي ولطم على رأسه، وقال: حيَّرني الهمداني، حيَّرني الهمداني. وإذا أردت التوسع ارجع إلى كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية فكله في إثبات صفة العلو والرد على نفاة هذه الصفة.

قوله: (ومن لم يَتوقَّ النَّفْيَ والتشْبِيهَ، زلَّ ولمْ يُصِب التنْزِيهَ): النفي والتمثيل تقدم معنا هذا في قول المصنف: ولا شيء مثله. فالإيمان بالأسماء والصفات يجب أن نتقي به أربع محاذير: التمثيل، والتكييف، والتعطيل والتحريف، فالتمثيل من يقول: إن الله مثل خلقه، أو يد الله مثل يد المخلوق، أو نحو ذلك وهذا كفر، والتكييف أن يتخيل الكيفيات بعقله حتى لو لم يكن لها مثال في الواقع، والله جل وعلا يقول: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: ١١٠]، {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣]، والذي يكيّف هذه الصفات قال على الله ما لم يعلم، والتعطيل نفي الصفات فيقول: إن الله بصير بلا بصر، سميع بلا سمع، لا يوصف بالحياة ولا يوصف بالرحمة. والتحريف أي يحرف النصوص عن معناها حتى يسلم له التعطيل، فقوله: ومن لم يتوق النفي. أي تعطيل النصوص وجحدها، والتشبيه التمثيل، تمثيل الخالق بالمخلوق.

قوله: (فَإنَّ رَبَّنا جَلَّ وعَلا موصوفٌ بصفاتِ الوحْدَانِيَّةِ): أي أنه لا شريك له ولا مثيل له، وذكرنا قبل إن الله واحد في ألوهيته وواحد في ربوبيته وواحد في أسمائه وصفاته فلا شريك له.

قوله: (مَنْعُوتٌ بِنُعوتِ الفَرَدَانِيَّةِ): فالله سبحانه وتعالى فرد أحد صمد ليس له شريك ولا نظير.

قوله: (ليسَ في معناهُ أحَدٌ من البَرِيَّةِ): فلا يوجد أحد من الخلق يتصف بصفات الخالق ولا معنى صفات الرب جل وعلا تكون في المخلوقين، فالله جل وعلا لا شريك له في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا في ألوهيته وربوبيته جل وعلا.

*** المتن ****

٣٧- وتَعالَى عَنِ الحدُودِ والغَاياتِ ، والأرْكَانِ والأعْضَاءِ والأدَواتِ، لا تَحْويهِ الجِهَاتُ السِّتُّ كسَائِرِ المُبْتَدَعَاتِ.

٣٨- والمِعْرَاجُ حقٌّ، وقَدْ أُسْرِيَ بالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ في اليَقَظَةِ إلى السَّماءِ، ثُمَّ إلى حيث شاءَ الله مِنَ العُلا، وأكْرَمَهُ الله بِمَا شَاءَ، وأوْحَى إليْهِ مَا أَوْحَى {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم:١١]. فَصَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ في الآخِرَةِ والأولَى.

٣٩- والحوْضُ الذِي أكرَمَهُ الله تعالَى به -غِيَاثاً لأُمَّتِهِ- حَقٌّ.

٤٠- والشفَاعَةُ التي ادَّخَرَهَا لَهُم حَقٌّ، كما رُوِيَ في الأخْبارِ.

٤١- والميثاقُ الذي أخَذَهُ الله تعالَى مِنْ آدمَ وذُريَّتِهِ حَقٌّ.

٤٢- وقَدْ عَلِمَ الله تعالَى فيما لم يزلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلا يزْدَادُ في ذلك العَدَدُ، ولا يَنقُصُ مِنْهُ.

٤٣- وَكَذَلك أَفْعالُهم فيمَا عَلِمَ مِنْهُم أَنْ يفْعلُوه، وَكُلٌّ مُيَسرٌ لما خُلِقَ لَه، والأعْمَالُ بالخواتيمِ، والسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بقضَاءِ الله، والشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ الله.

٤٤- وأصلُ القَدَرِ سِرُّ الله تعالى في خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى ذَلِك مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، والتَّعمُّقُ والنَّظَرُ في ذلكَ ذَرِيعَةُ الخِذْلانِ، وَسُلَّمُ الحِرْمَانِ، ودَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فالحَذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَراً وفِكْراً وَوَسْوَسَةً، فإن الله تعالى طَوَى عِلْمَ القَدَرِ عَنْ أنامِهِ، ونَهَاهُم عَنْ مرامِهِ، كما قال تعالى في كتابه: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء:٢٣]، فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ؛ وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَاب كانَ مِنَ الكافِرِين.

٤٥- فَهَذَا جُمْلَةُ ما يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَنْ هُو مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلياءِ الله تعالى، وهي دَرَجَة الرَّاسِخِينَ في العِلْمِ؛ لأنَّ العِلْمَ علمَان: عِلْم في الخَلْق مَوْجُودٌ، وَعِلْم في الخَلْقِ مَفْقُودٌ، فإنكارُ العِلْمِ الموْجودِ كُفْرٌ، وادِّعَاءُ العِلمِ المفقودِ كُفْرٌ، ولا يَثْبُتُ الإيمَانُ إلا بقَبُولِ العِلمِ الموجود، وترْكِ طَلَبِ العِلْمِ المفْقُودِ.

*** الشرح ****

قوله: **(وتعالَى عَنِ الحدُودِ والغَاياتِ، والأرْكانِ والأعْضَاءِ والأدَوات، لا تَحْويهِ الجِهَاتُ)**: هذه الست ألفاظ لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة نفيًا ولا إثباتًا، الحدود جمع حد، والغايات جمع غاية، والأركان جمع

ركن، والأعضاء جمع عضو والأدوات جمع أداة، والجهات جمع جهة، وهذه الست ألفاظ لها نظائر أيضًا كثيرة مثل: الجسم، والحيز، والعرض، والجوهر، وغير هذا كثير، وهذه تسمى الألفاظ المحدثة أو تسمى الألفاظ المجملة التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة، والموقف الصحيح منها: أنه لا يجوز إثباتها وإضافتها إلى الله مطلقًا ولا يجوز نفيها مطلقًا، بل يُتوقف فيها من جهة اللفظ، وأما من جهة المعنى فيستفسر عن المراد بها، ماذا تريد بهذا المعنى؟ فإن كان المعنى المقصود المراد موافق للكتاب والسنة فهذا المعنى صحيح لا اللفظ، وإن كان المعنى مخالف لما في الكتاب والسنة فهو معنى باطل، هذه قاعدة.

مثال ذلك: إذا قال: الله جل وعلا تعالى عن الأركان، تعالى عن الأعضاء، تعالى عن الأدوات. أولًا هذا اللفظ لا نثبته في حق ربنا، فلا نقول: الله له أركان، وله أدوات. فهذا لفظ محدث لا يجوز إثباته ولا إضافته إلى الله، هذا من جهة الإثبات، إذن نقول: الله ليس له أركان. وكذلك حتى في باب النفي لا نثبته ولا ننفيه في حق ربنا بل نتوقف فيه والتوقف معناه عدم قبوله، ولا نعتمد على هذا اللفظ ولا نعول عليه، فلا نقبله لا إثباتًا ولا نفيًا، وهذا من جهة اللفظ، أما من جهة المعنى: ما المراد عندك عندما تقول: ننزه الله عن الأركان، تعالى عن الأركان. نستفصل عن المراد، هل تريد أنك تنزه الله جل وعلا عن مشابهة المخلوقات التي لها أركان، التي فيه النقص وفيها العيب؟ فتنزيه الله عن مماثلة المخلوقات حق، فالله جل وعلا ليس كمثله شيء، فهذا المعنى الذي قصدته إن كان هذا هو معناه فهو موافق للكتاب والسنة، أما إن كان المعنى عندك المراد بالأركان هي الصفات التي أخبر الله عنها كما قال: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: ٦٤]، وكما قال: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٧]، ونحو ذلك فتسمي هذه أركان وتريد أن تنفيها؟ فهذا المعنى الذي قصدته معنى باطل مخالف لما جاء في الكتاب وفي السنة، فبهذه الطريقة السلفية نسلم من الغلط ونرد على أهل البدع، ونحافظ على الألفاظ الشرعية، ونرد ما سواها إليها.

مثال آخر: إذا جاءك رجل من أهل البدع قال: إن الله ليس بجسم. كلمة جسم هل هذه وردت في الكتاب أو في السنة نفيًا أو إثباتًا؟ لم ترد، والإنسان إذا كان يأخذ بظواهر الأمور قد يوافق المبتدع في هذا النفي، يقول: نعم أنا أوفقك في هذا. ثم يأتي المبتدع فيقول لهذا السني: الاستواء على العرش يلزم منه الجسمية، إذن ننفي الاستواء على العرش، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة يلزم منه الجسمية، إذن لا بد أن نؤول.

فيتورط هذا السني الذي وافقه في أصل الباب، لكن لو جاء وقال: إن الله ليس جسم. نقول: ماذا تريد بهذه الجملة؟ أولًا: هذا اللفظ لم يرد في الكتاب ولا في السنة لا نفيًا ولا إثباتًا، ثانيًا: من جهة المعنى هل تريد نفي مماثلة الله للمخلوقات وأنه ليس كالأجسام المخلوقة وأن الله ليس كمثله شيء وأنه منزه عن مشابهتها ومماثلتها؟ قال: نعم، هذا مرادي. فنقول: هذا المعنى الذي قصدته هو ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله وهو ما نعتقده ونؤمن به، ومن اعتقد خلافه فهو كافر، فمن اعتقد أن لله مِثل، أو له شبيه في المخلوقات فهو كافر، أم أنك تريد بهذه الجملة مجرد إثبات الصفات فكل إثبات في الصفات عندك جسمية؟ فإن كنت تريد هذا فالقرآن بين الله جل وعلا فيه وأخبر أنه متصف بصفات الكمال، وقد أخبر عن نفسه أنه يسمع وأنه يبصر وأنه هو الغني ذو الرحمة، وأنه استوى على العرش، وهذه الصفات التي أخبر الله بها لا يلزم منها أنها جسمية، ولا يلزم منها أن نصف الله بالنقائص بل نؤمن بأن كمال لله سبحانه وتعالى، فتمثيلك منها أو تسميتك لها أو تلقيبك لها بأنها تجسيم أو تشبيه هذا لا يضر الحق شيئًا، كما أن الذين وصفوا النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه شاعر أو كاهن أو مجنون لم يضر الحق شيئًا ولم يغير الحقائق، وكان الإمام أحمد في كتابه الرد على الجهمية يقول: فإننا لا نزيل ما وصف ربنا به نفسه لشناعة شنعتموها أنتم. وهذه قاعدة مهمة، وكذلك نقول مثل هذا في بقية الكلمات، اللفظ الوارد في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم هو الحكم، وأما الألفاظ المحدثة التي أحدثها المتأخرون، أحدثها المتكلمون، أحدثها أهل الأهواء، ابتدعوها أو جاءوا به وأرادوا أن يصفوا الله بها في النفي أو في الإثبات فهذا لا نقول به.

والحدود جمع حد وهذا مثل ما تقدم، من جهة اللفظ نتوقف فيه، ومن جهة المعنى ما المراد بالحد؟ أتريدون أن الله سبحانه وتعالى عندما تقولون: تعالى عن الحدود. أن الحد يعني يحده العباد ويتخيلون ويتفكرون ويعقلون صفات الله ويحددونها بعقولهم؟ فالله جل وعلا منزه عن ذلك؛ لأن الله يقول: {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: ١١٠]، وقال تعالى: {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣]، فلا تحيط العقول به جل وعلا ولا بصفاته من الحقيقة والكيفية، فهل العباد يعلمون حدًا لصفات الله ويكيفونها؟ لا، فهذا المعنى ننزه الرب جل وعلا عنه، أم تريد بقولك: حد. أنه بائن من خلقه مستو على عرشه؟ فهذا حق {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]، فهو فوق خلقه لا حالًا فيهم، ليس مختلطًا في المخلوقات، فالله فوق السموات سبحانه وتعالى، وكذلك



قل في الغايات، هل الله جل وعلا تعالى عن الغاية؟ نفصل في هذا، فأول شيء نقول: هذا اللفظ نتوقف فيه، أما من جهة المعنى فما المراد؟ هل تريدون بمعنى الغاية أن الله سبحانه وتعالى ليس في أفعاله حكمة؟ وليس في خلقه حكمة؟ ولم يخلق العباد ليعبدوه؟ فإذا أردتم هذا المعنى فنقول: لا، بل نثبت هذا المعنى فالله حكيم عليم، وأخبر وعلل وبين الحكم {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]، فلا ننفي هذا المعنى، أم تريدون بالغاية التي تكون عند بعض المخلوقين أنه يفعل الشيء لحاجته وفقره إليه؟ وأن الله جل وعلا يفعل الأشياء؛ لأنه مفتقر إليها؟ فهذا المعنى ننزه الله جل وعلا عنه؛ لأن الله سبحانه وتعالى غني عن كل ما سواه، وبهذه الطريقة يسلم الموحد السني من مغالطات أهل البدع وشناعاتهم وأهوائهم.

وهناك من أهل السنة من غلط في هذه المقامات، قليل من المتقدمين من وقع فيما وقع فيه الطحاوي، فالطحاوي قال: وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات. فهو يريد ما يريده أهل السنة والجماعة، يريد تنزيه الله جل وعلا عن النقائص ولا يرد نفي الصفات، لكن دخل الغلط من جهة بعض الشراح الماتريدية قالوا: هذا فيه دليل على عدم إثبات الصفات الفعلية. لأن هذه اللفظة تساعدهم فيقولون: إن الأركان والأعضاء يعني لا نثبت الصفات الخبرية، اليد والوجه. ونحو ذلك وهذا باطل لا يقول به الطحاوي، ولا يقول به أبو حنيفة، ففي كتاب الفقه الأكبر يصرح أبو حنيفة بإثبات الصفات، إثبات الوجه واليدين وأن الله ليس كمثله شيء، لكن استخدام الألفاظ الخاطئة يورث الأغلاط، كذلك في المقابل بعض الناس يقول: نثبت هذه الألفاظ. لأنه نظر إلى المعنى الصحيح، وهذا أيضًا فيه نظر، وعرفنا الصواب الذي عليه جمهور أهل السنة وطريقة الصحابة والسلف هو التوقف في الألفاظ المحدثة والاستفسار عن معانيها، فما وافق الكتاب والسنة قُبل وما خالفها يُرد، والدين واضح ولا حاجة أن نأتي بألفاظ جديدة، ومن هنا تعلم لما قيل لعبد الله بن المبارك: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]، قال: إن الله فوق عرشه. قالوا: بائن من خلقه؟ قال: نعم، بائن من خلقه. قالوا: بحد؟ قال: بحد. فنحمل كلام ابن المبارك على المحمل الواضح عند أهل السنة أنه يرد على الحلولية الذين يقولون: إن الله في كل مكان. ومن قال: إن الله بذاته في كل مكان مختلط في المخلوقات. هذا كافر مرتد كما أجمع على ذلك علماء أهل السنة، فأراد ابن المبارك أن يبين بطلان هذا الكلام، فقوله: بحد. يعني بائن من خلقه فهو غير متصل بالمخلوقات غير مختلط بهم، أو أنه يحل فيهم،

تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]، {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} [الأنعام: ١٨، ٦١]، {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١]، {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: ٢٥٥]، وأشباه هذه الآيات، فمراد الذين أثبتوا الحد من علماء السلف وهم قليل مباينة الخالق للمخلوق وأنه ليس مختلطًا بالمخلوقات كما يزعم الحلولية، وأخبث منهم الاتحادية وأخبث منهم أهل وحدة الوجود، فهؤلاء الطوائف أجمع السلف على تكفيرهم، ومع الأسف كثير من الناس الآن إذا قيل له: أين الله؟ يقول: في كل مكان. وهذا كلام الحلولية، يجب على المسلم أن يتبرأ من هذا الضلال والكفر ويقول: إن الله فوق كل شيء، وأن الله في السماء، فوق عرشه. وإذا وجدنا بعض العلماء أيضًا ينفي الحد مثل الطحاوي فالمراد أي الحد الذي يحد العباد بعقولهم صفات الرب وكيفياتها، والله عز وجل منزه أن تحيط به عقول العباد، بل تخسأ العقول وتنقطع دون حقيقة ذلك، فالله جل وعلا لا أحد يحيط به.

قوله: (لا تَحويهِ الجِهاتُ السِّتُّ كسَائِرِ المُبْتَدَعَاتِ): هذا صحيح من جهة المعنى، فالله جل وعلا لا تحويه المخلوقات فهو فوق كل شيء لا تحيط به المخلوقات، قال جل وعلا: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} [البقرة: ٢٥٥]، والله سبحانه وتعالى لما أخبرنا أنه في السماء وأنه في العلو ليس معناه ما قد يتصوره بعض الجهال المخالفين أن السماء تظله أو تقله، لا، فالله جل وعلا هو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه {وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [الحج: ٦٦]، وكرسيه وسع السماوات والأرض، والعرش أعظم من ذلك والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه سبحانه وتعالى، ولكن ربنا سبحانه وتعالى فوق كل شيء، وسيأتينا بحث العلو عند قوله: والعرش والكرسي حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه.

قوله: (والمِعْرَاجُ حقٌّ، وقَدْ أُسْرِيَ بالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ في اليَقَظَةِ إلى السَّماءِ، ثُمَّ إلى حيث شاءَ اللهُ مِنَ العُلا، وأَكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ، وأوْحَى إليْهِ مَا أَوْحَى {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}[النجم:١١]. فَصلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ في الآخِرَةِ والأولَى): المعراج هي آلة يعرج بها، والعروج الصعود إلى السماء، ونحن لم نُخبر بكيفية هذه الآلة وصفتها، فالله أعلم كيف المعراج لا نتكلم في ذلك ولا نخوض فيه،

أما الأسراء فقد أُخبرنا أنه أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم على البراق مع جبريل عليه السلام، والبراق من الدواب التي خلقها الله جل وعلا، وخطوه عند منتهى بصره، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم أسري به إلى بيت المقدس ثم عُرج به إلى السماء ورجع صلوات الله وسلامه عليه ونزل إلى الأرض عند صلاة الفجر، واختلفت الروايات هل صلى بهم قبل أم صلى بهم بعد، ولكن رجع إلى فراشه صلوات الله وسلامه عليه في تلك الليلة، وهذا من آيات الله العظمى، وهذا من المقامات الكبيرة للنبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر الله جل وعلا الإسراء في سورة الإسراء، وقد ذكر الله جل وعلا المعراج في سورة النجم {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى} ذو مرة أي جمال وهذا جبريل عليه السلام {وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى} دنا يعني جبريل {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} عبده أي الرسول صلى الله عليه وسلم {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} يعني رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل نزلة أخرى أي مرة أخرى أين؟ {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى} أعلى ما يكون، {عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: ١-١٨].

والمعراج لا يجوز إنكاره، وكذلك الإسراء، فمن كذّب بما أخبر الله جل وعلا به فهو كالمشركين الذين لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه أُسري به وعُرج به طاروا فرحًا وكذبوه، وصدقه المسلمون، فالذين يكذب بالإسراء والمعراج هو من الكفار؛ كالمشركين، والمصدق هو من المسلمين، فيجب أن تؤمن به، وهناك من يغلط في هذا المقام كالذي يتأول تأويلات فاسدة ويقول: إنه رؤيا منام، أو أن المعراج كان بالروح دون الجسد. فهذه أغلاط لا يكفر من قال بها لكن هذا يرد على قائله ويبين الحق أن النبي صلى الله عليه وسلم أسري به وعرج به بروحه وجسده، يقظة لا منام، فالذي يحصل للنائم يحصل لكل أحد ليس فيه مزية؛ لأن روح النائم قد تصعد، وقد ترى أشياء، وهذا تكرر لنبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى أشياء في منامه ورؤيا الأنبياء وحي، لكن هذا الذي في الإسراء والمعراج في تلك الليلة شيء آخر وهو أنه بروحه وجسده، يقظة لا منام، ولهذا قال: وعرج بشخصه في اليقظة. للرد على من قال: إنه بروحه دون جسده. وفي اليقظة للرد على

من قال: إنها رؤيا منام. ومن أراد التوسع في ذكر الأحاديث الواردة فيراجع مقدمة سورة الإسراء في تفسير ابن كثير –رحمه الله-، فإنه ساق الأحاديث سياقًا حسنًا جميلًا.

قوله: (ثُمَّ إلى حيث شاءَ اللهُ مِنَ العُلا، وأكْرَمَهُ اللهُ بِمَا شَاءَ): لأن الله سبحانه وتعالى أكرمه بأن كلمه وفرض عليه الصلوات الخمس، وكانت خمسين صلاة ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم حتى مر بموسى عليه الصلاة والسلام في السماء السادسة، والحديث معروف حتى صارت خمسًا ثم قال الله: (أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي)، فالحمد لله على هذا التيسير، وإلى حيث شاء الله من العلا أي إلى موضع لم يصل إليه بشر حتى سمع النبي صلى الله عليه وسلم صريف الأقلام، لكن الصحيح أنه لم ير ربه تلك الليلة بعيني رأسه صلوات الله وسلامه عليه، ولكن هناك من أهل العلم من قال: إنه رأى ربه في تلك الليلة. وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كما في صحيح مسلم من حديث أبي ذر، هل رأيت ربك؟ قال: (نور أنى أراه)، وفي رواية قال: (رأيت نورًا)، وهذا النور هو الحجاب كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي موسى: (حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)، والإسراء والمعراج في ليلة واحدة ولم تتكرر، فلم تكن في ليلة ثم ليلة أخرى، ونبه ابن القيم وكذلك نقل كلام ابن القيم ابن حجر في الفتح على أنه هناك بعض الناس من قال: إنه تعدد الإسراء والمعراج في أكثر من موضع. وهذا غلط من بعض الرواة لم يحفظوا فظنوا أن اختلاف السياقات في القصة دليل على التعدد، قال ابن القيم في زاد المعاد: وهذه الطريقة يسلكها بعض الضعفاء ممن لا يستطيع الجمع بين النصوص والتوفيق بين الروايات. ووقت تلك الليلة: قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، لكن متى؟ قيل: قبل الهجرة بسنة، وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقيل غير ذلك، ولا يُعرف في أي ليلة من ليالي السنة فلم يثبت فيها نقل واضح ثابت، ذكرت روايات لكنها ضعيفة وبناء عليه فلا يجوز أن نقول: إنها جزمًا في السابع والعشرين من رجب. والذين يحبون الاحتفالات وهذه البدع في ليلة السابع والعشرين من رجب كل سنة يعقدون الاحتفالات ويجتمعون في المسجد، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخص تلك الليلة من كل عام بجلوس، أو بذكر أو بصلاة، ولا أصحابه –رضي الله عنهم- وهم أشد تعظيمًا منكم له صلى الله عليه وسلم لم يجلسوا، فبدعة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج يتبين غلطها من عدة أوجه.



قوله: (والحَوْضُ الذِي أكرَمَهُ اللهُ تعالَى به –غِيَاثاً لأُمَّتِهِ– حَقٌّ): الحوض المورود يوم القيامة من أعظم ما أعطى الله نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} [الكوثر: ١]، قيل: الحوض، حوض عظيم جدًا طوله شهر وعرضه شهر، جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ببيان صفاته، آنيته عدد نجوم السماء، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، ويكون الناس من أحوج الناس إلى الحوض من شدة العطش والتعب، فإذا منّ الله على المؤمنين فسقاهم من هذا الحوض لا يظمؤون بعده أبدًا، وهذا علامة دخول الجنة، وأهل الأهواء والمبدلين يردون ويطردون عن الحوض وهناك أحاديث متعددة في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا فرطكم على الحوض)، والفرط السابق المتقدم، فالقافلة إذا كانت تسير فالعرب تبعث رجلًا يذهب ويبحث عن الماء ويكون فرطًا للقافلة، فرطًا يعني متقدمًا يهيئ الماء ويجمعه في موضع ويهيئ الماء للإبل والقوافل، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يسبقنا على الحوض، ثم قال صلى الله عليه وسلم: (ولأنازعن أقواما ثم لأغلبن عليهم، فأقول: يا رب أصحابي، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقًا سحقًا)، قوله: (أصحابي) يعني من أمتي وليس المراد الصحابة كما يزعم الرافضة؛ لأن الحوض ترده هذه الأمة، والأمة من أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر الأمة، ففي حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن حوضي أبعد من أيلة من عدن لهو أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإني لأصد الناس عنه، كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه) قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: (نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علي غرًا، محجلين من أثر الوضوء)، وفي رواية: فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ يا رسول الله فقال: (أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا)، فيعرف أمته صلى الله عليه وسلم بآثار الوضوء فتكون لهم هذه السيما أو العلامة من بين الأمم، والغر بياض في الجبهة، والتحجيل يكون في اليدين والقدمين، وهو صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فيطرد بعض الناس عن الحوض مع وجود العلامة، فيقول: (أصحابي، أصحابي)، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فمعناه أنهم أحدثوا وبدلوا وأول

ما يدخل في هذا المرتدين الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ويدخل في هذا أيضًا أصحاب الأهواء وفي مقدمتهم الخوارج والرافضة والقدرية وأشباههم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة)، فالذي يُحدث في الدين يُخشى عليه من هذا الوعيد (فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا)، والإنسان إلى كان بهذه المثابة يجب عليه أن يتوب إلى الله من الإحداث والبدع ولا يسترسل، نسأل الله أن يهدي ضال المسلمين، ونسأل الله أن يشرح صدروهم للسنة، وأن يعيذنا وإياهم من الإحداث والبدع.

وهذا الحديث أيضًا فيه فائدة جليلة عظيمة نحتاجها لكثرة البلاء –والله المستعان– فإن بعض الناس يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب، ويعلم أحوال أمته، حتى أنهم يقولون: إنه يعلم ماذا يحصل الآن. وهذا كذب؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أصحابي، أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)، فكيف يأتي هؤلاء ويقولون: إنه يعلم كل شيء ويعلم ما سيقع، والأمور تعرض عليه. لو كانت الأمور تعرض عليه ويبلَّغ لما قيل له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. وهذا فيه الرد على من يدعي أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب، أو يعلم أحوال أمته، وأما الحديث الذي رواه مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عرضت علي أعمال أمتي حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوي أعمالها النخاعة تكون في المسجد، لا تدفن)، هذا معناه الأعمال نفسها، يعني الأعمال التي عملتها الأمة متنوعة، أعمالهم في الخير وأعمالهم في غير الخير، فالأعمال نفسها عرضت عليه، أما العاملين وأحوال الناس من أولهم إلى آخرهم وأسمائهم وتفاصيلهم لم يثبت هذا[١]، والحوض والشفاعة والصراط والميزان ينكرها المعتزلة ويحرفونها، فالحوض عندهم لا يثبتونه، والصراط لا يثبتونه، والميزان لا يثبتونه؛ لأنهم يعتمدون على العقل والعقليات ولا يعتمدون على النصوص، والمصنف يبين عقيدة أهل السنة ويذكر أن الإيمان بهذا واجب.

[١] المفرغ: عزا الشيخ فهد بن سليمان الحديث إلى سنن ابن ماجه وقال: الحديث فيه ضعف. وقال على فرض صحته كذا وكذا وأنا حذفت هذا الكلام لأن الحديث في صحيح مسلم كما ذكرت في بداية الحديث.

قوله: (والشفَاعَةُ التي ادَّخَرَهَا لَهُم حَقٌّ، كما رُوِيَ في الأَخْبارِ): الشفاعة ادخرها النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه قال: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا)، أما الذي يموت على الشرك فهذا لا تناله الشفاعة، فإذا جاء شخص يطلب الشفاعة ويستغيث بأصحاب القبور ويناديهم فهذا أشرك مع الله غيره؛ لأن الدعاء حق الله فلا يدعى غيره، وأبو هريرة –رضي الله عنه– قال: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه، أو نفسه)، فبين صلى الله عليه وسلم أنها لأهل التوحيد وأهل الإخلاص، أما الذي ليس عنده الإخلاص ويموت على الشرك فلا تدركه ولا تناله الشفاعة كما قال الله عن المشركين: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: ٤٨]، وهذا فيمن مات على الشرك.

والشفاعة مأخوذة من الشفع وهو ضد الوتر، والشفع يعني الزوج، والوتر واحد، فأصلها اللغوي أنت عندك حاجه تطلبها، تأتي مع حاجتك بشيء آخر يشفعها، بدل أن يكون طلبًا واحدًا يكون معه شفع يساعد في قبولها، مثلًا: الله عز وجل يقول في أمور الدنيا: {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا} [النساء: ٨٥]، يعني إنسان فقير يحتاج إلى مساعدة وذهب إلى غني والغني لا يعرفه، فأخذ يتكلم معه: أعطني كذا. فجئت أنت شفعت طلبه وبدل أن يكون واحدًا صار شفعًا، فقلت: أنا أعرف أن هذا محتاج، وأرى أن تعطيه من الزكاة. ثم أعطاه، أنت شفعت، وقد يكون التشفع بغير هذا، وقد يكون بالثناء على الله سبحانه وتعالى مثل: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، يا منان، يا بديع السماوات والأرض، أسألك كذا وكذا، وهذا قدم بين يدي طلبه الثناء على الله وذكر أسمائه الحسنى وصفاته العلا كما قال: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠]، فالتشفع والتوسل والاستشفاع هذه الألفاظ يخطئ فيها من يخطئ، وأهل السنة والجماعة يلزمون طريقة القرآن والسنة فما ورد به النص نعمل به، فالتوسل يكون بأسماء الله الحسنى وصفاته العلا، أو يكون بعملك الصالح {رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٦]، {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا

بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا} هذا عمل، {رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} [آل عمران: ١٩٣]، وهذا طلب، والثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة قال أحدهما: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا، ولا مالًا. فذكر بره بوالديه، والثاني ذكر توبته من الزنا، والثالث يذكر أمانته، ففرج الله عنهم، وموسى عليه الصلاة والسلام لما سقى للمرأتين الضعيفتين أوى إلى الشجرة تحت الظل ورفع يديه {فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [القصص: ٢٤]، افتقار إلى الله سبحانه وتعالى والحاجة إليه، وهذا توسل بالعمل الصالح، والشريعة واضحة في هذا المقام، حتى بحق السائلين، هذا عمل صالح، بحق ممشاي هذا، على أن الحديث فيه ضعف لكن على تقدير صحته ليس فيه التمسك للمبتدعة؛ لأن حق السائلين هو التوسل بصفة الله التي هي إجابة الداعين {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة: ١٨٦]، فهذه صفة من صفات الله، اللهم إنك تجيب دعوة الداعين، تجيب دعوة السائلين، أسألك بصفاتك أن تجيب دعائي، فاللهم إني أسألك بحق السائلين هذا توسل إلى الله بصفة من صفاته.

القسم الثالث: التوسل إلى الله بدعاء رجل صالح حي حاضر تطلب منه أن يدعو لك، وهذا جائز ولا نقول: إنه سنة بإطلاق، لأن الأفضل أن تدعو أنت بنفسك، فلم يُحفظ أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله، ادع الله لي. ولكن أبو بكر قال: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي. وعمر -رضي الله عنه- لم يحفظ عنه أنه قال: يا رسول الله، ادع الله لي. وكذلك عثمان، لكن ورد عن بعض الصحابة أنهم سألوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم، وهذا يدل على الجواز، وقد يكون مشروعًا أن تسأل الدعاء من رجل صالح إذا كان مقصودك نفعه، فيروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمر لما ذهب للعمرة: (أي أُخي أشركنا بدعائك ولا تنسنا)، قال بعض العلماء: إن مراد النبي صلى الله عليه وسلم هو أن يدعو عمر فيأمن الملك آمين ولك بمثله، فيكون تشجيعًا له في الدعاء، مثل أن تجد شابًا أو رجلًا تخشى عليه فتقول: ادع الله بظهر الغيب أن الله يهديني ويشرح صدري ويعيذني من الفتن. وأنت مرادك أن يشتغل بهذا الدعاء فيؤمن الملك فيقول: ولك بمثله. فيثبته الله أكثر، قالوا: كذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من صلى علي ...، ثم اسألوا الله لي الوسيلة)، هنا النبي صلى الله عليه وسلم لا يطلب من الناس أن يدعوا له مجرد طلب من الناس وإنما يريد الإحسان إليهم صلوات الله وسلامه عليه؛ لأن من فعل ذلك نالته الحسنات وأدرك الأجور الكثيرة، كذلك لو

قلت للإمام: ادع الله أن يغيث الأمة، الناس في جهد وبلاء وعطش، ادع الله أن ينزل الغيث. هذا أيضًا مشروع؛ لأن النفع عام، أما التوسل بالألفاظ مثل: أسألك بنبيك، أو أسألك بجاه نبيك، أو أسألك بفلان من الأولياء، أو أسألك بجاه فلان، أو بحقه، أو مكانته، أو منزلته. فهذا ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فيكون هذا من الأمور المحدثة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (عليكم بسنتي، وإياكم ومحدثات الأمور)، وتجد بعض الناس يقول: نسألك بجاه نبيك، نسألك بجاه فلان، هذا غلط، ونحن نحب النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم فرض ومحبته فرض، فإذا سألت الله جل وعلا فقل: اللهم إني أسألك بإيماني بنبيك. فهذا لا بأس به، {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا} [آل عمران: ١٩٣]، أما أن تسأل الله بالجاه أو بالمنزلة أو بالمكانة فهذا غير مشروع، وبعض الناس أحيانًا يسألون بالله وهذا لا بأس به، كأن يقول: أسألك بالله أن تعطيني كذا. وهذا فيه تفصيل لكنه القسم بالله جل وعلا مشروع، (من كان حالفًا فليحلف بالله أو يسكت)، لكن بعض الناس لتعظيمه غير الله التعظيم غير المشروع يقول: أسألك بفلان. ويقصد القسم، يعني أقسم عليك بفلان، وهذا لا يجوز، فكيف إذا كان يسأل الله ويقسم بالمخلوق؟! هذا أيضًا أشد حرمة، لكن قول: أسألك بجاه نبيك. لا نقول: إنها شرك أكبر، لكنها بدعة منكرة ليست في الكتاب ولا في السنة. أما الحديث الذي يرويه الكذابون: (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم)، فهذا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم (ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار)، وهناك أيضًا التوسل بالأضرحة والتوسل بأصحابها والطواف بقبورهم والذبح لهم والنذر لهم فيتوسل بهذه الأشياء وهذا شرك أكبر، وانظر إلى أهل التوحيد والإيمان فإنهم يتقربون إلى الله بما شرعه الله بأسمائه الحسنى يدعونه، بأفعال صالحة يفعلونها، بدعاء رجل صالح حي حاضر يطلبون منه، هكذا شرع الله وأباح، وأما أهل الشرك أو أهل البدع فإنهم تركوا المشروع وأقبلوا على البدعة أو على ما حرم الله من الشرك، وأوجه سؤال لكل مبتدع يقول: أتوسل بجاه نبيك، أتوسل بنبيك، أين هذا في كتاب الله؟ أين هذا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أين هذا في أدعية الصحابة –رضي الله عنهم– وهم خير القرون؟ لماذا تركت ما في الكتاب وما في السنة وما كان عليه الصحابة وأقبلت على ما كان عليه المتأخرون؟ والله ما وقع في المتأخرين إلا لخلل فيهم، وما أعرض عنه المتقدمون إلا لأنهم أصابوا الحق، فالزم غرسهم، واترك عنك هذه البدع.

فيوم القيامة الناس بحاجة إلى رحمة الله سبحانه وتعالى، فالله جل وعلا في هذا اليوم يغضب غضبًا لم يغضب مثله قط، فيكون في العباد من الشدة والخوف ما الله به عليم، أهوال متتابعة وأحداث جسيمة ثم يكرم الله جل وعلا الشافع والمشفوع له رحمة منه سبحانه، يكرم الله جل وعلا الشافع فيظهر فضله أمام الناس، ويكرم الله جل وعلا المشفوع فيرحمه ويعفو عنه، هذه تسمى الشفاعة، فالفضل من الله، ولهذا قال: {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} [الزمر: ٤٤]، لأن المشركين يظنون أن الشفاعة حق لكل من دعوه وطلبوا منه، فأبطل الله قولهم {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}، ثم أخبر سبحانه وتعالى أن الذين يشفعون لا يشفعون ابتداء بل يشفعون بإذنه {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٥٥]، ثم أخبر سبحانه وتعالى أن الذين يشفعون بإذنه لا يشفعون فيمن شاءوا، وإنما فيمن رضي الله قوله وعمله، قال: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: ٢٨]، {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ: ٢٣]، والحديث: (فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا)، (وأسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه)، فدل القرآن والسنة على أن الشفاعة تكون لأهل التوحيد والإخلاص، الذين عندهم ذنوب، عندهم كبائر، يشفع فيهم ويرحمون ويتفضل الله عليهم ويكرم الله الشافع فيظهر فضله، وأعظم الشافعين وسيدهم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، له الشفاعات الثلاث التي اختص بها وهو يشركهم في الشفاعات الأخرى، وسنذكر أنواع الشفاعة، وهذا المقام غلط فيه أقوام، فمنهم من أنكر الشفاعة مثل المعتزلة، والخوارج، لماذا؟ قالوا: لأن الإنسان إذا ارتكب الذنوب فهو كافر، والكافر مخلد في النار، حتى لو كان موحد، وإذا قلت لهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بالشفاعة. قالوا: لا نؤمن بذلك ولا نثبت الشفاعة. فالخوارج يشددون على الأمة، يحرجون الأمة يجعلونها في إثم في الدنيا والآخرة، حتى في الدنيا يقتلونهم، استحلال دماء الناس كما ترون الآن بأي شبهة، وفي الآخرة يقول: هم في النار. ونرد عليهم أن الشفاعة حق، ويخرج الله من النار أقوامًا من أهل التوحيد وقد امتحشوا وصاروا فحمًا، فيخرجهم الله من النار فيعفوا عنهم؛ لأنهم من أهل التوحيد، وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة)، قال أبو ذر: يا رسول الله، وإن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق)، قال: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق)، ثلاث مرات ثم قال: (رغم أنف

أبي ذر)، ما دام أنه مات على التوحيد لا بد أن يدخل الجنة، قد يعذب في النار بذنوبه يُطهر ويمحص ثم مآله إلى الجنة.

والطائفة الثانية الذين ضلوا في هذا المقام غلاة الصوفية، أو الغلاة في المشايخ أو الغلاة في الأولياء، سواء في هذه الأمة أو في أمة النصارى أو في غيرها من الأمم، غلوا حتى طلبوا الشفاعة من معبوديهم وممن يصرفون لهم العبادة في الدنيا، طلبوها منهم واستغاثوا بهم، وظنوها أنها مثل الشفاعة التي تكون عند الملوك في الدنيا، قاسوا الخالق على المخلوق، حتى قال شخص من ضلال الإسماعيلية الزنادقة: اللهم إنه في الدنيا الواحد من الناس إذا تشفع عند الملك بمن هو حقير قبل الشفاعة، فأنا أتشفع إليك بكذا وكذا فاقبل شفاعته. يقيس الخالق على المخلوق، وهذا موجود في كتبهم، والله جل وعلا يقول: {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} [النحل: ٧٤]، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤]، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا، الله عز وجل ليس ممن يؤثر عليه الشفعاء ويكرهونه، فالله جل وعلا هو الغني القدير، أما الملك في الدنيا أو المسؤول إذا كثر عليه الناس رضخ لهم، فلا يقاس الخالق على المخلوق، فالله سبحانه وتعالى يتفضل على الشافع وعلى المشفوع له، فالمحسن والمتفضل هو الله سبحانه وتعالى.

قوله: (والميثاقُ الذي أخَذَهُ الله تعالَى مِنْ آدمَ وذُرِيَّتِهِ حَقٌّ): الميثاق معناه العهد، يعني أخذ منهم العهود والمواثيق ويقرون على أنفسهم ويلتزمون به، ففي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا، وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك بي)، فهذا الميثاق، وهذا لا يذكره الناس ولكن الرسل والكتب جاءت بالتذكير به، ومن فضل الله ورحمته أن الله جل وعلا لا يجعل الحجة قائمة بمجرد الميثاق الذي نسيه الناس ولا يذكرونه، وإنما الحجة تكون بإرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥]، لكن يوم القيامة إذا حاسب الله الخلائق يحاسبهم على هذا وعلى هذا، قال: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: ١٥]، فقيام الحجة يقوم بإرسال الرسل، لكن العقوبة والمؤاخذة تكون بهذا وبما ذكّرت به الرسل من الميثاق السابق الذي نسيه ونسيه كل إنسان، فنؤمن أن هذا حق وأن هذا الميثاق

أُخذ على آدم وذريته وهم في ظهره، وقد وردت في ذلك عدة أخبار لكن أصحها هذا الذي في صحيح البخاري: (فيقول: أردت منك أهون من هذا، وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك بي)، فهذا حق.

بقي معنا تفسير الآية الكريمة: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} [الأعراف: ١٧٢]، ففي تفسير الآية اختلف العلماء فيها، هل المراد هنا الميثاق الذي ورد في الحديث من أخذ العهد والميثاق ألا يشركوا بالله شيئًا؟ أم أن المراد هنا الفطرة التي فطر الله العباد عليها والأدلة التي نصبها على ربوبيته وألوهيته سبحانه وتعالى؟ فهذا فيه خلاف والأمر في ذلك سهل، سواء قيل بالميثاق مع الفطرة أو قيل: بأن الميثاق هو الفطرة، لكن المهم أن ندرك أن الله سبحانه وتعالى لا يجعل مجرد الميثاق هو الذي تقوم به الحجة ولا مجرد الفطرة هو الذي تقوم به الحجة وإنما كما قال: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: ١٥]، وكما قال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم لا يؤمن بما جئت به إلا كان من أهل النار)، فعلق العقوبة على السماع به صلى الله عليه وسلم، وأيضًا في سورة النساء: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥].

قوله: (وقَدْ عَلِمَ الله تعالَى فيما لم يزلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النارَ جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَلا يزْدَادُ في ذلك العَدَدُ، ولا يَنقُصُ مِنْهُ): هذه مسألة القدر، بسطها المصنف هنا بسطًا واسعًا، وهذه مرتبة العلم، ومراتب القدر: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق. هذه الأمور نؤمن بها، فنؤمن أن الله يعلم كل شيء، ونؤمن أن الله كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ، ونؤمن أن الله مشيئته نافذة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ونؤمن بأن الله خالق كل شيء.

قوله: (وَكَذَلك أَفْعالَهم فيمَا عَلِمَ مِنْهُم أَنْ يفْعلُوه): فعلم الله شامل محيط بكل شيء، سواء عددهم وكذلك أفعالهم، يعني أنت وأنا وبقية الخلق أفعالنا علمها الله جل وعلا.

قوله: (وَكُلٌّ مُيَسرٌ لما خُلِقَ لَه): هذه كلمة النبي صلى الله عليه وسلم: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)؛ لأن بعض الصحابة قال: أفلا ندع العمل؟ ما دام أن الأمر محسوم وهذا في الجنة وهذا في النار، فنترك الأعمال ونتكل على الكتاب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)، فلا تدع العمل فهو نجاتك وسعادتك، فأهل السعادة ييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم أول سورة الليل، قال: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ٥-١٠]، وهذا أحسن وأفضل من الخوض في هل أنا مسير أم مخير؟ لكن أنا ميسر لما خلقت له، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا عملت بعمل أهل السعادة أُيسر لعمل أهل السعادة، وإذا عملت بعمل أهل الشقاوة أُيسر لعاقبة أهل الشقاوة وهي النار، وكلمة مسير غلط إطلاقها، وكلمة مخير إطلاقها غلط أيضًا؛ لأن العبد لهم اختيار وله مشيئة، فإذا قلت: مسير. فإنك تنفي مشيئة العبد واختياره وقدرته، والعبد له مشيئة قال تعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} [التكوير: ٢٨]، وإذا قلت: مخير. فقط هذا غلط أيضًا لأنه يوهم أن العبد له مشيئة نافذة مطلقًا وليست تحت مشيئة الله، والله جل وعلا يقول: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٩]، فكل الأمور بتقديره، لكن قولك: كل ميسر لما خلق له. كلها حق، وتدل على الأمرين: أن العبد عنده فعل ومشيئة وقدرة، وتدل على أن كل شيء بتقدير الله.

قوله: (والأَعْمَالُ بالخواتيمِ): هذا حديث الصادق المصدوق فقد قال صلى الله عليه وسلم: (فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها)، وهذا يفيد أنك إذا كنت على عمل صالح؛ كالمحافظة على الصلوات، والزكاة، وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والإيمان بكل ما أمر الله به، فهذا عمل أهل الجنة، فتسأل الله الثبات ولا تغتر، وتعوذ بالله من الغرور ومن شر الشيطان، وإذا كان الرجل على عمل أهل النار إما كافر أو مكذب أو كان من العصاة من أهل الكبائر، فهذا الحديث يدعوه إلى التوبة والإقلاع عن الذنب قبل أن يباغته الأجل ويعمل بعمل أهل الجنة، فلا ييأس من روح الله.

قوله: (والسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بقضَاءِ اللهِ، والشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضَاءِ اللهِ): فالسعيد ليس هو الذي يسعد نفسه لكن السعيد هو الذي كتب الله له السعادة، والشقي هو الذي يكتب الله له الشقاوة، ولهذا كان عمر[٢] يقول: الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره.

قوله: (وأصلُ القَدَرِ سِرُّ اللهِ تعالى في خَلْقِهِ): هذا كلام علي بن أبي طالب يقول: القدر سر الله فلا تفشه. يعني لا تخض فيه، والخوض في القدر في السؤالين الخبيثين: لم، وكيف؟ هذان السؤالان اشطب عليها، ألغها في أفعال الله وتقديراته، {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣]، لما فعل ربنا كذا؟ لماذا أعطى فلان ولم يعطن؟ القدر سر الله فلا تفشه، لا تعلم أنت الحكم والمصالح والغايات، والله عليم حكيم، والله جل وعلا لكماله لا يسئل عما يفعل؛ لأن أفعاله كلها حكمة وغايات حميدة وكلها في الحق، فلا تعترض على ربك جل وعلا خالقك، مدبر شؤونك وشؤون العالم، فمن أنت حتى تعترض على الله؟! وأصل الذين ضلوا في القدر هذا السؤال: لم، وكيف، على وجه الرد والاستبعاد، أما إذا سأل سؤال استرشاد، سؤال تعلم، يسأل ليتفقه في الدين لا ليعترض على رب العالمين فليس فيه حرج، يسأل مثلًا ويقول: هل وردت الشريعة لبيان الحكمة في الزكاة، لما شرع الله الزكاة؟ نعم هناك حكمة: ترد على فقرائهم، وكذا وكذا.

قوله: (لَمْ يَطَّلِعْ عَلى ذَلِك مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ): لا الملائكة المقربين ولا الأنبياء والمرسلين اطلعوا على القدر، وانظر ماذا جرى في غزوة أحد وما حصل للمسلمين في تلك الغزوة، ذكر الله جل وعلا بعض الحكم والأسرار وما خفي أعظم وأعظم، قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ} [آل عمران: ١٧٩]، فذكر الله جل وعلا حكمًا وأسرارًا عظيمة وغايات وهذا غيض من فيض في باب القدر، وهذا يدلك على أن كل ما يقدر الله جل وعلا فهو حكمة وخير لكن المؤمن لا يعترض، ولذلك يقال: السعادة ثلاثة: أن العبد إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر. وعنوان الشقاوة نعكسها: إذا أعطي بطر وأشر كما قال قارون: {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي} [القصص: ٧٨]، وإذا ابتلي جزع وتسخط على قدر الله، وإذا أذنب نسبها إلى ربه، وقال: هذا شيء مقدر علي، وهذا شيء مكتوب.

---

[٢] المفرغ: هذا ورد عن ابن مسعود –رضي الله عنه– ولا أدري هل ورد عن عمر –رضي الله عنه– أم لا فليراجع ذلك.

فيحتج بالقدر ويستمر على الذنوب، هل القدر حجة للعاصي على معصيته؟ لا، هل أنت تعلم هذا المكتوب فتحتج به؟! وفي أمور الدنيا لا يحتج بمثل هذا فإنه في أمور الدنيا يعرف مصالحه.

قوله: (والتَّعمُّقُ والنَّظَرُ في ذلكَ ذَرِيعَةُ الخِذْلاَنِ، وَسُلَّمُ الحِرْمَانِ، ودَرَجَةُ الطُّغْيَانِ، فالحذَرَ كُلَّ الحذَرَ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وفِكْرًا وَوَسْوَسَةً): فلا بد أن تقطع دابر الشيطان، إذا قال شخص: لماذا أنا فقير وفلان غني. هنا بدأ يعترض على تقدير الله، والله جل وعلا هو الذي قسم الأرزاق، فيجب أن تؤمن وتقتنع وترضى بما قسم الله لك، فلا يقول: لماذا هذا كفر وهذا آمن، لماذا قدر الله على فلان كذا وعلى هذا كذا. هذا ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك، نظرًا في كتب أو شيء من هذا القبيل، أو فكرًا أي جلس يفكر في هذا، ووسوسة بأن يقذف الشيطان في قلبه.

قوله: (فإن الله تعالى طَوَى عِلْمَ القَدَر عَنْ أنَامِهِ، ونَهَاهُم عَنْ مرامِهِ، كما قال تعالى في كتابه: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء:٢٣]): الأنام يعني العباد، ونهاهم عن مرامه أي عن طلبه، {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ} فلا يقال: لم فعلت يا رب كذا؟ لأن أفعاله كلها حكمة وغايات حميدة، {وَهُمْ يُسْأَلُونَ} فالمخلوق يُسأل لماذا صنعت كذا؟ وإذا أخطأت تصوب وتقوّم، لكن الرب جل وعلا لا أحد يتعقبه، فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

قوله: (فَمَنْ سَأَلَ: لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَابِ؛ وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكِتَاب كانَ مِنَ الكافِرين): فمن سأل: لم فعل الله كذا؟ فقد رد حكم الله وهو لا يُسأل عما يفعل، ومن رد حكم الله أو القرآن كان من الكافرين.

قوله: (فَهَذَا جُمْلَةُ ما يَحْتَاجُ إلَيْهِ مَنْ هُو مُنَوَّرٌ قَلْبُهُ مِنْ أَوْلياءِ الله تعالى، وهي دَرَجَة الرَّاسِخِينَ في العِلْمِ): جعلنا الله وإياك ممن سلك مسلكهم وسار على منهاجهم، نسأل الله أن يرزقنا ذلك، نسأل الله أن يسلك بنا سبيل أهل الرسوخ في العلم الذين قالوا: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: ٧].

قوله: (لأنَّ العِلْمَ علمَان: عِلْم في الخَلْق مَوْجُودٌ): وهو علم الشريعة: الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، بر الوالدين، الإحسان إلى الجار، صلة الرحم، حسن الخلق، صلاة الليل، الصدقة، الأذكار الشرعية، قراءة القرآن، كل هذا علم شرعي محفوظ وموجود، فالشريعة موجودة.

قوله: (وَعِلْم في الخَلْقِ مَفْقُودٌ): تقدير الله، لماذا هذا اهتدى؟ لماذا هذا ضل؟ لماذا هذا غني؟ لماذا هذا فقير؟ لماذا هذا مريض؟ فهذا علم في الخلق مفقود.

قوله: (فإنكارُ العِلْمِ المَوْجُودِ كُفْرٌ): الذي ينكر علم الشريعة ويعرض عنها هذا كفر.

قوله: (وادِّعَاءُ العِلمِ المفقودِ كُفْرٌ): الذي يدعي أنه يعلم الغيب فهذا كفر.

قوله: (ولا يَثْبُتُ الإيمانُ إلا بقَبُولِ العِلمِ الموجودِ، وترْكِ طَلَبِ العِلْمِ المَفْقُودِ): العلم الموجود يعني الشريعة، وترك طلب العلم المفقود وهو الخوض في القدر فيما أخفى الله عنا علمه فيه، وهذا أدب يجب أن نتأدب به، ومنهج يجب أن نسلكه وهو طريقة الصحابة والسلف، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه، وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه، حب الرمان من الغضب، فقال: (بهذا أمرتم، أو لهذا خلقتم، إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض وإنما كتاب الله يصدق بعضه بعضًا، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا به، وما جهلتم فكلوه إلى عالمه)، وهذا إرشاد للمؤمنين وتوجيه لهم ألا يخوضوا ولا يتجادلوا في الأمور الغيبية مثل القدر، فإذا علم شيئًا يتكلم به، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)، هذا حديث في القدر، يعني قوي الإيمان خير وأحب إلى الله من ضعيف الإيمان، لكن قال: (وفي كل خير)؛ لأن المؤمن ما دام أنه مؤمن فهذا علامة خيرية، وقال صلى الله عليه وسلم: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن) فلا يصيبك العجز والكسل، والحرص على ما ينفع هذا في الدين والدنيا (وإن أصابك شيء) دخلت مثلًا في تجارة وخسرت، درست في المدرسة ورسبت، مرضت، (وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل)، فالذي أصابني هو قدر الله، واستمر على الحرص على ما ينفعني، وإن أخفقت المرة أعيد الكرة، والثانية، أحرص على

العلم، وأحرص على النفع لنفسي ولزوجي ولوالدي ولأولادي ولجيراني ولإخواني من المسلمين والأقارب وهكذا، ولو تفتح عمل الشيطان أي الوسوسة أنت فعلت كذا، ولماذا فعلت كذا، وقد يدخله في الحسد وهذا لا يقوم في قلب مؤمن إلا لضعف الإيمان بالقدر، وإذا قوي إيمانه بالقدر علم أن الله سبحانه وتعالى هو المتفضل وهو الذي يقسم الأرزاق، وهو الذي بيده كل شيء، ولهذا يقول ربنا سبحانه وتعالى: {وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [النساء: ٣٢]، الرجال فضلهم الله على النساء في أشياء في التصرف، في الميراث، في الولاية، فلا تشتغل بهذا التفضيل وإنما اشتغل بـ {وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ}، ويعجبني إنسان إذا رأى عالم أو رأى طالب علم من زملائه قوي وجيد يقول: اللهم لا تحرمنا من فضلك، اللهم أعطنا من فضلك، نسأل الله أن يزيده توفيق، نسأل الله أن يبارك في علمه، وأن يبارك في جهوده. فنفرح لأخينا وندعو له بالخير ولا نحسده، والذي يعرف أن هذا أهل أو ليس بأهل هو الله، فهو الذي يقسم العلم، ويقسم الرزق، والمقصود أن المؤمن إذا قوي إيمانه بالقدر علم أن كل شيء من عند الله ورضي بقضاء الله، ورضي بما قسم الله له، وإذا كانت له زوجه معيبة، أو ولده كان غبيًا وأولاد أخيه أذكياء مثلًا، أو الرزق قليل وأخوك رزقه واسع، أو مثلًا أنت عجزت أن تحفظ القرآن وهذا يحفظه، أو أنت عجزت أن تحفظ الحديث وهذا حفظه، فتسأل الله من فضله وتدعو لأخيك، قال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

أسئلة وردت للشيخ:

س١: يقول: ذكر العلامة ابن عثيمين –رحمه الله– في كشف الشبهات نقلًا عن شيخ الإسلام أن طلب الدعاء من الغير لم يُعهد عن السلف فسماه الشيخ المسألة المذمومة، فكيف نوفق بين هذا الكلام وبين ما جاء من أن عمر سأل أويس القرني أن يستغفر له مع أن عمر أفضل منه وأعظم توحيدًا وتوكلًا على الله، فهل معنى ذلك أنه وقع في المسألة المذمومة؟.

ج: المسألة المذمومة أن يشتغل الإنسان بسؤال الغير، فعمر –رضي الله عنه– لم يُعرف أنه كان يسأل كل من مر به أن يدعو له، وكم في المدينة من الصالحين والعباد والأخيار في عهده –رضي الله عنه–، ولم يُحفظ أن عمرًا كان يطلب منهم الدعاء، أما أويس القرني فإن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بذلك فهذا شيء خاص،

قال: (إن رجلًا يأتيكم)، وذكر أوصافه قال: (فإذا لقيته فاسأله أن يستغفر لك)، واستجاب عمر لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا لم يُحفظ أن عمرًا طلب من أبي بكر –رضي الله عنه- وهو خير من أويس القرني، وكذلك بعد عمر عثمان ثم علي –رضي الله عنهم أجمعين- وهم خير من أويس القرني بإجماع الأمة، فلم ينقل عن عمر ولا غيره أنهم كانوا يطلبون من الغير، لماذا؟ قالوا: لأن الطلب من الغير مثل أن أطلب منك قلمًا أو كتابًا، وهذا جائز، لكن إذا كان يسأل الناس تكثرًا ورد فيه الوعيد الشديد، لكن المحتاج له فيجوز بقدر الحاجة، والتعفف أفضل، ولذلك شُرع لك أن تسأل الله وتدعوه، فطلب الدعاء من الغير من باب المباح، وقد يكون مذمومًا إذا كثر، تطلب من كل إنسان أن يدعو لك وأنت لا تدعو لنفسك؛ لأنه يعرض نفسه للامتهان، فالطلب من المخلوق وسؤال المخلوق الأصل فيه أنه ممنوع شرعًا إلا ما وردت الشريعة بإباحته ومشروعيته، ولهذا يُشرع لك أن تكون عزيز النفس تسأل الله جل وعلا حاجاتك وترجع إليه، والسؤال من الغير جائز بالشروط التي ذكرناها أن يكون حيًا حاضرًا، أما سؤال الميت فهذا شرك أكبر، هذا توجيه كلام ابن تيمية، ومثل ما ذكر ابن تيمية وغيره من أهل العلم لم يكن هذا مشهورًا عند الصحابة، يوجد لكنه قليل وجائز، وربما يكون لمصلحة.

س٢: ما حكم مد الرجلين باتجاه المصاحف؟.

ج: إذا كان الشخص كبيرًا في السن أو المريض الذي لا يستطيع أن يفعل غير هذا فهذا معذور، لكن إذا استطاع أن يبعد المصاحف أو يبعد رجليه فهذا أفضل، لكن الشاب النشيط لا يمد رجله تجاه المصحف فهذا مكروه، أما إذا قصد إهانة المصحف فهذا كفر، لكن المسلم لا يدخل في قلبه هذا الشيء ولا يقصد هذا الشيء، فقد يكون غافلًا أو ناسيًا فهذا لا شيء عليه وإذا تذكر انتهى عن هذا.

المجلس: ٥.

*** المتن ***

٤٦- ونُؤْمِنُ باللَّوحِ والقَلَمِ وبِجَميعِ مَا فيه قَدْ رُقِم. فلَو اجتمعَ الخَلْقُ كلُّهم على شَيْءٍ كتَبَهُ الله تَعالى فِيه أنَّه كَائِنٌ، لِيجْعَلوهُ غيْرَ كَائِن –لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْه. ولو اجْتَمَعُوا كُلُّهم عَلى شَيْءٍ لَمْ يكْتُبه الله تعالى

فيه، أنَّهُ غَيْرُ كَائِنٍ ليجعلُوهُ كائناً– لم يقدروا عليه، جَفَّ القَلَمُ بما هُوَ كَائنٌ إلى يَوْمِ القِيامَة، ومَا أَخْطأَ العَبْدُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وما أصَابَهُ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَهُ.

٤٧– وعَلى العَبْد أن يَعلَمَ أَنَّ الله قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُل كَائنٍ مِنْ خَلْقِه، فقدر ذلك تقديراً محكمًا مبرمًا، ليسَ فيه نَاقِضٌ، وَلاَ مُعقِّبٌ، وَلاَ مُزِيلٌ، ولا مُغيِّرٌ، ولا مُحَوِّلٌ، ولا نَاقِصٌ، ولا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَماوَاتِهِ وأرْضِه.

وذلكَ مِنْ عَقْدِ الإيمَان، وأُصُولِ المعْرِفَةِ، والاعْتِرافِ بتوْحِيدِ الله تعالى ورُبُوبِيَّتِهِ، كما قالَ تعالى فِي كتابهِ {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان:٢]، وقال تعالى: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا}[الأحزاب:٣٨]. فَوَيْلٌ لمِنْ صَارَ لله تَعالى فِي القَدَرِ خَصِيمًا، وأَحْضَرَ للنَّظَرِ فيهِ قَلْبًا سقيمًا، لَقد الْتَمَسَ بوهْمِهِ فِي فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعادَ بما قالَ فيهِ أَفَّاكًا أثِيمًا.

*** المتن ***

قوله: (ونُؤْمِنُ باللَّوحِ والقَلَمِ وبِجَميعِ مَا فيه قَدْ رُقِم): هذه الجمل تابعة لمسألة القدر، واللوح أي اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات بخمسين ألف سنة، فاللوح نؤمن به ونؤمن بأن الله كتب فيه مقادير الخلائق، والقلم هو الذي كُتب به القدر والقضاء، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة)، فجرى القلم بما هو كائن إلى قيام الساعة، وهذا فيه الإيمان بالقضاء والقدر، وبجميع ما فيه قد رُقم، الرقم الكتابة، رُقِم يعني كُتب، وفي القرآن العظيم يقول الله سبحانه وتعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج: ٧٠]، فقوله: {إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ} هذا فيه الإيمان بكتابة الله جل وعلا لمقادير الخلائق، والقلم ذكر أهل العلم أنه كُتب به اللوح المحفوظ كتب الله جل وعلا مقادير الخلائق وهي كتابة عامة لجميع المخلوقات، هذا الأمر الأول.

الثاني: قالوا: هناك قلم آخر كُتب به مقادير السنة. وهذا في ليلة القدر، كما قال الله سبحانه وتعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا} [الدخان: ٤، ٥].

الثالث: الكتابة الخاصة بالإنسان وهو جنين في بطن أمه عندما يتم مائة وعشرين يومًا يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد.

الرابع: الكتابة اليومية وهي التي بأيدي الملائكة، قيل: هي المراد بقوله تعالى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد: ٣٩]، يعني تكون كتابة الملائكة تمحى وتُثبت بأمر الله ومشيئته.

فهذه أنواع الكتابة، وهذه تفيد المؤمن الإيمان بالقدر، فإذا آمنت بأن الله قدر عليك وكتب عليك هذه الأمور التي تقع أورثت ذلك الطمأنينة وكذلك الرضا، قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن: ١١]، قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. والإيمان بالقدر حتم لازم من أنكره فهو كافر، وإذا آمن بالقضاء والقدر فقد حصل على الخير في الدنيا والآخرة، وقد تقدم أن الإيمان بالقدر لا يعني التكاسل ولا يعني التقاعس عن الأعمال؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك، وأخبر أنه لا يجوز ترك العمل، فقال: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)، وقال صلى الله عليه وسلم: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن).

قوله: (فلَو اجتمعَ الخَلْقُ كلُّهم على شَيْءٍ كتَبَهُ اللهُ تَعالى فِيه أنَّه كَائِنٌ، لِيجْعَلوهُ غيْرَ كَائِنٍ -لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. ولو اجْتَمَعُوا كُلُّهم عَلَى شَيْءٍ لَمْ يكْتُبُه الله تعالى فيه، أنَّهُ غَيْرُ كَائِنٍ ليجعلُوهُ كائِنًا- لم يقدروا عليه): لأن الأمر بيد الله سبحانه وتعالى، وما قضاه وقدره سوف ينفذ حتمًا، قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس: (واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف).

قوله: (جَفَّ القَلَمُ بما هُوَ كَائِنٌ إلى يَوْمِ القِيامَة): القلم الذي كُتب به مقادير الخلائق جف، وهذه العبارة وردت في كلام النبي صلى الله عليه وسلم أن القلم جف بما هو كائن ومعناه أنه فُرغ من هذا الأمر وقضي لم يعد يُستأنف، موضوع القضاء والقدر قد فُرغ منه، وأهل الجنة وأهل النار عُلموا وأفعال الناس وطاعتهم ومعاصيهم وكفرهم وإيمانهم وغناهم وفقرهم، إلى آخر أمورهم كلها قد فُرغ منها وجف القلم، اللهم اجعلنا من السعداء ولا تجعلنا من الأشقياء يا ذا الجلال والإكرام.

قوله: (ومَا أَخْطأَ العَبْدُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وما أصَابَهُ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئهُ): فإذا فاتك الشيء ولم تحصل عليه فهذا مكتوب، والشيء إذا وقع عليك فأيضًا مكتوب، فلو أن إنسانًا حرص على تجارة مربحة جدًا ثم جاء في اليوم الذي فيه هذه التجارة، فقالوا: هذه التجارة قد فُرغ منها قبل أسبوع أين كنت؟ فهذا لم يخطئه الربح؛ لأنه لم يكن ليصيبه، فهذا مكتوب، وكذلك العكس فلو أن إنسانًا نزلت به مصيبة لم تكن لتخطئه، هذا قضاء الله وقدره.

قوله: (وعَلى العَبْد أن يَعلَمَ أَنَّ الله قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ في كُل كَائنٍ مِنْ خَلْقِه): وهذا العلم ليس علمًا إجماليًا بل في كل مخلوق بعينه، سبق علم الله جل وعلا فيه، والله بكل شيء عليم، وعلم الله جل وعلا محيط بكل شيء ولا يستثنى من ذلك شيء إطلاقًا، علم الله ما كان مما مضى، وعلم الله مما سيكون في المستقبل، وعلم الله جل وعلا ما لم يكن لو كان كيف يكون، أما علم الله بما مضى فهذا ظاهر، وأما علمه بالمستقبل فقال تعالى: {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [المزمل: ٢٠]، وقال تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الحج: ٧٠]، (ما) من صيغ العموم، وقال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} [الحديد: ٢٢]، يعني قبل أن نبرأ المصيبة أو الأرض أو الأنفس، ثلاثة أقوال وكلها معناها صحيح، يعني قبل المصيبة أو قبل الأرض، أو قبل الأنفس الله جل وعلا علم هذه المصائب، وعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ} [الأنعام: ٢٨]، وقال تعالى: {وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ} [الجاثية: ٢٣].

قوله: (وعَلى العَبْد أن يَعلَمَ أَنَّ الله قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ في كُل كَائنٍ مِنْ خَلْقِه، فقدر ذلك تقديرًا محكمًا مبرمًا، ليسَ فيه نَاقِضٌ، وَلاَ مُعَقِّبٌ، وَلاَ مُزِيلٌ، ولا مُغيِّرٌ، ولا مُحَولٌ، ولا نَاقِصٌ، ولا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ في سَمَاوَاتِهِ وأرْضِه): المحكم الذي لا خلل فيه، والمبرم الذي لا ينقض، ولهذا شرح قال: ليس فيه ناقض. فلا أحد ينقض حكم الله وقدره، قدر الله أن أبا لهب كافر، فلا يأتي أحد ويقول: نرد حكم الله، أو ننقض حكم الله. فليس فيه ناقض ولا معقب فلا أحد يتعقب أحكام الله جل وعلا، ولا مزيل ولا مغير ولا محول، وكلها متقاربة

المعاني، ولا ناقص فلا أحد ينقص من قدر الله ولا أحد يزيد من خلقه في سماواته وأرضه كل ذلك مفروغ منه، فقد فُرغ من القضاء فلا أحد يتعقب الله جل وعلا ولا ينقص أقدار الله ولا يزيد، كلها مكتوبة ومقدرة قد فُرغ منها.

قوله: (وذلكَ مِنْ عَقْدِ الإيمَانِ): العقد جمع عقدة، يعقد عليها المؤمن يعني يجزم، العقدة التي يعقد عليها قلبه مثل عقدة الحبل، والمؤمن يعقد قلبه على الإيمان بهذا، فلا يتردد ولا يشك فيما أخبر الله جل وعلا به.

قوله: (وأُصُولِ المعْرِفَةِ): المعرفة الشرعية، والمعرفة الإسلامية، والمعرفة الدينية.

قوله: (والاعْترافِ بتوْحيدِ الله تعالى ورُبُوبِيَّتِهِ): أي أن الإيمان بالقدر من توحيد الله، والذي لا يؤمن بالقدر لم يوحد الله جل وعلا؛ لأن التوحيد ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فالذي لا يؤمن بالقدر معناه لم يؤمن بتوحيد الربوبية ولا بتوحيد الأسماء والصفات ولم يعظم الله في الألوهية، فأخل بأنواع التوحيد الثلاث، فالذي قدر المقدورات وخلقها وأوجدها هو الله، وهو الذي علم كل شيء، فإذا قال: لم يعلم الأشياء. فقد وقع في خلل توحيد الأسماء والصفات، جحدها، وإذا قال: لم يقدرها ولم يخلق أفعال العباد. فهذا خلل في توحيد الربوبية وجعل لله أندادًا، فإذا لم يخلقها الله جل وعلا سيخلقها غيره فسيكون مثل المشركين الذين جعلوا مع الله خالقًا، وهذا شرك في توحيد الربوبية، وبالتالي إذا جاء يتعلق بالله ويدعو فهو يدعو من لا يقدر في زعمه على باطله فيخل بتوحيد الألوهية، ولهذا نُقل عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال: القدر نظام التوحيد، فمن آمن بالقدر فقد صدّق توحيده ومن كذب بالقدر نقض توحيده. أو كما قال، ولهذا قال المصنف: وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته. يعني أن الإيمان بالقدر من الاعتراف بتوحيد الله وربوبيته، كما قال تعالى في كتابه: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان: ٢]، وقال تعالى: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا} [الأحزاب: ٣٨].

قوله: (فَوَيْلٌ لمنْ صَارَ لله تَعالى في القَدَرِ خَصِيمًا، وأحْضَرَ للنَّظَرِ فيهِ قَلْبًا سقيمًا، لَقد الْتَمَسَ بوهْمِهِ في فَحْصِ الغَيْبِ سِرًّا كَتِيمًا، وَعادَ بما قالَ فيهِ أَفَّاكًا أثِيمًا): هذا من الجمل التي مرت معنا وهي من

عناية المصنف –رحمه الله- بالتحذير من الغلو أو الدخول في باب القضاء والقدر على طريقة أهل الأهواء والبدع، والمخاصمة لله جل وعلا بأن يقول: لم فعل ربنا كذا. على وجه الاعتراض، أو كيف على وجه الاعتراض، أو يخاصم في القدر، وقد وردت الأحاديث بالنهي عن الخصومة والجدال فيه كما مر معنا حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وغيره، هذا متوعد بالوعيد الشديد، وقد جاءت أحاديث في ذم القدرية أربعة أو خمسة أحاديث في سنن الترمذي وغيره، منها حديث ابن عباس، وابن عمر وغيرهما مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم)، ولكن الصحيح أن هذا الحديث لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعًا وإنما هو موقوفًا على ابن عباس أو ابن عمر؛ لأن الأسانيد في هذا لا تصح وإنما صح من كلام الصحابي، وليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه معناه صحيح، والصحابة –رضي الله عنهم- من الهداة المهتدين، وتسمية القدرية بالمجوس؛ لأن المجوس قالوا: هناك خالق للخير وخالق للشر. فشابهوا المجوس من هذه الناحية؛ لأنهم قالوا: إن أفعال العباد لم يخلقها الله وإنما خلقها العبد نفسه. فجعلوا مع الله خالقًا بل خالقين، وطوائف أهل البدع والأهواء لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم تسميتهم، لكن الذي ورد طائفة واحدة فقط وهي الخوارج، وهي التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم بأوصافها وشدد فيها، وقد ذكر الإمام مسلم في الصحيح عشرة أحاديث ساقها سياقًا حسنًا أظنها في آخر كتاب الزكاة، لما جاء موضوع إعطاء المؤلفة قلوبهم، وفرقها البخاري في صحيحه على حسب المواضع، ورواها أهل السنن والمسانيد في مشروعية قتال الخوارج، وفضل قتالهم، وبيان عدم التباس الأمر بهم؛ لأنهم أهل عبادة، وهم في الظاهر قبل أن يحدثوا هذه البدعة من أهل السنة، لكن لما غلّبوا جانب الغلو كفروا عليًا –رضي الله عنه- لهوى وشبهة، لما قالوا: إن الحكم إلا لله. قال لهم علي: كلمة حق أريد بها باطل. قالوا: أنت حكمت الرجال. وخرجوا عليه، وكانوا أهل عبادة وأهل زهد واجتهاد في الطاعات، فكانت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم صريحة فقال للصحابة: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم)، أي يفهمونه فهمًا سقيمًا (حدثاء الأسنان، وسفهاء الأحلام) يقولون من خير قول البرية وأعمالهم أعمال خُبث وشر، ولم يسمهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخوارج وإنما قال: (يخرج قوم)، ومنها أخذوا هذه التسمية، وخصوا أوصافهم بهذا الخروج، والخروج نوعان: أوله: خروج علمي قولي، ثم يليه الخروج

العملي، والحامل لهم على الخروج هو التكفير بغير الحق، واشتهر عند العلماء أنهم يكفرون بالذنوب كما سيأتي، والحقيقة إذا تأملت خروجهم على علي -رضي الله عنه-؛ لأنه حكم أبا موسى وحكم عمرو بن العاص، ليتباحثا ويصطلحا وتُحقن دماء المسلمين، فقالوا: حكمت الرجال في دين الله. فهذا أصل التكفير عندهم؛ ليس لأنه شرب الخمر، وليس لأنه زنا وسرق -والعياذ بالله-، وإنما فعل فعلًا فيه مصلحة للمسلمين، فرأوا هم أنها ذنب ثم حكموا على هذا الذنب بأنه كفر ثم حكموا على علي -رضي الله عنه- بالكفر ثم على أتباعه أيضًا، هذا مذهبهم، فإذا سمعت التكفير بالذنب والمعصية فلا يذهبن إلى خلدك أن كل الخوارج لا بد وأن يكفرون بالذنب وإلا فلا يصير خارجي، فالمقصود من كان مع علي وخرج، ولا شك أن هناك طوائف كالإباضية وغيرهم هؤلاء يكفرون بذنوب معروفة؛ كالكبائر، وهم درجات وأصناف لكن المقصود أننا نعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من طائفة الخوارج وجاء في هذا أحاديث عنه صلى الله عليه وسلم بخلاف الفرق الأخرى، وبالفعل أول فرقة حدثت في الإسلام هي الخوارج، وسيأتي لهذا مزيد بحث في خاتمة العقيدة لما ذكر الطوائف.

*** المتن ***

٤٨- والعرشُ والكرسيُّ حَقٌّ.

٤٩- وهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ العرشِ ومَا دُونَه.

٥٠- مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وفَوْقَهُ، وقَدْ أعْجَزَ عَنِ الإحَاطَةِ خَلْقَهُ.

٥١- ونَقُولُ: إنَّ اللهَ اتَّخَذَ إبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وكَلَّمَ اللهُ مُوسى تكْلِيمًا، إيمَانًا وتَصْدِيقًا وتَسْلِيمًا.

٥٢- ونؤْمنُ بالملائكةِ والنَّبيين والكُتُبِ المُنَزَّلَةِ عَلى المرْسَلينَ ونَشْهَدُ أَنَّهُم كانوا على الحَقِّ المبين.

٥٣- ونُسمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنا مُسْلِمينَ مؤمنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مُعْتَرِفِينَ، ولهُ بِكُلِّ ما قالَ وأَخْبَرَ مُصَدِّقِين.

*** الشرح ***



قوله: (والعرشُ والكرسيُّ حَقٌّ): ذكر الله سبحانه وتعالى العرش في القرآن في مواضع كثيرة، ووصفه بأوصاف جليلة عظيمة، وأخبر أنه استوى عليه، قال تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} [الفرقان: ٥٩]، {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]، والعرش في اللغة: هو سرير الملك، والمراد به هو الذي استوى الله عليه سبحانه وتعالى بعدما خلق السماوات والأرض وهو سقف الجنة وأعلى المخلوقات، وله قوائم تحمله الملائكة، والله جل وعلا خلقهم وخلق العرش وهو سبحانه وتعالى فوق كل شيء، ومعنى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]، كما قال أئمة الصحابة والتابعين: أي علا على العرش وارتفع عليه. وأيضًا جاء تفسير من بعض السلف بأنه صعد، وكذلك جاء تفسير رابع بأنه استقر، فهذه أربعة تفسيرات منقولة عن السلف في معنى استوى على العرش، وهذه المعاني متقاربة، وفي هذا قال الإمام مالك –رحمه الله-: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. فالاستواء غير مجهول المعنى، معلوم المعنى، مع أن الإمام مالك قال هذا وهو قد غضب أشد الغضب على من سأله كيف استوى، أي سؤال تعنت، والواجب الإيمان والتسليم، والكرسي غير العرش، الكرسي في الأثر المنقول عن بعض السلف المتقدمين أنه موضع القدمين، ويروى حديثًا، وجاء في أحاديث يشد بعضها بعضًا وصححها جمع من الأئمة أن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، وأن السماوات والأرض بالنسبة للكرسي ليست بشيء وأن الكرسي عظيم جدًا، وأن الكرسي مع العرش كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، والله جل وعلا فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه سبحانه وتعالى، فالكرسي قال الله فيه: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ} [البقرة: ٢٥٥]، وليس الكرسي معناه العلم كما ذُكر ذلك عن ابن عباس، وهو أظنه لا يثبت وإن ثبت فالأحاديث الواردة في هذا الباب تدل على أنه ليس كما ذُكر أن الكرسي هو العلم، الكرسي شيء آخر، والله جل وعلا وسع علمه السماوات والأرض وما سواهما، لكن تفسير الكرسي بأنه العلم هذا خلاف قول جماهير السلف والأئمة، وأورد المصنف الكرسي والعرش في العقيدة؛ لأن من الناس من أولها وحرفها فقال: الكرسي ليس إلا العلم. وقال بعضهم: العرش كناية عن مُلك الله المخلوقات وقدرته. وهذا قاله سيد قطب في ظلال القرآن في أكثر من موضع، وهذا من تفاسير المعتزلة والجهمية، فالواجب على طالب العلم أن يحذر من هذه التفسيرات

المخالفة لما كان عليه السلف الصالح، فنؤمن بأن العرش حق وأن الكرسي حق ولا ندخل في ذلك متأولين ولا محرفين.

قوله: (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وفَوْقَهُ، وقَدْ أعْجَزَ عَنِ الإِحَاطَةِ خَلْقَهُ): الله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء، {وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا} [النساء: ١٢٦]، والإحاطة إحاطة العلم والسمع والبصر فلا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء، وهو سبحانه وتعالى فوق المخلوقات، ولا يعني كونه محيطًا أن المخلوقات في وسط ذاته، لا، ربنا سبحانه وتعالى فوق كل شيء، والمخلوقات كلها السماوات والأرض والعرش كل المخلوقات لا تمثل شيئًا في جنب الله، فالله أعظم من كل شيء، وأكبر من كل شيء، حتى يروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: ما السماوات السبع والأرضين السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم. والخردلة شيء لا يكاد يُرى بالعين، تراه في ضوء الشمس يطير في الهواء من الأشياء الصغيرة جدًا، وهذا ليس للتمثيل وإنما في بيان عظمة الرب جل وعلا، والأمر عظيم جدًا، فالإيمان بالعرش، والإيمان بالكرسي، والإيمان بإحاطة الله هذا يورث المؤمن الخوف من الله سبحانه وتعالى وتعظيمه ومعرفة قدرة الله وجبروته، ومعرفة ضعفك أنت أيها العبد وشدة فقرك وحاجتك إلى الله، ما أنت أمام هذه الأرض؟! فضلًا عن السماء، فضلًا عن الكرسي، فضلًا عن العرش، حتى النقطة لا تمثلها، وتستكبر على الله وتعصيه وتخالف أوامره! خف منه وارجه واجتهد في طاعته، واعرف أن الله تفضل عليك، خلقك وهداك للإسلام، وبعث إليك النبي صلى الله عليه وسلم، وأنزل الكتاب، فاتق الله واعرف قدرك، واعرف ضعفك، واعرف فاقتك إلى الله وحاجتك إليه، وغنى الله عنك، الذي يركب الطائرة ويرى مثلًا مدينة الرياض أو المدن الكبار أو غيرها، فيرى البيوت صغيرة جدًا ثم يصعد فلا يرى شيئًا، وهذه البيوت مليئة بالناس، هذا وأنت في محيط الأرض ترى صغر العباد وضعفهم وعجزهم وقلة أمرهم وحيلتهم، والله جل وعلا فوق العرش يراهم ويبصرهم ولا يخفى عليه شيء من شؤونهم سبحانه وتعالى.

قوله: (وفَوْقَهُ): هذه مسألة العلو العظيمة التي خالف فيها الجهمية وأتباعهم على شتى أصنافهم، فقد خالفوا مذهب السلف الصالح فأنكروا فوقية الله وعلوه سبحانه وتعالى، وخالفوا الأحاديث الصحيحة والآيات الصريحة والإجماعات، فمسألة العلو مسألة ظاهرة جدًا، دل عليها الشرع، ودل عليها القرآن، ودلت

عليها السنة، ودل عليها العقل، ودل عليها أدلة الفطرة، ودل عليها الحس، ثم إن أدلة العلو كثيرة جدًا حتى أن العلماء قالوا: أفراد الأدلة أكثر من ألف دليل. لكن يقولون: تجمعها أنواع. هذه الألف تندرج تحت أنواع، أكثر من عشرين نوعًا وكل نوع تحته ما شاء الله من الأدلة، وذكر هذا ابن القيم في إعلام الموقعين، وذكرها الشارح ابن أبي العز في شرح الطحاوية فارجع إليها، وذكرها ابن القيم أيضًا في النونية، وشراح النونية؛ كالشيخ إبراهيم بن عيسى، والشيخ محمد خليل هراس، شرحوا كل نوع من الأنواع وذكروا الأدلة، فمن الأنواع:

الأول: التصريح بأنه من أسمائه العلي {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: ٢٥٥]، والأعلى {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١]، والمتعال، ونحو ذلك.

الثاني: دلالة الصفات، صفة العلو، والأحاديث في هذا كثيرة.

الثالث: التصريح بصعود الأشياء إليه وعروجها إليه، قال تعالى: {مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج: ٣، ٤]، والعروج لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى، وقوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠].

الرابع: ذكر العندية، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} [الأعراف: ٢٠٦]، وهذه العندية تدل على اختصاص وأنهم عند الرب جل وعلا، وهذه تفيد الفوقية وأن الرب فوقهم سبحانه وتعالى.

الخامس: ذكر الاستواء على العرش، قال تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤]، في سبع مواضع من كتاب الله[٣].

السادس: ما ذكره الله جل وعلا أن موسى أخبر أن الله في السماء وأن فرعون كذّب وعطّل، فقال فروعن المكذب الجاحد: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى} [غافر: ٣٦، ٣٧]، فموسى عليه السلام أخبر أن الله في السماء، في العلو، وفرعون الخبيث الكذاب المعطل الجاحد إمام المعطلة قال ليس هناك أحدًا فوق ثم قال: {وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا}، وهذا

[٣] المفرغ: قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} هذه وردت في ست والموضع السابع في سورة طه: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥].

من تكبره وتجبره، وأنه يعلم أنه مهما بنى لم يبلغ السحاب فضلًا عن أن يبلغ السماء، لكن هذا من شدة تعطيله وكفره.

السابع: أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة لما حذر الناس وبين لهم الأحكام ووجههم التوجيهات العظيمة وفي الختام قال: (وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون)، يعني يوم القيامة، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. وصدقوا –رضي الله عنهم– فقط بلغ النبي صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين ونصح وتركنا على المحجة البيضاء صلوات الله وسلامه عليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم فاشهد)، ويشير بأصبعه إلى السماء ويشير بها عليهم ثلاث مرات، وهذا في موضع جمع أكثر من مائة ألف صحابي حجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع.

الثامن: التصريح بالفوقية، وهذا كثير في القرآن وفي السنة أيضًا، قال تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} [الأنعام: ١٨، ٦١]، وقال تعالى: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} [النحل: ٥٠].

التاسع: حديث الإسراء والمعراج دليل على أن الرب جل جلاله في العلو؛ لأن الله جل وعلا كلم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لما عرج به فوق السماء السابعة.

العاشر: أن العباد مفطورون على علو الله سبحانه وتعالى، حتى المخالفين يشعرون بهذا.

والأدلة في هذا كثيرة جدًا، وإذا رجعت إلى شرح ابن أبي العز للطحاوية تجدها، أو كتاب العلو للذهبي فهو كتاب عظيم ومفيد جدًا، وأيضًا كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم وهذا الكتاب أُلف في مسألة العلو والرد على نفاة العلو.

وأما نفاة العلو فنوعان:

النوع الأول: قالوا: إن الله حال في كل مكان. هؤلاء يقال لهم: الحلولية.

النوع الثاني: قالوا: إن الله ليس في مكان، لا فوق العالم ولا تحت العالم، ولا يمين ولا شمال ولا داخل ولا خارج ولا كذا ولا كذا. هؤلاء يقال لهم: المعطلة النفاة، ولهذا الجهمية جمعوا بين هذا وهذا، جمعوا بين القولين، فمن كان منهم مائلًا إلى التعبد فإنه يقول بالحلول، ومن كان منهم مائلًا إلى النظر والمناقشات والمناظرات فإنه يميل إلى التعطيل، وليس عندهم متمسك من النصوص، ما عندهم إلا أن يقولوا: إذا أثبتنا أن

الله فوق العالم أو فوق كل شيء هذا تجسيم. وسبق معنا أن هذه العبارات لنا موقف صارم معهم فيها فلا نقبلها منهم، وما أجمل عبارة الإمام أحمد يقول: لا نزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين. فنؤمن بها من غير تمثيل ولا تكييف ولا نترك صفة من صفات ربنا لأجل شناعة شنعتموها أنتم، وزوجه الجهم بن صفوان إمام الجهمية قال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدود على محدود. فيشنعون تشنيعات من عندهم ثم يريدون من المسلمين نفي الصفات وتعطيلها بهذه الشناعات والألفاظ التي أحدثوها، أما الحلولية فربما احتج بعضهم بقول ربنا سبحانه وتعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤]، وهذا من جهلهم بلغة العرب، ومن المغالطات العقلية، كما أنها مخالفة كاملة لطريقة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة لأمور:

أولًا: أن معنى (معكم) لا يلزم منه الاختلاط والحلول، هذا في لغة العرب معروف، فأنت إذا قتل: ما زلنا نسير والقمر معنا. ليس هنا عاقلًا يقول: إن القمر معك في وسط السيارة. لأن المعية هنا مطلق المصاحبة، وتقول: اختلط الماء مع اللبن في الكأس. هنا نفهم منه اختلط هذا بهذا، فكيف يزعم هؤلاء أن كلمة (مع) في جميع مواردها تفيد الاختلاط؟! فإذا قال ربنا أنه استوى على العرش وفوق كل شيء وأخبرنا أنه معنا فلا يلزم من هذا أنه مختلط في المخلوقات، فهو معنا سبحانه وتعالى بعلمه وبسمعه وبصره وبإحاطته وقدرته، لا يخفى عليه شيء من شؤون العباد، ومن كان في السماوات والأرض بجميع من فيها وبعظمها وكبرها واتساعها كلها لا تمثل شيئًا في حق الله كما قال ابن عباس: ما السماوات السبع والأرضين السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم.

وهذا القول الخبيث معناه إما أن يقول بالحلول في بعض الأشخاص والذوات فيكون كفره ككفر النصارى الذين قالوا: إن الله حل في عيسى بن مريم. وقد أجمع المسلمون ودل القرآن والسنة على كفر النصارى، وإما أن يقول بالحلول العام وأن يقول: حل الله في كل شيء واختلط في كل شيء. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، ومعنى هذا القول أنه لم ينزه الرب جل وعلا عن الأماكن المستقذرة، الحشوش والحمامات والأشياء القذرة، والخنازير والكلاب وأشباه ذلك، هؤلاء الحلولية –قاتلهم الله– يزعمون أن الله في كل مكان، وهذا يدلك على خبث هذه المقالة وأن قائلها كافر، ولهذا أجمع السلف على أن من قال: إن الله حال بذاته في كل

مكان. فهو كافر، قالها ابن المبارك وجمع من السلف، وانظر كتاب خلق أفعال العباد للبخاري والرد على الجهمية في مقدمته تسعين أثرًا أو أكثر كلها في الرد على الجهمية وذكر هذه البدع ورد عليها.

قوله: (وقَدْ أعْجَزَ عَنِ الإحَاطَةِ خَلْقَهُ): أي أن الرب سبحانه وتعالى أعجز الخلق عن الإحاطة، فالخلق لا يحيطون بشيء، بل الروح التي في جسدك أيها الإنسان أنت لا تدري عنها شيئًا، ولو اجتمع العلماء العقلاء كلهم على أن يعرفوا حقيقة الروح ما علموها، لكن المعلوم أشياء يسيرة منها أنها عند النوم تخرج، تبقى علقة، تتحرك، عند الموت تفارق الجسد، أشياء يسيرة عن الروح لكن حقيقة الروح، قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥]، فالخلق لا يعلمون إلا ما أعلمهم الله جل وعلا، وانظر إلى الطائرات والباخرات والصواريخ والحواسب، ... إلى آخره، هذه الأشياء سماها الله باسم في القرآن فقال تعالى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم: ٧]، أما التفاصيل والإحاطة فلا يعلمون.

قوله: (ونَقُولُ: إنَّ اللهَ اتَّخَذَ إبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وكَلَّمَ اللهُ مُوسى تكْلِيمًا، إيمَانًا وتَصْدِيقًا وتَسْلِيمًا): قال الله تعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف: ١٤٣]، فنؤمن بما أخبر الله ونصدق ونسلم ولا نعترض، ومعنى الإيمان بأن الله اتخذ إبراهيم خليلًا أن الله سبحانه وتعالى موصوف بأنه يحب عباده المؤمنين وأنبياءه وأن بعض أنبيائه لهم نصيب أوفر وأعظم وهو الخُلة؛ لأن الخلة أعظم المحبة، ولهذا لم يتخذ الله جل وعلا خليلًا إلا إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما، والعلماء قالوا: إن المحبة درجات عشر. لا نريد أن نخوض فيها لكن أهم شيء أن ما وصف الله به نفسه من الخلة فهي لإبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام وما وصف الله به نفسه من المحبة {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٤، وغيرها]، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ونحو ذلك فنثبته، وأما الألفاظ الأخرى مثل: العشق، والصبابة، إلى آخره هذه الألفاظ لا يجوز أن نصف الله جل وعلا بها، ولا أن نقول في المخلوق: إنه يعشق الخالق. فهذا كله لا يجوز، والجهمية أنكروا أن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، فأنكروا المحبة كلها، وأول من صرح بهذا الجعد بن درهم، ويقال: إنه أخذ هذا عن اليهود، فكان في عهد بني أمية وكان معلم أحد الخلفاء مروان الحمار، حتى يقال: إن سبب سقوط الدولة مروان الجعدي

نسبة إلى الجعد هذا، والجعد بن درهم عذره ولي الأمر بقتله خالد بن عبد الله القسري كان أميرًا، فجاء في عيد الأضحى وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد ابن درهم، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا. ثم نزل فذبحه.

يقول ابن القيم –رحمه الله-:

شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان

يعني كل صاحب سنة يفرح ويحمد الله جل وعلا على قطع رؤوس الفتنة والبدعة والضلال، أما أصحاب البدعة فيتأسفون، ولذلك محمد زاهد الكوثري من أئمة البدعة في هذا العصر من أئمة الجهمية، ولما جاءت قصة قتل خالد القسري للجعد بن درهم، قال: لماذا قتله؟ ماذا فعل؟. يستنكر هذا الفعل، وصاحب السنة يحب قطع دابر المبتدعة المخالفين للشريعة الإسلامية، وصاحب البدعة يميل إلى أصحابه من المبتدعة ويحبهم ويواليهم، (المرء مع من أحب يوم القيامة)، فصاحب السنة مع النبي صلى الله عليه وسلم، وصاحب البدعة مع صاحب البدعة، والجهمية أيضًا نفوا أن الله يتكلم، وقالوا: لا نقول: إن الله كلم موسى تكليمًا. فكذبوا وأنكروا، لكن لا بد أن نفرق بين المتأولين وبين المنكرين، فالمبتدعة في الأسماء والصفات نوعان:

النوع الأول: الغلاة، وهم المنكرون وهؤلاء كفرهم السلف.

النوع الثاني: المتأولون الذين أثبتوا الصفات ولكن تأولوا في بعضها، ولذلك كلام العلماء في الجهمية غير كلامهم في المعتزلة والأشاعرة؛ لأن الجهمية منكرين جاحدين، بينما الأشاعرة عندهم إثبات يثبتون بعض الأسماء ويثبتون بعض الصفات، فمن هنا لم يطلقوا القول بتكفيرهم وقالوا: هؤلاء متأولون. لكن يطلقون القول بتبديعهم وتضليلهم.

قوله: (ونؤْمنُ بالملائكَةِ والنَّبيين والكُتُبِ المُنَزَّلَةِ عَلى المرْسَلينَ ونَشْهَدُ أَنَّهُم كانوا على الحَقِّ المبين):

هذه من أركان الإيمان الستة: الإيمان بالملائكة أي الإيمان بأسمائهم وأوصافهم وأعمالهم، وما أخبرنا الله جل وعلا عنهم سواء على التفصيل أو على الإجمال، والإيمان بالأنبياء المرسلين، الإيمان بمن سمى الله جل وعلا منهم، والإيمان بما لم يسم إيمانًا مجملًا، ومحبتهم ومعرفة أنهم دعوا أقوامهم إلى الهدى والحق، فمن كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، ومن كذّب رسولًا فقد كذب بجميع الرسل، {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء:

١٠٥]، مع أنهم ما كذبوا إلا نوح عليه السلام، فنحن نؤمن بجميع الأنبياء والرسل ونحبهم ونعلم أنهم على الحق، وأنهم دعوا أقوامهم إلى الحق، {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥]، واليهود كفروا بعيسى ومحمد صلوات الله عليهما، والنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم، والمسلمون آمنوا بجميع الأنبياء والرسل، لكن {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة: ٤٨]، وشريعة الرسول صلى الله عليه وسلم خاتمة وناسخة وشاملة لجميع أهل الأرض عامة، والكتب المنزلة على المرسلين؛ كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم، والزبور، والقرآن العظيم المهيمن عليها، الحاكم، وهذه الأسماء الخمسة معلومة: التوراة، والإنجيل، وصحف إبراهيم، والزبور، والقرآن العظيم، وأما البقية لم تذكر بالتفصيل وإنما نؤمن بها إجمالًا الكتب المنزلة على بقية المرسلين، وإن كنا لا نعلم أسماءها، ونؤمن بأنها كلام الله جل وعلا، لكن القرآن هو المهيمن عليها والناسخ لها، ولا يجوز النظر في الكتب السابقة؛ لأنه قد دخل فيها التحريف ولم تحفظ فحصل ما حصل فيها من الإضافة والنقص بسبب تضييع من وكلت إليه حفظها وحصل عندهم ما حصل وقد ذكر الله أوصافهم في سورة البقرة وسورة آل عمران، ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عمر في يده صحيفة من التوراة قال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي)، والتهوك هو الشك والتحير، وعيسى ابن مريم عليه السلام إذا نزل آخر الزمان فإنه يصلي خلف إمام المسلمين ويحكم بشريعة الإسلام، بالقرآن والسنة، ولا يتبع الإنجيل، فقد أخذ الله الميثاق على جميع الرسل لئن بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم وهو أحياء يتبعونه ويؤمنون بها وكلهم أقر، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: ٨١]، ونشهد أن الأنبياء والرسل كانوا على الحق المبين.

قوله: (ونُسمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنا مُسْلِمينَ مؤمنينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مُعْتَرِفينَ، ولهُ بِكُلِّ ما قالَ وأَخْبَرَ مُصَدِّقِين): أهل القبلة هذا المصطلح عند العلماء يراد به كل من يتجه إلى الكعبة في صلاته، فيخرج من يتجه إلى بيت المقدس؛ كالنصارى، واليهود يصلون إلى المشرق، كذلك الوثنيون الذين يتوجهون إلى الأضرحة أو يتوجهون للأصنام يخرجون من هذا الوصف، وأُخذ هذا الوصف من



قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من استقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا وصلى صلاتنا فله ما لنا وعليه ما علينا)، والحديث في صحيح البخاري.

س: هل معنى أن الذي يستقبل القبلة ويأكل ذبيحة المسلمين ويصلي صلاتهم أنه لا يكفر أبدًا ما دام على هذا الوصف؟.

ج: ليس هذا معناه، فقد يكفر بعد إسلامه، وقد يكفر وهو مستقبل القبلة ومستمر عليها، مثل شخص يسب الله ورسوله –نعوذ بالله من هذا– ويصلي ويأكل من ذبيحة المسلمين، فهذا بإجماع العلماء كافر، أو مثلًا: إنسان يطأ المصحف، أو يستهزأ به أو يهينه عمدًا قاصدًا مختارًا، أجمع العلماء أيضًا أن هذا كفر مخرج من الملة، إذن الأصل في أهل القبلة الإسلام، لا نشكك فيهم؛ لأنه إذا صلى واستقبل القبلة علمنا أنه يشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأنه دخل في الإسلام والتزم بلوازمه، ومن لوازم الإسلام الصلاة وهي علامة فارقة بين المسلم وبين الكافر، ولا يُمتحن ويختبر إلا عند الحاجة في مواضع مخصصة كما قال الله في المؤمنات {فَامْتَحِنُوهُنَّ} [الممتحنة: ١٠]، لكن هل نقول: الأصل في المسلم العدالة؟ أو الأصل في المسلم السلامة؟ معنى الأصل في المسلم العدالة أي أنه معدل وموثق ومزكى ومعلوم أنه قد يكون فيه من الخوارم ما فيه، ولذلك لا بد من تزكية له حتى تثبت عدالته، فقولنا: الأصل في المسلم العدالة. هذا غلط، لكن نقول: الأصل في المسلم السلامة. يعني أنه لم يثبت شيء ناقض لإسلامه فالأصل بقاء إسلامه، وليس هذا معناه تزكية له أو تعديل أو توثيق في روايته، ولهذا لو جاء شخص يشهد ويشترط في الشهادة مثلًا أنه مسلم، فيكفي أي شاهد، لكن إذا جاء شاهد يشهد واشترطوا فيه أنه عدل فلا يكفي الإسلام ولا بد من تعديله وتزكيته، ومن فروع هذه المسألة لو شخص صلى بالناس إمامًا هل تفتش عنه وتقول: ما عقيدته؟ الأصل السلامة، لكن لو كان في ديار يكثر فيها الشرك وينتشر فيها الاستغاثة بغير الله هنا تحتاط.

قوله: (ونُسمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مؤمنينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم مُعْتَرِفِينَ): إذن لا بد من الاعتراف بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا رد الأحاديث وكذب بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم ورد النصوص فهذا كافر حتى لو كان من أهل القبلة، ولا بد أن تعرف أن

الناس بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة صاروا ثلاث طوائف، قبل الهجرة: مسلمون وكفار، وبعد الهجرة: مسلمون وكفار ومنافقون إلى قيام الساعة، حتى في خبر فتح القسطنطينية الجيش الذي يقاتل ثلاث أثلاث، ثلث يسخط الله عليهم وهم المنافقون، وثلث يستشهدون، وثلث يفتحون البلد، والكفار هم الذين كفروا بالله وبرسوله، أو ارتدوا بالنواقض الصريحة التي تخرجهم عن الإسلام، والمسلمون هم الذين أسلموا وآمنوا وثبتوا على الإسلام، وقد يكون من المسلمين من عنده ناقض لكن لا يحكم بكفره؛ لوجود موانع، فهناك فرق بين تكفير المعين والتكفير المطلق، في التكفير المعين هناك ضوابط وشروط وموانع، ولذلك رجل يقول: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. ومع ذلك لا يحكم بكفره؛ لأن أخطأ من شدة الفرح كما قال صلى الله عليه وسلم، والمنافقون يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، فيجب معاملتهم في الظاهر بمعاملة المسلمين في البيع والشراء والنكاح وفي الصلاة، وفي كل شيء، فإذا ظهر منهم ما يدل على كفرهم عوملوا بمقتضى ذلك.

*** المتن ***

٥٤- ولا نَخُوضُ في الله، ولا نُمَارِي في دين الله.

٥٥- ولا نُجَادِلُ في القرآنِ، ونَشْهدُ أَنَّهُ كَلامُ ربِّ العالمينَ، نَزَلَ به الروحُ الأمِينُ، فَعَلَّمَهُ سيِّدَ المرسلين مُحَمَّدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو كَلامُ الله تعالى لا يساويه شيءٌ مِنْ كلامِ المخْلُوقِين، ولا نَقُولُ بِخَلْقِهِ، وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المسْلِمينَ.

*** الشرح ***

قوله: (ولا نَخُوضُ في الله، ولا نُمَارِي في دين الله): المؤمن منهي عن الخوض المذموم والدخول فيما لا يعنيه عمومًا، فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، والاشتغال بما ينفعه والمطلوب منه، قال صلى الله عليه وسلم: (إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم)، والخوض في الله مثل أن يخوض في التفكر في ذات الله، أو في طلب حقيقة الصفات وكيفيتها، هذا من الخوض المذموم والمحرم؛ لأنه قول على الله بغير علم، فإن العباد مهما بلغوا لم يحيطوا بالله، فإن الله جل وعلا لا أحد يحيط به، فإياك وهذه الوسوسة وهذه الخواطر الشيطانية أو المجالس البدعية، وما الكلام فيما وضعه أهل البدع من المتكلمين وغيرهم ما هو إلا خوض

في الله، والله جل وعلا يقول: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: ٦٨]، والمراء مذموم، والمماراة هي أن يتكلم الإنسان بالشيء من أمور الدين يريد فيه حظ نفسه ويريد فيه أيضًا الدخول فيما لا علم له به، فأما إن كان له علم بذلك ودخل في المراء فإنه اشترك فيه أمران:

الأمر الأول: حظ النفس.

الأمر الثاني: المماراة. والكلام لإثبات الحق، وقد يعسر في التخلص من حظ النفس، ولهذا كان الأئمة والسلف يوصون المسلم وطالب العلم والسني بأن يقول الحق ويسكت ولا يماري ليسلم من حظ نفسه وليبين الحق لإخوانه.

مثال ذلك: دخلت المجلس أو مكانًا فرأيت أحدًا يعطل أسماء الله وصفاته ويجحدها فيجب أن تبين الحق، فإذا قال: ناظرني، أو تعال نتكلم في هذا الأمر. وأنت تعرف أن هذا لا يريد الحق وإنما يريد باطلًا، أو يريد الجدال في الدين لمجرد المناظرة والمناقشة لا لطلب الحق، فأنت لك في هذا حظ نفس، إن دخلت فيه أخطأت، ولك في هذا أن تبين الحق، فيجب أن تبين الحق، فهذان أمران يجب أن تميز بينهما، فألق الحق عليه وقل له: الواجب أن نؤمن بأسماء الله وصفاته كما أخبر الله جل وعلا، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم، وكما كان عليه جماعة المسلمين من الصحابة والتابعين والسلف، وبعد هذا تمسك، لا تماري في الدين، لست في شك من ديني حتى تماريني أو أماريك، وقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقًا.

قوله: (ولا نُجَادِلُ فِي القرآنِ): الجدال في القرآن مذموم مثل الجدال الذي يكون بين شخصين أحدهما يقول: هذه الآية ترد عليك. والآخر يقول: هذه الآية ترد عليك أنت. والقرآن نزل يصدق بعضه بعضًا، ما نزل يكذب بعضه بعضًا، فالقرآن كله من عند الله {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمرانك ٧]، فهذا الجدال جدال مذموم؛ لأنه فهم مغلوط لكلام الله جل وعلا، وقال الله عن الكفار: {وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} [غافر: ٥]، فاحذر من هذه المسالك الردية، أنت الآن عرفت مذهب الصحابة والسلف –رضوان الله عليهم– في أسماء الله وفي صفات الله، وفي لزوم

الجماعة، وفي العبادة، وفي الدعوة، وفي الجهاد، وفي أمور الدين، عرفت الحق، فإذا جاء شخص يجادلك بالشبهات وبالباطل ليدحض الحق لا تقبل الجدال، لكن إذا كان الجدال بالتي هي أحسن فهذا لا بأس به عند الحاجة إليه، قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥]، فالجدال بالتي هي أحسن بإلقاء الحق والنصح للخلق وذلك يكون بعلم وبصيرة من دون أن يجعل القرآن أو الأدلة الشرعية محلًا للشك والأخذ والعطاء، فما علمت فقل وما لا فكله إلى عالمه وإياك ثم إياك أن تجعل دينك محلًا للجدال ومحلًا للمماراة، وكذلك قوله تعالى: {وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} [البقرة: ١٩٧]، المقصود به الجدال المذموم، فالجدال إما أن يكون مذمومًا كالجدال بالباطل، أو الجدال لرد الحق، وإما أن يكون جدال بالتي هي أحسن، وبالتي هي أحسن يعني اختيار أحسن الألفاظ وبيان الحق بالدليل.

قوله: (ونَشْهدُ أَنَّهُ كَلامُ ربِّ العالمينَ، نَزَلَ به الروحُ الأمِينُ، فَعَلَّمَهُ سيِّدَ المرسلين مُحَمَّدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم): نشهد أن القرآن كلام رب العالمين كما بين الله سبحانه وتعالى في كتابه، وأنه نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين.

قوله: (وهو كَلامُ الله تعالى لا يساويه شيءٌ مِنْ كلامِ المخْلُوقِين): كلام الله سبحانه وتعالى لا يساويه كلام المخلوقين، قال الله سبحانه وتعالى: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ} [الطور: ٣٤]، لا يستطيعون لا الجن ولا الإنس، وقال تعالى: {فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ} [البقرة: ٢٣]، وقال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [هود: ١٣]، وفي سورة الإسراء: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ} [الإسراء: ٨٨]، فكلام الله جل وعلا مشتمل على الآيات والبراهين من عدة أوجه؛ من جهة الألفاظ، ومن جهة المعاني، ومن جهة النظم والسياق، ومن جهة ما فيه من الكفاية والهداية، ومن جهة أن الله تكفل بحفظه، ومن جهة ما فيه من التعريف بأسماء الله وصفاته، ومن جهة ما فيه من كمال الشريعة وذكر محاسنها، ومن جهة اشتماله على البراهين العقلية، فالقرآن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما على مثله يؤمن البشر، غير أن الذي أُوتيته وحيًا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا يوم القيامة)، وقد بين



الله هذه المنة العظيمة فقال: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} [الحجر: ٨٧]، فالقرآن نعمة كبرى، ومنة عظمى على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى الأمة الإسلامية، فالواجب عليها أن تتمسك به، وأن تعمل به، وما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بكتاب الله وباتباع سنته صلى الله عليه وسلم، فهذا علامة النجاة والهداية، لكن ليس كل من يدعي أنه يتبع الكتاب صادق في دعواه، فقد يقول بعض الناس: أنا أتبع القرآن والسنة. وهو أبعد الناس عنها وأشد الناس إعراضًا عن أوامرها ونواهيها.

قوله: (ولا نَقُولُ بِخَلْقِهِ): لا نقول بخلق القرآن؛ لأن هذا القول كفر وخروج من الملة وتكذيب للشريعة وتنقص للرب جل جلاله، وتعطيل لكلامه، ونفي أن الله يتكلم، والقول بخلق القرآن قول خبيث قول الجهمية والمعتزلة، ومعناه: أن الله لا يتكلم، ولا يأمر ولا ينهى، وقد شرحنا هذا باختصار.

قوله: (وَلا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المسْلِمِينَ): فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار، النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)، وقال: (هم الجماعة)، وقال لحذيفة: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، والجماعة في الشريعة تطلق على معنيين: جماعة الأبدان، وجماعة على الدين، قال صلى الله عليه وسلم: (من فارق الجماعة شبرًا مات ميتة جاهلية)، ويقول: (من فارق السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية)، من حديث ابن عباس في صحيح البخاري، فعبر بالجماعة مرة وبالسلطان مرة وهذا شرح بيان، وتلزم جماعة المسلمين وإمامهم هذا جماعة الأبدان، يعني لا تخرج على جماعة المسلمين، فلا تخرج على ولي الأمر، فهذا من علامات الخوارج والمعتزلة وأهل الأهواء، وليس هذا طريق أهل السنة والجماعة فهم يتبعون توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم الصريحة الواضحة، فالخروج على ولي الأمر سيأتينا بالتفصيل في كلام المصنف، وهذا خروج عن الجماعة، ولذلك نحن لا نخالف جماعة المسلمين، فنشهد الجمع والجماعات وندين بالسمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، ولا نخالف جماعة المسلمين أيضًا الجماعة في الدين، وهي لزوم الحق ولو كنت وحدك، لزوم ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في أمور الدين، في العقيدة، في التوحيد، في الإيمان، في واجبات الإسلام، في الانتهاء عن المحرمات، في ترك البدع وتجتنب المحدثات في الدين، هذا لزوم الجماعة على المعنى الثاني، ولو كنت وحدك، فلو كانت بلد أو قرية من القرى كلهم يتركون الصلاة، يصلون في بيوتهم والمسجد

موجود، فسنة النبي صلى الله عليه وسلم الواجبة صلاة الفريضة في المساجد، فهل نوافق الناس لأن كثرتهم يصلون في البيوت؟ لا، ولو أن أهل القرية كلهم عندهم بدعة؛ كأن يحتفلون بليلة، أو يصنعون بعض البدع، هل تكون معهم وتقول: ألزم جماعة المسلمين؟ لا، فالجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك، فلو أن أهل القرية كلهم يشربون الخمر فهل أشرب معهم؟ لا، معاذ الله، الجماعة ما وافق الحق وهذا معناه موافقة جماعة أهل العلم، والجماعة الأولى مستلزمة للجماعة الثانية، والجماعة الثانية مستلزمة للجماعة الأولى؛ لأن أهل العلم يأمرون بالسمع والطاعة في غير معصية وترك الخروج وترك الفتن، وولاة الأمر يأمرون بالاستقامة وبالسمع والطاعة في غير معصية، فهناك تلازم، فإذا وُجد ولي أمر جائر، ظالم، فالشريعة أمرت بالصبر عليه حتى يفرج الله، ومع نصيحته إن أمكن، كما سيأتي.

المجلس: ٦.

*** المتن ***

٥٦- ولا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ.

٥٧- وَلا نَقُولُ: لا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ لمنْ عَمِلَه.

٥٨- نَرْجُو للمُحْسِنِينَ مِنَ المؤْمِنِينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُم ويُدْخِلَهم الجَنَّة بِرَحْمَتِهِ، ولا نَأْمَنُ عَلَيْهِم، ولا نَشْهَدُ لهم بالجَنَّة، ونَستَغْفِرُ لِمُسِيئِهم، ونَخَافُ عَلَيْهِم، ولا نُقَنِّطُهُم.

٥٩- والأَمْنُ والإِياسُ يَنْقُلانِ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ، وَسَبِيلُ الحَقّ بَيْنَهُما لأهلِ القِبْلَةِ.

*** الشرح ***

قوله: (ولا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ): وهذه مسألة مهمة، تكفير المسلم الذي ثبت له الإسلام، دخل في الإسلام وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والتزم بمدلول هذه الكلمة، فهذا تكفيره من أخطر الذنوب، وقد ورد الوعيد الشديد والتهديد فيمن كفّر مسلمًا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما)، وهذا معناه أنها ترجع إليه، وهذا يدل على خطورة هذا الذنب، لكن نحن لا نقول: إن الذي يكفر مسلمًا بغير حق صار كافرًا خارجًا من الملة، لا، بل

نقول: إنه مهدد ومتوعد بهذا الوعيد. فلو أن رجلًا كفّر أخاه المسلم فنقول: هذا وعيد شديد ورد في حقك، أنه يعود إليك هذا الشيء، وهذا من باب نصوص الوعيد التي فيها التهديد وتبقى على ظاهرها حتى يكون فيها التخويف للمسلم من الدخول في تكفير المسلمين بغير حق؛ لأن من ثبت له الإسلام بيقين لا يجوز أن يُنفى عنه إلا بيقين، فالمسلم الأصل فيه الإسلام فكيف أخرجته من الإسلام؟ بأي حق؟ والتكفير هو حق لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فلا يجوز للإنسان أن يعتدي على هذا الحق، ثم الرجل الذي كفرته هو خصيم لك يوم القيامة فأنت أخرجته من دائرة الإسلام وهذا من أعظم التهم، وأول من خاض في تكفير المسلمين بغير حق هم الخوارج فكفروا عليًا بن أبي طالب –رضي الله عنه– وهو من الخلفاء الراشدين، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأفضل أهل الأرض في وقته لما تولى الخلافة بعد مقتل عثمان –رضي الله عنه–، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة، ومع هذا كفره الخوارج وهذا يدل على أن هذا المسلك مسلك مذموم، مسلك خطير، مسلك أهل البدع، فالذي يكفر أخاه المسلم بغير الحق شابه الخوارج، قال المصنف: لا نكفر أحدًا بذنب ما لم يستحله. لماذا؟ لأن الذنوب دون الشرك والكفر لا تخرج العبد من دائرة الإسلام، هو تنقص الإيمان وتضعفه لكن لا تخرجه من الإسلام، قال الله سبحانه وتعالى في ذكر شأن العفو عن القتل: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: ١٧٨]، رجل قتل أخاه المسلم وهذا قتل وهو من أكبر الكبائر، وهذا المقتول له أولياء، وحقهم أن يطالبوا بالقصاص وقتل القاتل، ومع ذلك قال الله: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ} سماه أخًا له في الدين، وهذا لو كان كافرًا بقتله لما سماه أخًا، وقال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات: ٩]، سماهم مؤمنين مع وجود الاقتتال فيما بينهم، وقال أيضًا: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: ١٠]، أيضًا ذكر الله جل وعلا حد السارق والزاني والقاذف، قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [المائدة: ٣٨]، وقال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ} [النور: ٢]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور: ٤، ٥]،

ولو كان هؤلاء كفار فما كان هذا جزاؤهم، وهذه الحدود دليل على أن هذا تطهير لهذا الذنب الذي ارتكبوه، وأدلة أخرى كثيرة لكن هذا فيه الكفاية.

س: ما الذي حمل الذين يكفرون المسلمين بغير حق على هذا الشيء؟.

ج: الهوى، والجهل، واتباع المتشابه، ودعوى الغيرة على الدين، فهذه بعض الأسباب، لكن هذه الأسباب غير كافية لتكفير المسلمين، فهل معنى الغيرة على الدين أن تخرج إخوانك عن الإسلام؟! لا تقبل منك هذه الغيرة، والجهل داء قاتل، فالجهل يجعل الإنسان يتجرأ على هذه الأمور لجهله ويظن أنها أمور سهلة، وربما يجلسون مجلسًا –وهذا كثير مع الأسف- يفتحون كتاب ثم يأخذون ويصدرون الأحكام، هذا كافر وهذا مرتد، وهذا كذا، مع جهلهم وقلة معرفتهم، فأكثر من يتحدث في هذا الباب من المتسرعين لو سألته عن مسألة في الطهارة أو في الصلاة ربما لا يدركها، فهؤلاء لا يحسنون من أمور الإسلام شيئًا ثم يدخل في باب التكفير، فأمور الدين لا تفقه فيها شيئًا وأخطر باب الذي ترتعد فرائص العلماء من الدخول فيه فيدخل فيه هو، وقد يقول: أخذت هذا عن فلان. مفتون يروي عن مفتون، والمصيبة أنهم يتكلمون فيما لا يعنيهم.

مثال ذلك: كتاب الكواشف الجلية في تكفير الدولة السعودية لشخص خبيث من أهل الأهواء محمد المقدسي، هذا الكتاب ألفه قبل حوالي عشرين سنة أو أكثر وأراد به تكفير دولة التوحيد، التي الآن يمكّن فيها للتوحيد ودعاة التوحيد والمساجد معمورة والحمد لله، نسأل الله جل وعلا أن يزيدها خيرًا وثباتًا وأن يخلصها مما هي فيه من نقص، هذا الرجل في هذا الكتاب ملأه بالشبهات، ومن الأدلة على ذلك أنه يأتي إلى أمور تاريخية قديمة، يعني يذكر تاريخ الملك عبد العزيز –رحمه الله- قبل أن يحكم وأنه كذا وكذا، فالمسألة عنده مسألة هوى، مسألة حقد، وهذا الذي صرح به الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله- عدة مرات، يقول بصريح العبارة: هذه البلاد الحاقدون لها والحاسدون لها لأمرين: لما من الله عليها من التوحيد والدين، ويحقدون عليها لما وسع الله عليهم في الأرزاق. وعندما يأتي شاب لا يعرف بالعلم ولا يعرف بالرسوخ فيه ولا يعرف بالإمامة في الدين، ولا يعرف بالفتوى، فانتبه يا طالب العلم ولا تنطلي عليك هذه الأمور، أين عقلك؟ فلو خرج علينا شخص لا نعرفه ولا نسمع عنه ولا يُعرف بأنه يستفتى، ولا يُعرف بأنه من أهل الفتوى، فهل تذهب وراءه؟! فانتبه، العلم له أهله، والفتوى لها أهلها ورجالها، فمن هذا الرجل؟ ما تاريخه؟ على من درس؟ ما هي حصيلته العلمية؟ لا

شيء ويزكيه المفتونين مثله، الذين وافقوه في هذه البدعة، فهؤلاء لا يُقبل منهم، فهل زكاه علماء العصر الراسخون في العلم؟ لا، بل حذروا منه باسمه ومن كتبه، والله هذا الفكر ما دخل أرضًا إلا أفسدها، والله أمرهم على خير وفي الدعوة إلى الله وتعليم العلم وفي نشر السنة حتى يدخلهم هذا الباطل فإذا دخلهم أفسد دينهم وأفسد أمرهم وفرق كلمتهم، وسلط عليهم وتفرقوا شذر مذر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم في تفاصيل هذا الكتاب السيء الذكر يذكر أشياء –والله– ليست من أمور التكفير لكنه يشبه على السذج، وأمور يُرجع فيها لأهل العلم، ثم في آخر الكتاب يقول في حاشية من الحواشي: الشيخ محمد بن إبراهيم –وهو المفتي المعروف رحمة الله عليه– هذا من المغفلين. وذكر الشيخ ابن باز وابن عثيمين وقال: هما من علماء الضلالة في هذا العصر. نسأل الله العفو والسلامة، فالذي في قلبه شيء من الفتنة فلن تملك له من الله شيئًا، لكن من أراد الله جل وعلا هدايته وسعادته أبعده عن هذه الفتن، وعرّفه أن هؤلاء دعاة ضلالة، والذي خرجوا على عثمان –رضي الله عنه– لم يضعوا الراية على رؤوسهم وقالوا على أنفسهم أنهم خوارج. بل زعموا أنهم على الحق وأخذوا يقولون: كيف فعل كذا، وفعل كذا. وكذلك الذين خرجوا على علي –رضي الله عنه– لم يضعوا راية على رؤوسهم يقولون على أنفسهم أنهم خوارج، بل زعموا أنهم على الحق، وعبد الرحمن بن ملجم عربي أصيل وهو من حفاظ القرآن ومع ذلك قتل عليًا –رضي الله عنه–، وقاتله من أخبث هذه الأمة كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، حتى لما أرادوا إقامة الحد عليه وقتله كان يذكر الله بلسانه، فلا تغرك هذه الأشياء، والله لو يذكر الله ليل نهار إذا كان على بدعة فقد قال صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، مردود عليه، ولذلك قال تعالى: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} [آل عمرانك ٧]، ولم يقل: العابد، أو الباكي، أو الذاكر. انتبه، فقد ترى من بعض رهبان النصارى أشد من المسلمين في الترهب والتزهد وفي التشديد على نفسه وهو من أهل النار كافر، ولذلك عمر –رضي الله عنه– لما رآهم في الصومعة بكى وتأثر وقرأ هذه الآية: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ} [الغاشية: ٢، ٣]، تبدأ تعمل وينصب العذاب لها في الآخرة؛ لأنهم لم يوافقوا الحق، حتى في هذه الأمة هناك أُناس شابهوا اليهود وشابهوا النصارى، فالزم الصراط المستقيم وإياك والفتن والأهواء.

قوله: (مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ): الاستحلال هو اعتقاد أنه حلال، وليس الاستخفاف، الاستخفاف يدل على عظم الذنب، أي يرى الذنب خفيف ولا يبالي به فهذا ليس مستحلًا، فلو أن إنسانًا تعامل بالربا وهو في قلبه يحدث نفسه أن هذا خطأ ومعصية فهذا مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب، إذا تاب تاب الله عليه، وشخص آخر يتعامل بالربا ولا يبالي ومصر عليه فهذا يسمى متهاون بالذنب أو مستخف بالذنب وهذا لا يكفر، فالاستخفاف بالذنب أو التهاون به ليس كفرًا وليس استحلالًا، وهذه مسألة خطيرة كم زل فيها من أشخاص وضلوا بسببها فخطلوا بين الاستخفاف والتهاون وبين الاستحلال، وقول المصنف: لا نكفر أحدًا بذنب ما لم نستحله. قال العلماء: هذا فيه نظر من جهة الإطلاق. فلو قال: لا نكفر أحدًا بكل ذنب أو بمجرد الذنب لكانت العبارة أحسن؛ لأن هناك بعض الذنوب تسمى ذنوب وهي مخرجة من الملة مثل الشرك، قال ابن مسعود للنبي صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله ندًا وهو خلقك)، هذا سمي ذنبًا وهو مخرج من الملة حتى لو لم يستحله؛ ولأن هذه العبارة تفارق مذهب الخوارج والمعتزلة.

وهناك مسألة مهمة: وهي أن أهل السنة والجماعة في موضوع التكفير، إذا وقع الشخص في مكفر فإن هنا مقامات:

الأول: ما يسمى بالتكفير المطلق.

الثاني: ما يسمى بالتكفير المعين.

فيفرق أهل السنة بين هذا وهذا، ومثال التكفير المطلق: من قال: إن الله جل وعلا ليس فوق السماء وليس فوق العرش. أو من قال: إن الله في كل مكان حال بذاته مختلط بالمخلوقات. أو من قال: إن الله لا يتكلم. فأنكر أسماء الله وصفاته، فنقول: هذا كافر، أو كفر، فهذا يسمى تكفير مطلق، ومن قال: إن القرآن ناقص. فهذا كافر، من سب الرب عز وجل، فهذا كافر، ومن استهزأ بالإسلام وبالدين والرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا كافر، فهذا يسمى تكفير مطلق، والتكفير المطلق قاعدته: أن من رد حكم الله جل وعلا وكذب بأخباره، أو ارتكب أمرًا مخرجًا من ملة الإسلام، هذا إذا صدق فيه الوصف هذا يصح أن نطلق عبارة التكفير المطلق.

أما تكفير المعين فهو التنزيل على الشخص، فلان من الناس، زيد أو عمرو، فإذا قلنا: إن هذا الشخص كافر. فهذا يسمى تكفير المعين.

س: لماذا فرقنا بين التكفير المطلق والتكفير المعين؟.

ج: لأنه قد يقول المعين كلمة الكفر بإطلاق فمثلًا قد يقول المعين كلمة أو يفعل فعلًا أو يعتقد عقيدة ثم لا يُكفر بعينه؛ لأن تكفير المعين يشترط فيه اجتماع الشروط وانتفاء الموانع هذا فيمن ثبت له الإسلام وليس الكافر الأصلي، فالكافر الأصلي كافر بإطلاق وكافر بعينه، فاليهودي والنصراني والوثني نكفرهم بإطلاق ونكفرهم بعينهم، اليهود كفار، واليهودي هذا كافر، والنصارى كفار، وهذا الشخص المعين من النصارى كافر، فلا نتردد في الكفار الأصليين، إنما البحث فيمن ثبت له الإسلام، واجتماع الشروط هي:

أولًا: بلوغه الحجة الرسالية. أي إذا بلغته حجة رسالية من الرسل، من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، تبلغه الحجة على وجه يمكنه أن يفهم لو أراد أن يفهم، لكن لو جاءته على وجه لا يفهمه كأن يكون أعجميًا وجاءت الرسالة باللغة العربية مثلًا ولم يعرف المقصود فهذا لم تبلغه الحجة الرسالية، وليس بشرط أن يقتنع بل أن يفهم فقط الحجة الرسالية، فإن اقتنع فهذا فضل من الله عز وجل عليه وإن بقي على ضلالته وكفره فقد قامت عليه حجة الله وبلغته الرسالة.

ثانيًا: الأهلية. العاقل البالغ، أما الصبي أو المجنون ونحوهم هذا فاقد للشرط.

أما الموانع فهي ستة موانع:

الأول: الجهل. مانع من موانع التكفير.

مثال ذلك: شخص ساكن في البادية ولا يعلم أن الله سبحانه وتعالى شرع عليه غُسل الجنابة، هو يتوضأ فقط أما غُسل الجنابة فلم تمر عليه ولا يعلم عنها شيئًا، وإذا بلغ مثلًا عمره عشرين سنة أو أكثر جاء إلى المدينة فعرف الغُسل، هذا يُعلَّم الغسل ويُعرَّف، فإذا أصر على الإنكار والجد يصير كافرًا، كذلك المسلم الحديث العهد بالإسلام، أسلم حديثًا وتخفى عليه كثير من الأحكام، فإذا أنكرها لجهله يُعلَّم، فإن أصر بعد العلم قامت عليه الحجة، فالجهل ليس عذرًا لكل أحد، شخص مثلًا ساكن في الرياض أو في مكة أو في المدن الكبار التي فيها العلم ثم يقول: أنا لا أعرف شيئًا اسمه الصلاة. فهذا لا يُقبل منه، وإذا قال: أنا لا أعرف

التوحيد ولا أعرف أن الله يخص بالعبادة. فهذا لا يُقبل منه، دعوى الجهل هنا لا تقبل منه ويصير كافرًا؛ لأن الحجة قامت عليه.

الثاني: التأويل. التأويل السائغ أما غير السائل فغير مقبول، التأويل الذي له وجه في اللغة العربية، مثل: تأويلات الأشاعرة، استوى على العرش، قالوا: استولى. هذا تأويل ساقط ضعيف جدًا لكن عندهم شبه، ولذلك العلماء لا يطلقون القول بتكفيرهم، فالتأويل السائغ ضد التأويل غير السائغ، يعني القرامطة، الإسماعيلية، النصيرية، الدروز، تأويلاتهم ليست مقبولة، في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً} [البقرة: ٦٧]، قالوا: عائشة. فهذا تأويل باطني فلا يقبل منهم وهؤلاء كفار بأعيانهم لا نتردد فيهم، والذي يتبع الباطنية من عوام الناس فهو منهم، من يتبع الإسماعيلية، الدروز، هؤلاء ملة غير ملة الإسلام، هؤلاء على الشرك والضلالة والمضادة للدين.

الثالث: الإكراه. قال تعالى: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ} [النحل: ١٠٦]، فإذا أُكره المؤمن على كلمة الكفر فإن الله رفع عنه الحرج، والإكراه مثل التهديد بالقتل، أو الضرب الشديد، أو السجن، فإذا هُدد وأكره على شيء فقال كلمة تخلصه منهم، أو حتى الفعل على الصحيح، يقال له: اسجد.

الرابع: الخطأ. مثل الرجل الذي قال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. قال صلى الله عليه وسلم: (أخطأ من شدة الفرح)، عندما رأى ناقته بعد أن أوشك على الهلاك فمن شدة فرحه قال ما قال، فهنا غير مؤاخذ؛ لأنه لم يقصد، مثل لو أعمى يمشي فوطئ المصحف، فالخطأ رفع عن هذه الأمة، كما قال صلى الله عليه وسلم: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)، فهذا دين رحمة وفضل من الله سبحانه وتعالى.

الخامس: النسيان. فلو نسي شيئًا من أمور الدين، أو نسي أمرًا فقاله عن نسيان من جهة إنكار شيء من الشريعة، فهذا يُذَكّر.

السادس: العجز. فإذا عجز عن واجبات الشريعة عجزًا محققًا سقطت عنه، والدليل على ذلك النجاشي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم لما مات، والنجاشي لم يطبق أحكام الإسلام على أهل بلده؛ لأنه عاجز لم يقدر على هذا، وقد ذكر الله عز وجل لنا يوسف عليه السلام كان وزيرًا في الدولة وكانت على

الشرك، والله جل وعلا بين لنا في كتابه فقال: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦]، فرفع الله الحرج عن هذه الأمة.

وكل هذه الأمور الستة فيها تفاصيل، ولذلك قال العلماء: التكفير حق لله ولرسوله. فليس لكل أحد يكفر من شاء، وكذلك التكفير يتولاه أهل العلم والفتيا والقضاء، أما عامة الناس فلا، إلا إذا كان الشيء واضحًا مثل الشمس فليس فيه حرج مثل شخص يسب الله ورسوله، يسب الدين ويسب الإسلام، لكن إذا كان هناك شك أن عنده بعض الموانع مثل الجنون، أو موانع أخرى حينئذ ترجع لأهل العلم تستشيرهم.

وقاعدة التفريق بين التكفير المطلق والتكفير المعين والشروط التي ذكرناها في تكفير المعين أهملها الخوارج، أو ذكروا بعضها وأهملوا بعضها، فوقعوا في الخطأ في هذا الباب، نسأل الله أن يهدي ضال المسلمين.

قوله: (ولا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ): وإذا كان هنا خلاف في المسألة فلا نكفر، فهناك أشياء تقبل الخلاف وأخرى لا تقبل الخلاف، فإذا قال شخص: الخمر حلال. سواء أحله لنفسه أو أحله للناس، فهذا كفر وقائل هذا الكلام كافر؛ لأن الخمر بإجماع المسلمين حرام، وتحريم الخمر ليس فيه خلافًا، أما مسألة النبيذ الذي تأخر ثلاثة أيام هذا فيه خلاف، والقول الحق تحريمه إذا تأخر عن ثلاثة أيام والأدلة صريحة في هذا، لكن هناك من أهل العلم من أباحه فلا يكفر إلا بما أجمع على تحريمه.

مثال آخر: ربا النسيئة ليس فيه خلاف، أما ربا الفضل فيه خلاف نُقل عن ابن عباس وجماعة، لو أنه رأى أنه حلال فلا نقول: إنه استحل. لأنه قد يكون ممن يتبع هذا الرأي ولو كان ضعيفًا، كذلك المعازف فقد زل أُناس من المتقدمين وأباحوا المعازف، ومنهم ابن حزم، وكذلك غيره من الذين وقعوا في هذا الغلط العظيم، فعندما يأتي من يقول هذا حلال، فلا نقول: إنه استحل محرمًا. لأنه قد يكون قد زل وغلط مثلهم وتابعهم على ذلك، وكذلك تارك الصلاة فيه خلاف، فالذي لا يكفره مثل الشافعي وأبو حنيفة وجماعة من المالكية يرون أن تارك الصلاة لا يكفر لكنهم يرون أنه يُقتل، إلا أبا حنيفة فيرى أنه يحبس، والإمام أحمد ورواية عن المالكية والمنقول عن جمهور الصحابة أنه يكفر، لكن القول الآخر قول قوي، فلا يأتي شخص ويقول: من لا يكفر تارك الصلاة فلم يكفر الكافر. هذا خطأ، والربا الذين يتعاملون به في البنوك الآن الشيخ محمد رشيد رضا غلط وأباح الفوائد، والشيخ مشهور وكبير في مصر، وكذلك هناك علماء آخرين في الشام غلطوا وأباحوا

هذه الفوائد ورد عليهم أهل العلم الراسخين وبينوا غلطهم وأن هذا ربا محرم لا يجوز، فلو جاء هنا من يرى أن هذا حلال واتبع هؤلاء الذين ضلوا فلا نقول: إنه استحل الربا. لأنه لا يعتبره ربا في ظنه، فلا بد أن يُنتبه للمسائل المجمع عليها والمسائل المختلف فيها حتى لو كان الخلاف ضعيف، فإنه من اتبع قولًا ولو شاذًا فإنه يُغلظ عليه في المقالة لكن لا يقال: إنه استحل المحرم، أو كفر. ولا يُفهم من هذا التهوين من هذه الذنوب والموبقات، فالمعازف لا شك أنها حرام والأدلة صريحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا، وكذلك الربا بنوعيه: ربا الفضل، وربا النسيئة، وكذلك المعاملات البنكية الربوية، لكن بحثنا الآن في موضوع التكفير، فالتكفير خطير جدًا فإذا كان عنده شبهة في أنه يرى أن هذا حلال فهنا نحجم على التكفير لا عن تفسيقه أو عن بيان أنه ضال أو منحرف أو مخطئ، ففرق بين التكفير وبين هذه الذنوب والموبقات وبيان الحق للناس، ولذلك إذا جئنا نحذر من الربا فلا نقول: فيه خلاف. لكن نحذر من عقوبته، وإذا جاء موضوع التكفير هل هذا الشخص المستبيح كافر أم لا؟ فالأمر يحتاج إلى تفصيل؛ لخطورة التكفير، لذلك أنت في عافية إذا لم تدخل في مسألة التكفير.

س: ما الفرق بين الاستحلال والتكذيب والجحد؟.

ج: الجحد رد الحق ولو كان يعلم أنه صدق، كما قال الله تعالى: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام: ٣٣]، إذا قال شخص: لا أريد هذا الدين. وهو من قرارة نفسه يعلم أن الدين حق، فهذا جحد وكفر، النوع الثاني: التكذيب، يقول: أنا أظن أنه كاذب، واعتقد أنه كاذب. يكذب الرسول صلى الله عليه وسلم، يكذب بالدين، والاستحلال يرجع إما لتكذيب النص، أو لجحده للنص أو أنه يرى أنه لا يلزمه هذا النص كأن مستثنى من الناس، هذا يسمى استحلال، فالثلاثة أشياء يجب أن تفرق بينهم فلا تجعلها مثل بعض، كل معنى له صوره وأمثله؛ لأن المرجئة جعلوا الكفر هو التكذيب فقط، أما الاستحلال والجحد لم يدخلوه، وهذا غلط من أغلاط المرجئة؛ لأن الجحد كما قال الله: {وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} مع أنهم لم يكذبوا الرسول ويعتقدون أنه صادق.

مسألة أخرى:



الكفر يكون بالقول، ويكون بالاعتقاد، ويكون بالعمل والفعل، ويكون بالشك، ويكون بالإعراض، والكفر بالقول مثل شخص يسب الله ورسوله -والعياذ بالله-، أو يقول: إن الله ثالث ثلاثة، أو نحو ذلك، ويكون بالاعتقاد فلو اعتقد في قلبه أن الله جل وعلا ثالث ثلاثة، أو أن الله هو المسيح ابن مريم، أو العقائد الكفرية، أو اعتقد أن عليًا هو الإله، إلى غير ذلك، ويكون بالفعل كأن يذبح لغير الله، يسجد لغير الله، يهين المصحف يطأ المصحف عمدًا، ولا بد في القول والفعل أن يكون الكفر ثبت أنه كفر، ويكون بالشك؛ كأن يقول: أنا أشك في الإسلام، أشك أن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق. ويكون بالإعراض وهذا لا يُتصور في مسلم يصلي، فالإعراض يُتصور في شخص تدعوه إلى الإسلام فسد أذنيه وذهب، وتظل تدعوه إلى الإسلام ومحاسنه فيعرض عنك، قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ} [الأحقاف: ٣]، هذا الذي قاله فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في النواقض العشرة الإعراض عن دين الله، يعرض عن أصل الدين وليس عن الفروع والواجبات، لا يريد الإسلام، لا يريد طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يريد أن يؤمن ويسلم، أما الذي أسلم ودعوته لحضور مجلس من مجالس العلم فأبى فهذا لا يقال: إنه أعرض عن الإسلام. لكن هناك أمور من الذنوب ورد في الشرع إطلاق أنها كفر ولكنها ليست مخرجة من الإسلام؛ لأن الأدلة نفسها دلت على أنها كفر أصغر؛ لأن الكفر يطلق ويراد به كفر أصغر، ويطلق ويراد به كفر أكبر، وهذا يؤكد عليك أن هذا الباب باب خطير، وينبغي أن تعلم أن هذا من المواضع التي قد يزل فيها القدم، وإذا زلت قدمك خسرت.

مثال ذلك: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت)، الذي يطعن في أنساب الناس هذا لقيط، لمجرد الطعن فقط، أو النياحة على الميت الصياح ورفع الأصوات والصراخ، هذا كفر؛ لكن لا نقول على فاعل هذا خرج من الملة؛ لأن الشريعة دلت على أنه مسلم، وكذلك إتيان الحائض في دبرها، وكذلك ما ورد في النصوص تسميته بالكفر ولم يبلغ درجة الكفر الأكبر، ولهذا قال ابن عباس في قول الله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤]، لما زعمت الخوارج أن عليًا كفر لأنه حكم الرجال، فقال ابن عباس: ليس الذي يذهبون إليه إنما هو كفر دون كفر. وهذا الأثر صحيح عن ابن عباس، ونتعجب من الذين انحرفوا في الفتنة الأخيرة ضعفوا هذا الأثر، وهذا عجيب؛ لأن علماء المسلمين على مختلف العصور يذكرون هذا الأثر في موضع الاحتجاج، ابن جرير، والبغوي، وابن

كثير، وابن رجب، وابن تيمية، وابن القيم، وابن حجر، كلهم يمر به ويستدل به على التفريق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر، حتى جئنا في عام (١٤٢٠ هـ)، طلع شخص أو شخصان يقولان: إن الأثر ضعيف. والعلماء كلهم يحتجون به ويصححونه، وهذا يدل على أن الفتنة قد تجعل العالم أو طالب العلم يزل، نسأل الله الثبات.

وهناك خطأ عند بعض الناس المنتسبين للسنة: يخلط بين الكفر العملي والاعتقاد وبين الكفر الأكبر والأصغر، فيقولون: كل كفر اعتقادي فهو أكبر، وكل كفر عملي فهو أصغر. وهذا غلط، وهذا يُعد من المقالات التي أخطأوا فيها، وكلام ابن القيم في كتابه تارك الصلاة لا يدل على هذا، لكن فُهم على غير وجهه عند بعض الناس، فيظن أن كل كفر عملي فهو أصغر غير مخرج من الملة، إذا سجد لصنم أو إذا فعل فعلًا كفريًا يظن أن هذا داخل في الكفر الأصغر، الكفر قد يخرج من الملة بالعمل، والاعتقادي أيضًا ليس بإطلاقه أنه كفر أكبر، فقد يكون اعتقادي وهو أصغر مثل الرياء، فيسير الرياء هو شرك أصغر لا يخرج من الملة، ومثل الطيرة، وهذا اعتقاد ولا تخرج من الملة.

قوله: (وَلا نَقُولُ: لا يَضُرُّ مَعَ الإِيمَانِ ذَنْبٌ لمِنْ عَمِلَه): هذا فيه الرد على المرجئة وهم عكس الخوارج، فالمرجئة يقولون: إذا عمل العبد الذنوب فإن هذا لا يضر إيمانه. وهذا مذهب باطل، ومخالف للكتاب والسنة، فإن الذنوب تؤثر في الإيمان وتضر به وتنقصه، وقد تزيله بالكلية؛ كالذنوب التي فيها الشرك بالله (أن تجعل لله ندًا وهو خلقك)، فهذا من أعظم الذنوب ويزيل الإيمان والإسلام، ومن الذنوب ما لا يزيل الإيمان والإسلام ولكنه ينقص الإيمان ويضعف الدين مثل العقوق، والقطيعة، وأكل الربا، وبقية الكبائر فإنها تنقص الإيمان؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فأهل السنة والجماعة يقولون: لا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله. هذه مقالة باطلة بل دلت النصوص الشرعية على أن الإيمان ينقص ويتأثر ويتضرر لوجود الذنوب، فصار عندنا مذهبان في المسلم المرتكب للذنب: مذهب الخوارج إذا ارتكب الذنوب كفروه وأخرجوه من الملة، ومذهب المرجئة إذا ارتكب الذنوب قالوا: لا يتأثر إيمانه ولا يتضرر. وأهل السنة والجماعة وسط بين هاتين الضلالتين؛ ضلالة الخوارج، وضلالة المرجئة، فيقولون: إذا عمل المسلم ذنوب فإنه ينقص إيمانه ويضعف دينه لكنه لا يخرج من الإسلام.



قوله: (نَرْجُو للمُحْسِنينَ مِنَ المؤْمِنينَ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُم ويُدْخِلَهم الجَنَّة بِرَحْمَتِهِ، ولا نَأْمَنُ عَلَيْهِم، ولا نَشْهدُ لهم بالجَنَّة، ونَستَغْفرُ لِمُسِيئهِم، ونَخَافُ عَلَيْهِم، ولا نُقَنِّطُهُم): أهل الإسلام درجات منهم المحسن المتقي الصالح، ومنهم ضعيف الإسلام ضعيف الدين الذي أسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي، فماذا نقول إذا مات الميت من هؤلاء ومن هؤلاء من المسلمين؟ فصّل المصنف عقيدة أهل السنة في ذلك فقال: نرجو للمحسنين. أي لا نقطع، رجل من أهل العلم والصلاح والتقوى مات فلا نقول: فلان في الجنة. ونقطع بهذا، بل نقول: نرجو له الجنة، ونرجو أن يعفو الله عنه، ونرجو أن يدخله الله جنته برحمته. ولا نأمن، والمسيء صاحب الذنوب والمعاصي لا نقول: إنه في النار. الشهادة بالجنة أو بالنار للمعين لا يجوز، لكن نقول: نخشى عليه، نخاف عليه. ولا نقنطهم من رحمة الله، قد يعفو الله عنه وقد يرحمه وقد يدخله الجنة، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، نرجو للمحسن ونخاف على المسيء ولا نقطع للمحسن أو المسيء أو نشهد لأحد أنه في الجنة إلا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا نشهد لأحد من المسلمين بأنه من أهل النار ونقنطهم من رحمة الله؛ لأن هذا غيب وقد يعفو الله جل وعلا عنه وقد يتجاوز عنه، فلا ندخل في هذا بآرائنا ولا بعقولنا في هذه الأمور الغيبية العظيمة، وفي حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر، فوجده يوما على ذنب فقال له: أقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمِا، أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار)، هذا غُفر له لما أصاب قلبه من الانكسار ولما في قلبه من الخوف من الله سبحانه وتعالى، ولما حصل له من هذا الاستهانة والازدراء، وهذا أحبط الله عمله لما في قلبه من الكبر ولو كان ظاهره الصلاح، فلا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب، وامرأة بغي –زانية– رأت كلبًا يلهث من شدة العطش فرحمته وسقته فغفر الله لها؛ لأنها من أهل التوحيد ممن قبلنا، فتجاوز الله عنها والله عليم حكيم سبحانه وتعالى، فلا يجوز للمسلم أن يحكم عقله في هذه الأمور بل نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

قوله: (والأَمْنُ والإِياسُ يَنْقُلاَنِ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلاَمِ، وَسَبِيلُ الحقِّ بَيْنَهُما لأهلِ القِبْلَةِ): الأمن من مكر الله، والإياس من ورح الله، وهذا ضد هذا، وبعبارة أخرى: الخوف والرجاء، الخوف من الله سبحانه وتعالى ورجاؤه ورحمته، الأمن أي يأمن ولا يخاف من الله مطلقًا، والإياس خوف شديد ولا يرجو، وكلاهما ينقلان عن ملة الإسلام، لا أحد يأمن من مكر الله، فالمسلم يخاف من مكر الله وغضب الله وهذا الخوف واجب عليك، ولا أحد ييأس من رحمة الله ومغفرته، فيجمع المسلم بين الخوف وبين الرجاء، ولهذا قال: وسبيل الحق بينهما. بين الأمن وبين اليأس، فلا ييأس مطلقًا ولا يأمن مطلقًا بل يجمع بين الخوف وبين الرجاء، قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣]، فالقنوط من رحمة الله من كبائر الذنوب، فلو رأيت رجلًا يبكي الليل والنهار ويقول: أنا خائف ولا أرجو، أنني متأكد أنني في النار، متأكد أن الله لا يغفر لي. نقول: هذه ليست طريقة أهل الإسلام، وفي المقابل لو رأيت رجلًا يقول: أنا ضامن الجنة، أنا ضامن أن الله يغفر لي. نقول: هذه ليست من طريقة أهل الإسلام، الأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة فتجمع بين الخوف من الله ورجاء رحمته، لا نخاف فقط ولا نرجو فقط بل نجمع بينهما، فالذي يقنط من رحمة الله كذّب الأخبار الواردة في رحمته ولم يؤمن، والذي أمن مكر الله كذب بالأخبار والآيات والنصوص الواردة في عقوبة الله وغضبه.

*** المتن ***

٦٠- ولا يَخْرُجُ العَبْدُ مِنَ الإِيمَانِ إلا بِجُحُودِ ما أَدْخَلَهُ فيه.

٦١- والإيمانُ: هو الإقْرارُ باللِّسانِ، والتصديقُ بالجَنَانِ.

٦٢- وَجَمِيعُ ما صَحَّ عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِنْ الشَّرْعِ والبَيَانِ كُلّهُ حَقٌّ.

٦٣- وَالإِيمانُ وَاحِدٌ، وأَهْلُهُ في أَصْلِهِ سَواءٌ، والتَّفَاضُلُ بَيْنَهُم بالخَشْيَةِ والتُّقى، ومُخَالَفَةِ الهوَى، ومُلازَمَةِ الأُولى.

*** الشرح ***

قوله: (ولا يَخْرُجُ العبْدُ مِنَ الإيمَانِ إلا بجُحُودِ ما أَدْخَلَهُ فيه): وهذه العبارة فيها نظر فليس فقط المخرج من الإيمان جحود ما أدخله فيه، والمصنف قبل مواضع قال: ما لم يستحله. والاستحلال غير الجحود فدل هذا على أن مراد المصنف ليس حصر النواقض في الجحود، فدل على أنه يريد أن الجحود هذا هو الذي يخرج من الإيمان خلافًا للخوارج الذين يجعلون مجرد الذنب مخرج من الإيمان، وهو يقول لهم: لا بد من الجحود فلا نوافقكم أيها الخوارج والمعتزلة. لأنهم يكفرون بالكبائر، فالمسلم عندهم لو وقع في كبيرة من الكبائر فقد كفر، وهو يقول لهم لا يكفي فلا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه، والذي أدخله في الإسلام أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، فإذا جحد هذه الأشياء وأنكرها كفر، هذا أحسن المحامل لكلام المصنف، ونحن إذا قدرنا أن نحمل كلام المسلم والعالم على أحسن حال حملناه عليه.

س: هل الذي يخرج العبد من الإيمان فقط الجحود؟.

ج: هذا تقدم فقد يكفر بالجحود، وقد يكفر بالاستحلال، وقد يكفر بالتكذيب، وقد يكفر بالشك، وقد يكفر بالإعراض، وقد يكفر بالفعل، وقد يكفر بالقول، فالمكفرات والنواقض متعددة.

تنبيه:

في حديث أبي بردة بن نيار أن رجلًا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم نكح امرأة أبيه، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليه أحد الصحابة ومعه رمح وأعطاه راية وأمره أن يخمس ماله بعد قتله؛ لأنه ارتد، وهذا الحديث فهمه بعض الناس فهمًا خاطئًا، وظنوا أن مجرد إصرار الرجل على الأمر المحرم مخرج من الملة وأن هذا استحلال بالفعل، وهذا ليس بصحيح فإنه ليس من باب الاستحلال بالفعل، هذا من باب الامتناع من حكم الله ورسوله، هذا لم يقبل حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله جل وعلا حكم فقال: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا} [النساء: ٢٢]، ولذلك فرق بين العلماء بين من زنى بمحارمه كامرأة أبيه ونحو ذلك وبين من نكح، فالنكاح عقد فيعتقد أنها زوجة وأما الزنا فيعتقد أنها ليست زوجة ولكنه ارتكب هذه الجريمة، ولذلك قال العلماء: من زنى بمحارمه يُقتل.

لكن الناكح مرتد؛ لأنه يقول: هذه زوجتي، ولو كانت الشريعة تقول: ليست زوجتي. فلم يقبل حكم الله، ولأجل هذا خمّس النبي صلى الله عليه وسلم ماله وعامله معاملة المرتدين، أما من وقع في هذه الفاحشة وأصر عليها فإنه لا يحكم بكفره بمجرد ارتكاب الذنب هذا، ومن هنا بنى بعض الناس على هذه المسألة لما غلطوا في فهمها أن من أصر على الذنوب وحماها حماية الذنب وحراسة الذنب وحراسة المعصية أو الإذن فيها زعموا أن هذا استحلال بالفعل وبالتالي فهو كافر، وهذه من الأغلاط العظيمة للفهم الخاطئ للحديث، والفهم الخاطئ لكلام أهل العلم في الممتنعين.

قوله: (والإيمانُ: هو الإقْرارُ باللِّسانِ، والتصديقُ بالجَنَانِ): هذا تعريف مرجئة الفقهاء للإيمان، والمؤلف –رحمه الله– وافقهم في هذا الخطأ، وهذا مخالف لما عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، مرجئة الفقهاء هم من أهل العلم وهم من أهل السنة والجماعة إلا أنهم في مسألة الإيمان غلطوا وقالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان. والصواب والواجب ما عليه الجماعة والسلف أجمعوا على أن الإيمان قول وعمل، والاعتقاد مفروغ منه، وبعضهم يزيد: ونية، يعني الإخلاص، فالإيمان ثلاثة أشياء:

الأول: اعتقاد بالجنان وهذا أفضل من التصديق بالجنان؛ لأن الاعتقاد أوسع من التصديق، كل ما أخبر الله به يعتقده ويعقد قلبه عليه، وكل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم يعتقده أيضًا ويعقد قلبه عليه.

الثاني: قول باللسان: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، هذا قول باللسان.

الثالث: عمل بالجوارح، مثل الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الجهاد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا.

والدليل على أن الأعمال من الإيمان أن الله سبحانه وتعالى سمى الصلاة إيمانًا فقال جل وعلا: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٤٣]، هذا في صلاتهم إلى بيت المقدس بعدما هاجروا مع الرسول صلى الله عليه وسلم كانت القبلة هي بيت المقدس قبل تحول إلى الكعبة، فصلى الرسول والمسلمون ستة عشر شهرًا إلى بيت المقدس ثم جاء تحويل القبلة في المدينة فصلى المسلمون بعد ذلك إلى الكعبة، وبعض الناس سأل عن الصلاة فيما مضى فأنزل الله عز وجل هذه الآية، وقال النبي صلى الله عليه

وسلم: (الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان)، فإماطة الأذى عن الطريق من الإيمان وهي عمل، والأدلة على دخول العمل في مسمى الإيمان كثيرة جدًا، وما عند الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان إلا حجج ضعيفة، قالوا: إن الله سبحانه وتعالى يقول: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البقرة: ٢٥، وغيرها]، والواو تدل على المغايرة، أن العمل غير الإيمان. وهذا غلط فالواو لا تدل على المغايرة دائمًا، الواو قد تدل على المغايرة أحيانًا مثل السماوات والأرض، الأرض غير السماوات، وأحيانًا الواو تدل على التخصيص، ذكر الخاص بعد العام لأهميته، تقول: دخل المشايخ المسجد والشيخ فلان. لعلو منزلته، أو تقول مثلًا: جاءت القبيلة وفلان. وهو من القبيلة لأنه محبوب فيها أو مطاعًا أو نحو ذلك، فتخصه بالذكر من باب ذكر الخاص بعد العام لأهميته.

قوله: (وَجَمِيعُ ما صَحَّ عَنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مِنْ الشَّرْعِ والبَيانِ كُلّهُ حَقٌّ):

أي أن الثابت الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب الإيمان به والعمل به، ويدخل في ذلك أخبار الآحاد إذا صحت، فطريقة أهل السنة والجماعة يؤمنون بما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويعلمون أنه حق، أما من خالفهم من المنحرفين فيقولون مثلًا: لا نقبل إلا المتواتر من الأحاديث، وأما الآحاد فلا نقبلها. ومنهم من يفرق بين مسائل العلم ومسائل العمل فيقولون: نقبلها في مسائل العمل ولا نقبلها في مسائل العلم. وهذا كله من المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، إذا صح الحديث فهو مذهبي قالها الشافعي وأبو حنيفة ومالك، فهو مذهبي يعني أتبعه وأذهب إليه ولا أتردد، فما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب قبوله والإيمان به، ولهذا عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية يقول: فصل ثم في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالسنة تفسر القرآن، وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه، وما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك. يعني مثل القرآن قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧]، والأدلة على وجوب قبول خبر الواحد كثيرة، لكن المذهب الذي يرى أنه لا تقبل أخبار الآحاد هذا مذهب المتكلمين ومن سلك مسلكهم، أما الأحاديث الضعيفة والموضوعة والمكذوبة لا يجوز العمل بها ولا اعتقادها، ولهذا المصنف قال: وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرع والبيان كله حق. وهذا يدعونا إلى مسألة أخرى وهي أن نعرف

العناية بالحديث ومعرفة الصحيح من الضعيف فهذه من الأمور الهامة لطالب العلم سواء كان هذا في مسائل العقيدة أو في مسائل الفقه أو في مسائل الدين الأخرى، وقال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٤].

قوله: (وَالإيمانُ وَاحِدٌ، وأهْلُهُ في أَصْلِهِ سَواءٌ، والتَّفاضُلُ بَيْنَهُم بالخَشْيَةِ والتُّقى، ومُخَالَفَةِ الهَوَى، ومُلازَمَةِ الأُولى): هذا الكلام غير صحيح وهو مخالف لما دل عليه القرآن وما دلت عليه السنة، هذا كلام مرجئة الفقهاء –غفر الله لهم– أخطأوا في هذا المقام، الإيمان واحد وأهله في أصله سواء، معنى هذا إيمان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وإيمان أبي بكر مثل إيمان أقل الناس إسلامًا وإيمانًا، هل هذا صحيح؟ لا، والله، الإيمان يتفاضل حتى في الأصل، فليس بصحيح أن نقول: إن أهل الإسلام وأهل الإيمان في أصل الإيمان سواء من أولهم إلى آخرهم، وهذه المقولة من مقالات المرجئة وهي مقالة باطلة، ولهذا كان السلف يشددون النكير على من قال: إن إيماني كإيمان جبريل، أو إن إيماني كإيمان أبي بكر، أو كإيمان عمر. فأبو بكر –رضي الله عنه– أعظم الناس إيمانًا بعد النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك عمر بعده، والصحابة أعظم إيمانًا ممن بعدهم وهكذا، لكن المصنف ومرجئة الفقهاء –عفا الله عنهم– أخطأوا في هذا المقام فجعلوا أن أصل الإيمان المسلمين فيه سواء، وأن التفاضل في الأعمال الظاهرة: الخشية، والتقى، وملازمة الأولى، ومخالفة الهوى، وهذا آثار، كلما قوي الإيمان في القلب كلما ظهرت آثاره في الجوارح، وإذا ضعف الإيمان ضعفت آثاره، كان بكر بن عبد الله المزني يقول في أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–: والله ما فضلهم أبو بكر بكثير صيام ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه. لأن التصديق الذي قام في أبي بكر والإيمان الذي قام في أبي بكر أعظم من غيره، ولهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه: (ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين أفضل من أبي بكر)، ولهذا أفضل الأولياء أبو بكر الصديق ثم من بعده من خيار الصحابة، والصواب أن نقول: إن الإيمان يتفاضل أهله في أصله وفي ثماره وفروعه، فإيمان أبو بكر وتصديقه وإقراره الذي في قلبه أعظم ممن بعده، وأعمال أبي بكر أعظم ممن بعده، ولذلك قيل: ثبت الله الإسلام بأبي بكر يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة، فأعمال أبو بكر فيها نصرة عظيمة للإسلام وحفظ لهذا الدين، وهذه المسألة غلط فيها حتى الخوارج أنهم نظروا إلى أن الإيمان شيء واحد إذا زال بعضه زال كله، قالوا: ما دام زال بعض الإيمان ببعض الذنوب زال الإيمان كله وكفر.

والمرجئة نظروا أن الإيمان شيء واحد ما دام أنه وجد في المسلم فهو كغيره من المسلمين كلهم سواء في هذا الأصل، وهذا غلط، فالإيمان يتبعض إذا زال بعضه بقي بعضه، وإذا وجد بعضه ليس معناه أنك كامل، وقد يكون من الإيمان ما إذا زال زال الإسلام كله مثل الشرك، وفي الأعمال ترك الصلاة عند جمهور الصحابة، ولكن مسألة ترك الصلاة مسألة خلافية، فلا نقول فيمن قال من أهل: إنه من المرجئة. الذي يقول بعدم تكفير تارك الصلاة، فالمخالفين الذين قالوا بتكفير تارك الصلاة هم من أهل السنة ليسوا من المرجئة، فبعض الناس حصل عندهم غلو في باب الإرجاء أو العكس، فعليك بجادة أهل العلم الراسخين.

سؤال ورد للشيخ:

س١: كثير من الشباب تأثروا بفكر الخوارج ويقولون: إن الجهاد مستمر إلى يوم القيامة ولا ينقطع. فهل هناك من النصوص ما يدل على ذلك؟.

ج: الجهاد باق إلى قيام الساعة هذا كلام صحيح، لكن ليس معناه أن كل يوم يكون هناك قتالًا، فهذا ليس بلازم وهذا فهم مغلوط، وهذا قد جعل البعض يظن أن كل قتال موجود هو موافق وأنها الطائفة المنصورة، وهذا واقع ومن الشبه الموجودة الآن أنهم يقولون: إن الجهاد باق وماض إلى قيام الساعة. طبعًا هذا ليس بحديث وإنما هو من كلام السلف وهو حق، وسيأتي في كلام المصنف: أن الحج والجهاد ماضيان. فلا يبطلها سلطان جائر، فلو جاء حاكم وقال للناس: أسقط عنكم الجهاد. فلا يسقط، أو قال: ليس عليكم حج. فلا يسقط الحج، فالجهاد والحج باقيان إلى قيام الساعة لا أحد يبطلها كشريعة، لكن إذا صار للمسلمين ضعف واحتاجوا إلى مصالحة العدو صالحوا العدو وليس هناك حرج وهكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم صالح قريشًا، وإذا صار بالمسلمين قوة يستعينوا بالله ويقاتلوا عدوهم مع ولي أمرهم، والله عز وجل يقول: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: ٨٣]، أما الإعجاب بالرأي والافتيات على المسلمين فهذا لا يجوز، والمقصود أن الجهاد حق ودين لا يبطله أحد وهو باق إلى قيام الساعة لكن ليس معنى أنه في كل يوم لا بد وأن يحدث قتال بين المسلمين للكفار، فقد توقف القتال بعد صلح الحديبية، وعيسى عليه السلام في آخر الزمان إذا نزل وخرج يأجوج ومأجوج فالناس يتحصنون في الحصون المنيعة ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهلك الله جل وعلا يأجوج ومأجوج والحديث في صحيح مسلم،

فإذا صار للمسلمين عجز فلا نحرج على المسلمين ونأثمهم {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٨٦]، والآن إصلاح المسلمين بإصلاح أنفسهم وصلاح مجتمعاتهم ودلالاتهم على التوحيد وإنجائهم من الشرك وإنقاذهم من البدع والخرافات، فإذا صلحوا –بإذن الله- ينتصرون على عدوهم، وأما إذا كان هذا واقعهم من الخرافات والبدع والشركيات فلا يمكن أن يمكنوا فلا بد من إصلاح أنفسهم {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١]، فالتمكين شرطه مذكور في القرآن: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور: ٥٥]، هذا شرط في التمكين، أما إذا ظهرت الشركيات وأُعلنت على المنابر فلا بد أن نعرف من أين نبدأ في نصرة الإسلام وهي بإصلاح المجتمعات ودلالاتهم على التوحيد وإنقاذهم من الشرك، وطريق الإصلاح طويل، فالأنبياء منهم من لم ير صلاح مجتمعه كاملًا وهم أعظم المصلحين، إبراهيم عليه السلام ما اتبعه إلا لوط عليه السلام ابن أخيه وزوجته وأهل الأرض كلهم كفروا به، والله جل وعلا قال: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} [الأنبياء: ٧٨]، وإبراهيم عليه السلام لم يحمل سيفًا؛ لأنه كان يدعو إلى التوحيد، ومن الأنبياء من قُتل وهو أعظم مصلح، فلا بد من الصبر والاجتهاد في الدعوة وأبشر إذا أنت سلكت هذا المنهج وسلكت طريق التوسط والاعتدال فأنت على خير، حتى لو لم تر بعينيك نصرة المسلمين على أعدائهم، فنحن نتمنى من قلوبنا أن ننتصر على أعدائنا، لكن لا بد أن نعرف أن هذه الأمور تحتاج إلى إعداد كبير وليس بإعداد السلاح فقط فهذا يعرفه حتى أشد الناس جهلًا، لكن إعداد العلم والدين والتمسك بهذه الشريعة هذا الذي يحتاج إلى الجهاد، وهذا صرح به العلماء، وقدمه الله على جهاد الكفار، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة: ٢٣، وغيرها]، وفي سورة الفرقان قال: {وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} [الفرقان: ٥٢]، ومعلوم أنه في مكة لم يشرع القتال، حتى أن الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله- قال: هذا الزمان الجهاد فيه جهاد الدعوة إلى الله وإدخال الناس الإسلام ورد الشبهات الباطلة من أهل البدع والكفار على الإسلام. هذا أعظم الجهاد، دونكم هذا الجهاد قوموا به، حققوه مع أنفسكم، حققوه مع غيركم، كم من بدعة الآن يحتاج إلى من يردها ويبين باطلها، فلم نهزم إلا بسبب الفرقة والبدع والشرك والضلالة، فهذا الفهم المغلوط لا دليل

عليه لا من كتاب الله ولا من سنة النبي صلى الله عليه وسلم أن الجهاد مستمر في كل يوم وأن أي أُناس يقاتلون اليوم من المسلمين هم على هذا الجهاد وأنهم الطائفة المنصورة، هذا ليس بصحيح، فلا بد أن تتبين فهذه عقيدة يجب أن تبنيها على دليل صريح واضح، فلا تزكي أقوامًا وقعوا في أخطاء، فراية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جميلة لكن رفعتها الخوارج، ورفعتها المعتزلة، فلا تلتبس الأمور فرفع هذه الراية غلطوا في هذا الباب أغلاط عظيمة وجنوا على أنفسهم وعلى أهليهم وجنوا على مجتمعاتهم وجنوا على المسلمين، وضيقوا على المسلمين باسم الدين، ونحن لا نشك أن عندهم غيرة لكن هذا لا يكفي فلا بد من صواب العمل أن يكون موافقًا للشريعة، فالشريعة جاءت بكف اليد في موضع وبالقتال في موضع، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ} [النساء: ٧٧]، وفي موضع أُمروا بالقتال، فلا بد أن نفهم أين هذا وأين هذا، قال تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً} [التوبة: ١٢٣]، فالقتال له موضع وكف اليد له موضع، وهذا عبد الله بن أبي بن سلول ألم يتولى الكبر باتهامه عائشة –رضي الله عنها- بالإفك وهو رأس المنافين، وشاركه بجهل حسان بن ثابت ومسطح وحمنة وهؤلاء صحابة ونترضى عنهم، وأقام النبي صلى الله عليه وسلم حد القذف عليهم، لكن لم يقم الحد على عبد الله بن أبي بن سلول، فلماذا؟ هذا بينه أهل العلم، قال الله تعالى: {وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [الأحزاب: ٤٨]، وفي موضع آخر قال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة: ٢٣، وغيرها]، فمرة يقول: {وَدَعْ أَذَاهُمْ}، ومرة يقول: {وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}، عند الراسخ في العلم لا يلتبس عليه الأمر، هذا عند القوة {وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}، وعند الشر والفتنة {وَدَعْ أَذَاهُمْ}، ولا يعرف هذه المقامات إلا أهل العلم الراسخون فيه، أليس من الواجب على ولي الأمر إقامة الحد؟ الرسول صلى الله عليه وسلم ترك إقامة الحد على عبد الله بن أبي بن سلول؛ لأنه يُخشى من أتباعه أن يرتدوا عن الإسلام، وبعض أتباعه من المؤمنين الصادقين لكن الحمية تعمل عملها، وسعد بن عبادة وهو صحابي جليل دافع عن هذا الرجل المنافق، فكيف لو أقيم عليه الحد؟! ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم ترك هذا تأليفًا ولمصلحة أعظم، وهذا من حقوق ولي الأمر، ويسمى هذا عند العلماء السياسة الشرعية، وصرح به ابن تيمية والعلماء بهذه المقامات، قال ابن تيمية في الصارم المسلول: وحيث كان للمنافق قوة وظهور بحيث يُخشى من إقامة الحد عليه فتنة أعظم تُرك، وعلمنا بقوله: {وَدَعْ أَذَاهُمْ}، وحيث

كان للمؤمنين قوة وظهور ولم يكن للمنافق قوة ولا ظهور علمنا بقوله: {وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ}. فلكل مقام مقال، وهذا لا يفهمه إلا الراسخون في العلم أهل الخبرة أهل الحل والقعد، أما الذي يفتات على المسلمين ويتجرأ في جلسة أو استراحة ويفتي في أمور المسلمين كلها وينسف العلماء، وينسف أهل الحل والعقد، فهذا يؤتى البلاء بسببه، نسأل الله أن يهدينا وإياهم وجميع المسلمين إلى صراطه المستقيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس: ٧.

*** المتن ***

٦٤- والمؤمنونَ كُلُّهُم أَولِيَاءُ الرَّحْمن، وأَكْرَمُهُم عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُم وَأَتْبَعُهُم لِلقُرْآنِ.

٦٥- والإِيمانُ: هُو الإيمانُ باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، واليومِ الآخِرُ، وَالقَدَرِ: خَيْرِهِ وشَرِّهِ، وحُلْوِهِ وَمُرِّهِ، مِنَ الله تَعالَى.

٦٦- ونَحْنُ مُؤْمِنُون بِذَلكَ كُلِّهِ، لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، ونُصَدِّقُهُم كُلَّهُم عَلى مَا جَاءوا به.

*** الشرح ***

قوله: (والمؤمنونَ كُلُّهُم أَولِيَاءُ الرَّحْمن): وهذا حق، كل المؤمنين أولياء الرحمن لكنهم يتفاضلون في الولاية كما يتفاضلون في الإسلام والإيمان، فمن كان إسلامه أعظم وإيمانه أكبر كانت ولايته أعظم، ومن كانت أقل كانت ولايته ناقصة بقدر ذلك، والدليل على هذا قول الله سبحانه وتعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس: ٦٢، ٦٣]، فالمؤمن المتقي هو الولي، من كان مؤمنًا تقيًا كان لله وليًا، وبمقدار ما ينقص إيمانه وتقواه تنقص الولاية فيه، لكن ما دام عنده أصل الإيمان فعنده أصل الولاية لله، لأن الولاء مأخوذ من المحبة والقرب والنصرة، فمن دام أنه أسلم وآمن فعنده أصل المحبة والقربة والنصرة لكنه إذا أكملها كملت وإذا لم يكملها بقيت ناقصة.



قوله: (وأَكْرَمُهُم عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُم وَأَتْبَعُهُم لِلقُرْآنِ): كما قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣]، فالمتقي لله جل وعلا هو الذي يبتعد عن الأمور التي تسخط الله وتغضبه، ويفعل الأمور التي أوجبها الله عليه.

قوله: (والإيمانُ: هُو الإيمانُ باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، واليومِ الآخِرُ، وَالقَدَرِ: خَيْرِهِ وشَرِّهِ، وحُلْوِهِ وَمُرِّهِ، مِنَ الله تَعالَى): أركان الإيمان ستة: الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره كل من عند الله سبحانه وتعالى، هذه أركان الإسلام الستة وهي أصول الإسلام، والإيمان بالله أن أؤمن بأن الله سبحانه وتعالى هو معبودي ليس لي معبود سواه، هو إله العالمين كلهم لا إله غيره ولا معبود بحق سواه، وهو الذي له الربوبية والألوهية والأسماء الحسنى والصفات العلا، والإيمان بالملائكة الإيمان بأسمائهم ووجودهم وحقيقتهم وما أخبر الله عنهم، والإيمان بالكتب كذلك، والإيمان بالرسل واليوم الآخر، كل هذه مفصلة في القرآن وفي السنة، فمن لم يكن من أهل العلم أو مشتغلًا بالعلم أو بطلبه يكفيه الإيمان الإجمالي، ومن كانت له عناية ومزيد نظر في الكتاب والسنة زاد إيمانه بمقدار ما عنده من العلم بالله جل وعلا وبشرعه.

قوله: (ونَحْنُ مُؤْمِنون بِذَلكَ كُلِّهِ، لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، ونُصَدِّقُهُم كُلَّهُم عَلى مَا جَاءوا به): التفريق بين أحد من الرسل بأن يؤمن ببعض ويكفر ببعض هذا كفر بالجميع، فمن آمن بالرسل وكفر بواحد منهم فقد كفر بجميع المرسلين، قال الله سبحانه وتعالى: {كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٢٣]، مع أنهم ما كذبوا إلا هودًا عليه السلام، وقال: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} [الشعراء: ١٠٥]، مع أنهم ما كذبوا إلا نوحًا عليه السلام، وهكذا من كذّب صالحًا عليه السلام أو كذب موسى عليه السلام أو كذب عيسى عليه السلام أو كذب محمدًا صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم، فالمسلمون والمؤمنون يؤمنون بالرسل ولا يفرقون بين أحد من رسله، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم المرسلين وخاتم النبيين لا نبي بعده ولا رسول بعده، فشريعته خاتمة لجميع الشرائع ولا يجوز بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أن يُتبع غيره بل يجب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

س: ما الذي فرق بين الرسل؟.

ج: اليهود آمنوا بموسى وقالوا: هو نبي. وكفروا بعيسى وبمحمد صلى الله عليهم وسلم، والنصارى آمنوا بموسى وبعيسى عليهما السلام وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم، والمسلمون آمنوا بجميع الأنبياء والرسل {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥]، ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به، فكلهم جاءوا بالحق لأممهم لكن شرائعهم خُتمت ونسخت بشريعة النبي محمد صلى الله وسلم، فكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث نبينا صلى الله عليه وسلم إلى الناس عامة، فاليوم اليهود نقول: إنهم كفار ولو زعموا أنهم أتباع موسى، ونقول: كذبتم في دعواكم في اتباع موسى عليه السلام؛ لأن موسى عليه السلام أُمر وأُمرت أمته أنه إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أن يتبعوه، وكذلك نقول في النصارى، كل النصارى اليوم وكل اليهود وكل أمم الأرض التي لم تؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم كلها كافرة ومن أهل النار.

*** المتن ***

٦٧- وَأَهْلُ الكَبَائِرِ "مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم" فِي النَّارِ لا يُخَلَّدُون، إِذَا مَاتُوا وهُمْ مُوَحِّدُونَ، وإِنْ لم يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ "مُؤْمِنِينَ" وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعفَا عَنْهُم بِفَضْلِهِ، كما ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كتابِهِ: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}[النساء:٤٨]، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُم فِي النَّارِ بعَدْلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجَهُم مِنْهَا بِرَحْمَتِه وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِن أَهْلِ طَاعَتِه، ثُمَّ يَبْعَثُهُم إلى جَنَّتِه، وَذَلِكَ بِأن الله تعالى تَوَلَّى أَهْلَ مَعْرِفتِه، وَلَمْ يَجْعَلَهُم فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ، الذينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، ولَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلاَيَتِهِ. اللَّهُمَّ يا وَلِيَّ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ، ثَبِّتْنَا عَلَى الإِسْلامِ حَتَّى نَلْقَاكَ به.

٦٨- ونَرَى الصَّلاةَ خَلْفَ كُلَّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُم.

٦٩- وَلاَ نُنَزِّلُ أحداً مِنْهُم جَنَّةً ولا نارًا، ولاَ نَشْهَدُ عَلَيْهِم بِكُفْرٍ وَلا بشِرْكٍ وَلا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُم شَيْءٌ مِنْ ذَلك، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُم إلى الله تعالى.

٧٠- وَلا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إِلاَّ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ.



٧١- وَلاَ نَرَى الخُرُوجَ عَلى أَئِمتِنَا وَوُلاَةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا، وَلاَ نَدْعُو عَلَيْهِم، وَلاَ نَنْزَعُ يَداً مِنْ طَاعَتِهِم، وَنَرى طَاعَتَهُم مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلّ فَرِيضة، مَا لَمْ يَأْمُروا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُوا لَهُم بِالصَّلاحِ والمعَافَاةِ.

٧٢- وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ والجَمَاعَة، وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ والخِلاَفَ والفُرْقَةَ.

٧٣- وَنُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ والأَمَانَةِ، ونَبْغَضُ أَهْلَ الجَوْرِ والخِيَانَةِ.

٧٤- وَنَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ، فِيما اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُه.

٧٥- وَنَرَى المَسْحَ عَلى الخُفَّيْنِ، فِي السَّفَرِ والحَضَرِ، كَما جَاءَ فِي الأَثَرِ.

٧٦- والحَجُّ والجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الأَمْرِ مِنَ المسْلِمِينَ: بَرِّهِم وفَاجِرِهِم، إِلى قِيَامِ السَّاعَةِ، لا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ ولاَ يَنْقُضُهُمَا.

*** الشرح ***

قوله: (وَأَهْلُ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فِي النَّارِ لا يُخَلَّدُون، إِذَا مَاتُوا وهُمْ مُوَحّدُونَ): الكبيرة من الذنب خلاف الصغيرة، فالذنوب أنواع ودرجات، قال العلماء: الكبيرة هي التي خُتمت بلعنة أو بغضب، أو توعد صاحبها بالنار، أو نحو ذلك. مثل: (لعن الله الراشي والمرتشي والرائش)، إذن الرشوة كبيرة من كبائر الذنوب، وما ختم بالنار {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ١٠]، فالذي يأكل مال اليتيم هذا مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب، أو تُوعد بالغضب كذلك، هذا معنى الكبيرة، وإذا نظرت لهذه القاعدة يتبين لك أن الكبائر كثيرة وجمع الذهبي –رحمه الله– رسالة في الكبائر، ومن المعاصرين رسالة جيدة للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي –رحمه الله– العالم المشهور في قطر من علماء أهل السنة اسمه (تطهير المجتمعات من الدنس والكبائر والموبقات)، أهل الكبائر يعني المسلم الذي ارتكب الكبيرة ومات عليها، هذا البحث فيه، أما المسلم الذي ارتكب الكبيرة وتاب منها فلا أحد يخالف في هذا حتى الخوارج أنه يُغفر له إذا تاب توبة صادقة، لكن البحث والخلاف بين أهل السنة وبين الخوارج والمعتزلة في مرتكب الكبيرة إذا مات عليها ولم يتب، فهذا حكمه عند أهل السنة والجماعة أنه متوعد بالنار ولا نقطع أنه في النار وهو تحت مشيئة الله عز وجل إذا شاء الله عذبه وإذا شاء الله غفر له وأدخله

الجنة بفضله ورحمته، وإن عذبه الله فإنه لا يُخلد في النار خلود الكفار فيبقى فيها حتى يطهر ثم يكون مآله إلى الجنة ولا يبقى في النار إلا الكفار، أما أهل التوحيد من أهل الكبائر فإنهم يخرجون من النار، وهذا تقرير أهل السنة لقول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨، ١١٦]، قال العلماء: إن هذه الآية في غير التائب. من لقي الله على هذا الشيء، إما أن يلقى الله على الشرك فهذا لا يغفر له {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}، وأما أن يلقى الله فيما دون الشرك أو الكفر وهي الذنوب والكبائر من غير توبة فهو {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}، أي في مشيئة الله، ونقول: أيضًا دلت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم على أن جملة من أهل الكبائر يدخلون النار من هذه الأمة؛ لأن أخبر صلوات الله وسلامه عليه أنه يشفع في أقوام وحددهم وبين درجاتهم من كان في قلبه مثقال ذرة، مثقال شعيرة، مثقال بُرة، أدنى أدنى مثقال ذرة، أربع مرات كما في الصحيحين في حديث الشفاعة، وهذا يدل على أن هناك أُناس من أهل الكبائر من هذه الأمة سيدخلون النار ثم يخرجون منها، لماذا نقول هذه المسألة؟ ردًا على من زعم أنه من الجائز أن يغفر الله لكل أهل الكبائر يوم القيامة، فهناك من زعم هذا الزعم؛ كبعض الأشاعرة وقالوا: أنه من الجائز والممكن أن يغفر الله جل وعلا لجميع أهل الكبائر ولا يدخل أحد النار مطلقًا. وهذا معناه عدم الإيمان بأحاديث الشفاعة، ومن جهة النظر في قدرة الله فالله على كل شيء قدير، ولكن نحن نؤمن بما أخبر ربنا جل وعلا وبما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم، فهذا التنبيه حتى تعرف الغلط في هذا المقام، قال: وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون. أما إذا ماتوا وهم غير موحدين، ماتوا على الشرك فلا يدخلون في هذا الوصف؛ لأن الشرك يخرج من الإسلام، المقصود الشرك الأكبر.

قوله: (وإِنْ لم يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنِينَ وَهُمْ في مَشِيئَتِهِ وحُكْمِهِ، إنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُم بِفَضْلِهِ، كما ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كتابِهِ: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}[النساء:٤٨]، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُم فِي النَّارِ بعَدْلِهِ): ولا نسكت هنا ونقف، ونقول: وإن عذبوا فإنهم لا يخلدون في النار.



قوله: (ثُمَّ يُخْرِجَهُم مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِن أَهْلِ طَاعَتِه): لأن الأنبياء وإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم يشفعون، والصالحون، والملائكة، والأطفال الذين ماتوا دون البلوغ، كل هؤلاء يشفعون يوم القيامة، لكن بالشروط المذكورة من الإذن والرضا.

قوله: (ثُمَّ يَبْعَثُهُم إلى جَنَّتِه): أي أن أهل التوحيد يدخلون الجنة بعدما يطهرون في النار من الذنوب، وقد يغفر لهم كما تقدم، فعقيدة أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة إذا لقي الله من غير توبة فهذا متوعد بالنار؛ لأنه ارتكب أمرًا يغضب الله عز وجل، فهذا متوعد ولا نقول: هذا في النار، ولذلك يسمون أهل الوعيد، فهو تحت المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه، وإن عُذب فإنه لا يخلد في النار بل يكون مآله إلى الجنة، فلا يبقى في النار إلا الكفار.

قوله: (وَذَلِكَ بِأن الله تعالى تَولَّى أَهْلَ مَعْرِفتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلَهُم في الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نُكْرَتِهِ، الذينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، ولَمْ يَنَالُوا مِنْ وِلاَيَتِهِ): هذا تعليل، يقول: لأن معه أصل الإيمان، ليس مثل الكفار المخلدين في النار، فالخوارج سووا بين المسلم المذنب وبين الكافر الذي ليس عنده إسلام أصلًا، وهذا من جهلهم وغلوهم.

قوله: (اللَّهُمَّ يا وَلِيَّ الإسْلاَمِ وَأَهلِهِ، ثَبِّتْنَا عَلَى الإسْلامِ حَتَّى نَلْقَاكَ به): هذا حديث يُروى لا أذكر الآن حال سنده لكن دعاء عظيم، اللهم يا ولي الإسلام وأهله، الله ولي المؤمنين وأهل الإسلام، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر من أن يقول: (اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك)، والخوارج والمعتزلة يقولون: إن أهل الكبار إذا ماتوا من غير توبة يكونون مخلدين في النار. والآية الكريمة قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨، ١١٦]، فهذا رد صريح عليهم؛ لأن الله فرق بين الشرك ودون الشرك، فالشرك لا يغفره، وما دون الشرك يغفره إذا شاء، والخوارج قالوا: هذه الآية فيمن تاب. وهذا غلط، من تاب حتى من الشرك يُغفر له فلا يفرق بين الشرك وغيره، إنما هذه فيمن مات ولقي الله بهذا الذنب من غير توبة، أما من تاب فقد قال الله فيهم: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} [الزمر: ٥٣]، هذه في حق التائبين {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} بدون تفصيل، فلو تاب من الشرك تقبل الله توبته، لو تاب من



الكبيرة يقبل الله منه، فمن تاب تاب الله عليه، لكن الآية التي في سورة النساء: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨، ١١٦]، هذه فيمن مات من غير توبة، وهذا الدعاء يدل على أن أهل العلم وأهل الإيمان وأهل الإسلام عمومًا ينبغي أن يكون عندهم خوف من الله سبحانه وتعالى ورجاء، وينبغي أن يسألوا الله الثبات على الإسلام ولا يغتروا، فلا أحد يقول: أنا درست العلم وحفظت القرآن، وأقوم الليل، وأخذت كذا وكذا، إذن أنا في أمن. لا، بل يزداد حرصه واجتهاده وخوفه ورجاءه، وفي صحيح البخاري من حديث عثمان –رضي الله عنه-: (من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه قال: غفر الله له ما تقدم من ذنبه)، وقال بعدها مباشرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تغتروا)، أي إذا رأيت أحاديث الفضل وأحاديث الوعد بالجنة تفرح وتجتهد وفي نفس المقام لا تغتر، أنت لما هُديت إلى عقيدة أهل السنة والجماعة تفرح وتحمد الله وتسأل الله الثبات، وفي نفس الوقت لا تأمن، فكم وكم ممن انحرف أو انتكس، والطائفة المنصورة قال: (لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم)، والمخالفة معروفة، وخذلهم أي منهم ثم ترك الحق ونكص على عقبيه، فتسأل الله الثبات وتستمر وتستقيم على الحق وتكون دائمًا ممن يدعو الله جل وعلا ويلجأ إليه ويتضرع إليه.

قوله: (وَنَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ، وَعَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُم): هاتان مسألتان:

المسألة الأولى: الصلاة خلف كل بر وفاجر، وأول الأمر كان النبي صلى الله عليه وسلم ولي الأمر في زمانه ثم أبو بكر ثم عمر –رضي الله عنهما-، كانوا يتولون الإمامة والصلاة ويتولون الحكم العام ثم في دولة بني أمية كذلك ثم في صدر الدولة العباسية كذلك ثم جعلوا بعد ذلك الإمامة في الصلاة لأهل العلم وصار أهل الولاية يتركون ذلك وينوبون مكانهم من يصلي بالناس، فالصلاة خلف كل بر وفاجر من عقيدة أهل السنة والجماعة؛ لأن جمع كلمة المسلمين واجتماعهم تكون في الصلاة، فلا يرون الشذوذ والفرقة وترك الصلاة لوجود فسق أو وجود جور، ولذلك الصحابة –رضي الله عنهم- صلوا خلف الحجاج بن يوسف الثقفي مع ظلمه وجوره وبعده عن العدل، وصلى من صلى منهم خلف يزيد حتى أنه صلى بهم الفجر فزادها ركعتين فالتفت إليهم وقال: أزيدكم. قالوا: ما زلنا معك في زيادة. وهذا من عقيدة أهل السنة والجماعة يرون الصلاة خلف إمام المسلمين أو نوابه سواء كان برًا أم فاجرًا؛ لأن هذا فيه جمع كلمة المسلمين، وابن عمر –رضي الله عنهما-



في الحج، وكان الحجاج أمير الحج ، فكان الحجاج بن يوسف يسأل ابن عمر ويستفتيه، وابن عمر يعلمه طريقة الحج ووقت الخروج ووقت الدخول ووقت الدفع، فجاءت وقت صلاة الظهر الحجاج أراد تأخير الصلاة، فدخل عليه ابن عمر فقال: الصلاة الآن. فصلى بالناس الحجاج وكان ابن عمر يصلي خلفه، فولي الأمر إذا ناب إمامًا يصلي بالناس فإن كان فيه نقص أو جور أو ظلم وأمكن إصلاحه فعلنا، بأن يُغير بأحسن منه، بأن يرفع إلى ولي الأمر أن نغير فلان؛ لأن فيه نقص في دينه، فإذا أمكن هذا فالحمد لله وإذا لم يمكن لا نترك الصلاة وندع الجماعة ونصلي في بيوتنا بحجة أن هذا فاسق وأن هذا جائر.

وإذا وجد أكثر من مسجد وهذا المسجد إمامه ليس عنده جور ولا ظلم ولا بدعة وذاك المسجد إمامه عنده بدعة وجور حينئذ نصلي مع صاحب السنة، وإذا أمكن أن نسعى في تغيير صاحب البدعة بالرفع والنصيحة والكتابة فعلنا، المهم أننا لا نترك الجمعة ولا الجماعة بحجة الفسق في الإمام أو الظلم، ونسعى في تعيين من هو خير منه إذا أمكن ذلك.

المسألة الثانية: أن نصلي على من مات من المسلمين حتى لو كان معروفًا بالفجور، فالأصل في المسلمين السلامة كما تقدم، فإذا مات رجل نعرف أنه فاجر فلا نترك الصلاة عليه، لكن إذا كان فجوره في الجرائم الكبيرة كقتل النفس أو كقطع الطريق ومحاربة الله ورسوله، أو من الخوارج أو من رؤوس البدعة، فإنه ينبغي أن لا يصلي عليه أهل الفضل والعلم من باب بيان أن هذا الأمر الذي ارتكبه ينبغي البعد عنه أشد البعد، والنبي صلى الله عليه وسلم ترك الصلاة على قاتل نفسه بأشقاص، وليس معنى هذا الحديث أنه لا يصلي عليه أحد، بل يُصلى عليه لكن لا يصلي عليه المقدم والإمام وصاحب الكلمة ونحو ذلك من باب زجر غيره عن هذا المنكر؛ لأن الناس إذا رأوا أن الإمام وأصحاب العلم والفضل تركوا الصلاة عليه لأجل هذه الجريمة حصل في قلوبهم ارتداع وخوف من الوقوف في مثل هذه الجريمة، كذلك رؤوس البدعة الذين اشتهروا بالبدعة وبالفساد، حتى يعلم الناس شر هذه البدعة ويحذروا منها، ويعرفوا أن صاحبها على خطر، هذا معنى وعلى من مات منهم.

قوله: (وَلاَ نُنَزِّلُ أحَداً مِنْهُم جَنَّةً ولا نارًا): فإذا رأينا رجل بار تقي لا نقول: هذا في الجنة. ونقطع بذلك، ولا إذا رأينا رجلًا فاجرًا من المسلمين فلا نقول: هذا في النار. فلا تجوز الشهادة للمعين من أهل القبلة لا بجنة ولا بنار.

قوله: (ولاَ نَشْهَدُ عَلَيْهِم بِكُفْرٍ وَلا بشرْكٍ وَلا بِنفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ منْهُم شَيْءٌ مِنْ ذَلك): أي لا نحكم بالظن، وإنما نعمل بما أظهر ونكل سريرته إلى الله، قال عمر –رضي الله عنه-: إن أُناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا، أمناه، وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوء لم نأمنه، ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة. فنأخذ بما أظهر والله يتولى السرائر، فلو رأيت رجلًا مثلًا قال كلمة ولم يتبين لك الأمر فلا تتعجل وتقول: هذا كافر، أو هذا منافق. بل تحذر وتتحرى وتكل سريرته إلى الله، ولا تقول: هذا قصده كذا وكذا. فالمقاصد والنيات لا يعلمها إلا الله، فتكون متحريًا بعيدًا عن اتهام الناس بما يمليه عليك ظنك أو عقلك، ومسألة الشهادة للمعين بجنة أو بنار فيها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن لا يشهد لأحد لا بجنة ولا بنار. وهذا منقول عن بعض المتقدمين وهو قول ضعيف.

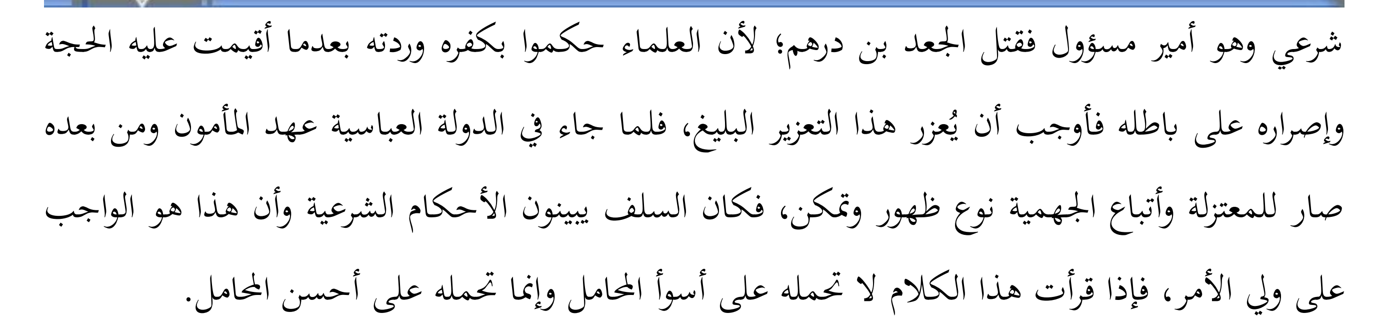
القول الثاني: أنه يُشهد لمن شهد له الله في كتابه أو النبي صلى الله عليه وسلم في سنته فقط. وهذا حق وهذا هو الصواب، فنشهد أن أبا لهب في النار، ونشهد أن فرعون في النار، وأبا جهل، ونشهد أن العشرة المبشرين هم من أهل الجنة، والصحابة الذين بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة؛ كالعشرة، وأصحاب السمرة، وبلال، وابن مسعود، وأبو هريرة، وكل من جاءت لهم الشهادة بالجنة في النصوص فنشهد لهم.

القول الثالث: من شهد له جماعة المسلمين. والدليل على ذلك أنه لما مرت جنازة على النبي صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليها خيرًا فقال صلى الله عليه وسلم: (وجبت)، وجنازة أخرى مرت فقالوا فيها شرًا، فقال: (وجبت)، فلما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًا فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض)، فقالوا: إن من عُرف من أهل العلم والفضل والأئمة الكبار الذين لهم قدم وسبق ونصرة في الإسلام يُشهد لهم بالجنة.



والقول الثاني هو أقوى الأقوال وأحسنها، وإنما نقول في الأئمة الكبار من أهل السنة من التابعين فمن بعدهم: نرجو لهم الجنة.

قوله: (وَلا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إِلاَّ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ): هذه الجملة مهمة، العلماء يعبرون بكلمة السيف ويريدون الخروج، سواء كان الخروج بالرأي أو بالفعل، فتجد في كتب الحديث شخص من الرواة اسمه حسن بن حي كان يرى السيف، دخل مرة سفيان في المسجد وهذا الحسن بن حي بن صالح كان يصلي صلاة طويلة، فقال: أعوذ بالله من خشوع النفاق. لأنه يريد تحذير الناس من رأيه، وهذا الرأي خطير وهو أنه يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وتجد في كتب الحديث عندما يتكلمون في الرواة يقولون: هذا يرى السيف على الأمة. ومعنى هذا أنه يرى الخروج، وهذا يكون بالقول أو بالفعل، الخروج القولي كأن يعطي فتوى ولم يخرج ولم يحمل سيفه، لكن أعطاهم حكم فقال: أنتم تفعلون كذا وكذا. ويتكلم بأشياء مفادها التسويغ للخروج وإثارة الفتنة، هذا عند العلماء يقال فيه: يرى السيف، والثاني: الذي يخرج بالفعل ويقاتل بالفعل، فهذا يرى السيف ويفعله، ويدخل في هذا الذي يرى قتل المعين، إذا ثبتت ردته عنده من دون الرجوع إلى ولي الأمر، وهذا يسمى عند العلماء الافتيات، فهو يفتات بالحكم بالردة على أشخاص؛ لأنه لم يرجع إلى أهل العلم هو اعتد بنفسه أو بجماعته، ويفتات في تنفيذ الحد، ويرى أنه ينفذ الحدود حتى لو لم يرجع إلى ولي الأمر، وهذا من المذاهب الفاسدة، فكلاهما يقال في حقه يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم سواء على الأمة كلها أو على البعض، والذي يقرأ في كتب السيرة وكتب السلف يجد مثلًا يحي بن سعيد القطان يقول: لو رأيت جهميًا على الجسر لكسرت عنقه، أو لرميته. هذه العبارات والجمل يقرؤها بعض الناس منفصلة ولا يعرف القرينة المحيطة بها فيظن من لا علم عنده أن هؤلاء العلماء يجرؤون الناس على التعدي على الأنفس والقتل بدون الرجوع إلى ولي الأمر، وهذا الفهم سببه أنه يقرأ النص ولا يعرف القرائن المحتفة بالزمن وما هو المراد، فعلماء السلف قاطبة لا يرون السيف على الأمة، ويرون أن تنفيذ الحدود مرجعه إلى ولي الأمر، لكنهم عندما يتكلمون بهذا يبينون أن هذا هو حكمهم وأن الواجب على ولي الأمر أن يفعل هذا، فكأن هذا المعنى هو المراد قطعًا لو كنت أنا ولي أمر ومسؤول لفعلت هذا من باب التعزير أو من باب إقامة الحد، أو من باب قطع دابر هؤلاء، ولذلك خالد بن عبد الله القسري نفذ حكم



شرعي وهو أمير مسؤول فقتل الجعد بن درهم؛ لأن العلماء حكموا بكفره وردته بعدما أقيمت عليه الحجة وإصراره على باطله فأوجب أن يُعزر هذا التعزير البليغ، فلما جاء في الدولة العباسية عهد المأمون ومن بعده صار للمعتزلة وأتباع الجهمية نوع ظهور وتمكن، فكان السلف يبينون الأحكام الشرعية وأن هذا هو الواجب على ولي الأمر، فإذا قرأت هذا الكلام لا تحمله على أسوأ المحامل وإنما تحمله على أحسن المحامل.

قوله: (وَلَا نَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إِلاَّ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ): من الذي يجب عليه السيف؟ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة)، النفس بالنفس هو القصاص، رجل قتل نفس فيقتل، والثيب الزاني سواء الرجل أو المرأة، يرجم حتى يموت، والتارك لدينه هو المرتد بعد إسلامه، وأيضًا الذي تكررت ردته، والزنديق، والساحر، وكذلك عند العلماء قطاع الطرق من المحاربين، {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ} [المائدة: ٣٣]، هذه العقوبات الأربعة مرتبة بحسب الجرائم التي يرتكبونها، فينظر ولي الأمر بالأصلح والأنفع للمسلمين في عقوبة هؤلاء.

مسألة الاغتيالات:

الآن بعض المفتونين في هذا الزمان جاءوا بما يسمى بإحياء سنة الاغتيالات وهذا مذهب الخوارج، يرون السيف على هذه الأمة، فإذا حكموا على شخص هم بأنفسهم سواء كان لأجل الخلاف الذي بينهم وبينه أم لأجل أنهم يكفرونه، قالوا: يغتال، يقتل. وهذا ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولا من سنة أصحابه، وأما كعب بن الأشرف فالذي أمر بقتله إمام المسلمين النبي صلى الله عليه وسلم وهو ولي الأمر، وهؤلاء لم يرجعوا لولي الأمر، فعندما يأتي المفتون فيقول: إحياء سنة الاغتيالات. ثم يذكر قصة كعب بن الأشرف وأنه اغتيل وينسى أن الذي أمر بقتله هو إمام المسلمين في وقته، وأنت الآن تفتات على ولاة أمور المسلمين، فأين الثرى من الثريا؟! وأين الحق من الباطل؟! فكيف تقيس فعلك وجريمتك على سنة إمام المرسلين صلوات الله وسلامه عليه؟! ثم كعب بن الأشرف يعتبر في حدود الدولة الإسلامية وارتكب شيئًا حكم ولي الأمر وهو



الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه ناقض للعهد وهو أنه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسبه ثم حكم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ثم أمر بتنفيذ هذه العقوبة، فصار هذا الأمر مرتبًا بثلاثة أمور: ثبوت الواقعة التي توجب القتل، صدور الحكم الشرعي عن أهل العلم، والتنفيذ عن طريق ولي الأمر، بينما هؤلاء المفتونين لا يتثبتون في وقوع الواقعة، ولا يرجعون إلى الراسخين في العلم لمعرفة الحكم الشرعي، ثم لا يرجعون إلى ولاة الأمر في التنفيذ، فغلطوا في هذه المقامات الثلاث، فما أبعدهم عن السنة، وهم ممن يدخل في هذه الجملة: أنهم يرون السيف على أمة النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: (وَلاَ نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمتِنَا وَوُلاَةِ أُمُورِنَا وَإِنْ جَارُوا): هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، يرون السمع والطاعة في غير معصية، والصبر على جور ولاة الأمر، ولهذا قال: وإن جاروا. والدليل على هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عليكم السمع والطاعة في المنشط والمكره وفي العسر واليسر وأثرة عليكم إلا أن تروا كفرًا بواحًا لكم فيه من الله برهان)، وفي حديث آخر قال الصحابة: يا رسول الله، ألا ناجزهم بالسيف؟ قال: (لا، ما أقاموا فيكم الصلاة)، أي ما دام أنهم أقاموا الصلاة والصلاة قائمة ظاهرة فإنهم لا يناجزون بالسيف فلا يُخرج عليهم بل ينصحون ويذكرون ويوعظون بالتي هي أحسن لعل الله أن يهديهم، فالخروج على ولاة الأمر وإن جاروا هذه طريقة الخوارج، وقد يقول بعض الناس: خرج بعض العلماء من المتقدمين على الحجاج، وخرج أقوام أُخر على إمام زمانهم في ذلك الزمان؟ نقول: في هذه المسألة غفر الله لهؤلاء العلماء المعروفين بالسنة فقد اجتهدوا فأخطأوا، أو أنهم أخطأوا، فهم إما مجتهدون وإما مخطئون، فالعالم قد يقع في الخطأ وقد يقع في الذنب لكن لا نعيره بهذا الذنب إذا عرفنا أصوله واستقامته على السنة وأنه بريء من مذهب الخوارج، وهذا لا يكون مدعاة لتعييره ولا للتنقص منه، والرجل من أهل السنة والجماعة قد يكون عنده مسألة يخطئ فيها فيوافق فيها الشيعة، ولهذا يقولون عن الرجل العالم السني: فيه تشيع. خصوصًا في التراجم، ولا يجوز أبدًا أن نقول: إنه شيعي. لأنه من علماء السنة، وتجد الرجل من علماء أهل السنة والجماعة يقع في تأويل أو تحريف نص كما نقل عن مجاهد أنه قال في {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٢، ٢٣]، ذكر معنى غير المعنى الذي عليه جمهور السلف، فقد أخطأ –رحمه الله– والخطأ وارد في مسائل الفقه وفي مسائل العلم، فقد يخطئ الواحد لكن جمهورهم أو مجموعهم لا يجتمعون على الخطأ أبدًا، فالذي خرج على الحجاج

مع ابن الأشعث لم يقل أحد من علماء السلف إنهم على الصواب أبدًا ولم يقر عملهم، بل كلهم قالوا: إن هذا خطأ. فكيف نجعل مسألة الخروج خلافية؟ كما وضع بعض الناس الآن في هذا الزمان كتابًا في هذا الموضع وقال: الخروج على ولاة الأمور إذا كانوا أهل جور وفسق خلاف. ثم ذكر أن هناك من يقول بالخروج ومن لا يقول به، وهذا إذا رجح أنه يجوز صار مع الخوارج، وابن حجر في فتح الباري قال: وهذا مذهب قديم لبعض السلف. وهذا العبارة فيها نظر؛ لأننا نقول مثلًا: الخطأ الوارد عن بعض السلف لا يقال: إنه مذهب من مذاهب السلف؛ لأن الخطأ هذا لا يُنسب إلى مذهب السلف وإنما يُنسب لهذا الرجل، فهل يقال مثلًا: أكل البرد لا يفطر الصائم؟ لا، بل يفطر، لكن هناك واحد من علماء السلف نُقل عنه أنه يجوز أكل البرد للصائم، فهل نقول هذا من مذهب السلف؟! هذا عالم جليل أخطأ لكن لا ننسب هذا لمذهب السلف، وهذا من رحمة الله فالعالم ليس كالنبي، النبي يوحى إليه ويُسدد أما العالم مهما علا شأنه قد يُنقل عنه في مسألة أو مسألتين مخالفة في الأدلة، وهذا نقوله في هذا المقام الخطير وإلا فنحن أقل وأدنى من أن نجلس نقارن بين العلماء، فهم سادة الأمة وكُملها –رحمة الله عليهم-، لكن هناك من يحتج بهذه الأحوال على مسألة الخروج ويسوغها ويجعلها مسألة خلافية، فمسألة الخروج على ولاة الأمر ليست خلافية هي أمر محرم في الشريعة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما أقاموا فيكم الصلاة)، وجاء في الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما يُفقد من الدين الأمانة وآخر ما يُفقد من الدين الصلاة، ثم هنا يقول: (ما أقاموا فيكم الصلاة)، معناه: أن مهما قصروا في أمور الدين إذا كانت الصلاة قائمة فلا تناجزوهم بالسيف، وهذا مفهوم الأحاديث وتدل عليه النصوص، وهنا في هذا المقام أغلاط وزل قدم البعض، فينبغي للمؤمن أن يرجع إلى من عُرف بالرسوخ في العلم في هذه المقامات، والبحث في هذا طويل لكن هذه المقامات زلت فيها أقدام وأفهام ممن يعظمون عند الناس، فالرجوع إلى الراسخين في العلم هو –بإذن الله– من أسباب السلامة.

قوله: (وَلاَ نَدْعُو عَلَيْهِم): فلا نقول: أهلكه الله، الله ينتقم منه، الله يأخذ روحه. ليست هذه الطريقة المعروفة عند السلف؛ لأن هذا إذا سمع هذا الدعاء ازداد شره على المسلمين وازداد ضرره على المسلمين، وليس لنا مصلحة في هذا، وإنما ندعو له بالصلاح والمعافاة.

قوله: (وَلاَ نَنْزَعُ يَداً مِنْ طَاعَتِهِم): مع وجود الجور، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: (تسمع وتطيع وإن جلد ظهرك وأُخذ مالك)، وهناك أثر مروي في سنن أبي داود أن أحد الصحابة أرسل له ولي الأمر أن يخرج من هذ المزرعة فأبى وخرج برمحه وسيفه يقاتل دون ماله. فنقول: إن صح هذا الفعل من الصحابي فهو متأول، والصواب ما عليه جمهور الصحابة، فهذا خالف الأحاديث والصحابي ليس معصومًا، وقول الصحابي حجة إذا لم يخالف، فضلًا إذا لم يرد فيه دليلًا أو نصًا، فكيف إذا ورد النص عن النبي صلى الله عليه وسلم؟! (تسمع وتطيع وإن جلد ظهرك وأُخذ مالك)، فلا تنزع يدًا من طاعة.

قوله: (وَنَرى طَاعَتَهُم مِنْ طَاعَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ فَريضة، مَا لَمْ يَأْمُروا بِمَعْصِيَةٍ): نعم إذا أمر بمعصية لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا يجوز طاعتهم حينئذ، فنرى طاعتهم من طاعة الله هذا هو الدين؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} [النساء: ٥٩]، والأولي الأمر يدخل فيها الأمراء ثم العلماء، وليس كما زعم بعض الناس أن المراد بالآية العلماء؛ لأن العالم له ولاية شرعية بالفتيا وبيان الحكم، لكن ليست له ولاية حكمية وإمارة، ولذلك العالم قد تخالفه إذا قال لك افعل كذا مثلًا، لكن لو أمرك الأمير في غير معصية يجب عليك الطاعة.

قوله: (وَنَدْعُوا لَهُم بِالصَّلاحِ والمعَافَاةِ): اللهم أصلحهم، اللهم أصلح ولاة أمورنا، اللهم عافهم من الموبقات ومن الذنوب، اللهم أصلح قلوبهم، اللهم انصر بهم الدين، ونحو ذلك، فهذا كلام أهل السنة والجماعة، والآن الخطيب إذا خطب وقال: اللهم أصلح ولاة أمورنا. قال بعض المتعجلين هذا مداهن، ونقول: ليس هذا مداهنة ولا نفاق، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وهذا الطحاوي وانظر وبيننا وبينه مئات السنين يثبت هذه العقيدة ويبثها في الآفاق وتنتشر في مجتمعات المسلمين، وهذا العقيدة كُتب لها انتشار عظيم من زمن الطحاوي إلى اليوم، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، ثم يأتي من يأتي من الشباب يقول: لا، تدعو لهم بالصلاح، هذا نفاق ومداهنة. فلا تهتم بهذه التهم ولا تلتفت لمثل هذا الغثاء، وعليك بلزوم عقيدة السلف ولا تلتفت إلى من شذ عنهم.

قوله: (وَنَتَّبِعُ السُّنَّةَ والجَمَاعةَ): أما السنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)، وأما الجماعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحذيفة: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، وقال صلى الله عليه وسلم: (من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية)، وشرحنا الجماعة: جماعة الأبدان بلزوم السلطان والسمع والطاعة له، وهنا رواية للحديث: (من فارق السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية)، وجماعة الدين وهي لزوم عقيدة السلف ومنهاجهم في كل أمور الدين.

قوله: (وَنَجْتَنِبُ الشُّذُوذَ والخِلَافَ والفُرْقَةَ): لأن من شذ شذ في النار، وأعظم الناس شذوذًا أهل البدع شذوا عن منهج السلف في بدعهم وعقائدهم وخرفاتهم، كذلك في مسائل الفقه لا يشذ المسلم ويأخذ بقول ليس له إمام ولم يسبقه إليه عالم، فلا يشذ في مسائل الدين؛ كالطهارة، والصلاة، والزكاة، ولا في بقية أمور الفقه، فلا يأت بقول ليس له إمام وليس عليه دليل ويشذ عن علماء المسلمين، كذلك الخلاف نجتنبه، والخلاف هنا مخالفة الحق، أما الاختلاف الذي محله وسببه الاجتهاد في فهم النص فهذا سبق قديمًا وحديثًا ولا بأس به إذا كان الخلاف سائغًا، كمسألة أكل لحم الجزور هل ينقض الوضوء أم لا ينقض الوضوء، فالخلاف هنا خلاف سائغ، أما الخلاف في أمور العقيدة، والخلاف فيما صرحت النصوص به غير سائغ، لو جاء شخص لا يطمئن في صلاته وينقر صلاته نقرًا، هل نعذره ونقول: لأن هناك قولًا بصحة الصلاة مع عدم اشتراط الطمأنينة؟ لا؛ لأنه خالف الحديث، فالقاعدة التي أسسها بعض المتأخرين التي هي: نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، هذه قاعدة غير صحيحة، الخلاف نوعان:

النوع الأول: خلاف سائغ، وهذا له دليله وله حظه ومبني على التمسك بأصول أهل السنة وقواعدهم في الفقه وفي الاعتقاد.

النوع الثاني: خلاف غير سائغ، وهذا مبني على الهوى ومخالفة منهج أهل السنة والجماعة، فهذا الخلاف لا يُقبل من صاحبه؛ لأنه خالف الوحي، خالف الشريعة، فسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وضحت وبينت والصحابة عملوا به فلا تخالف هذا المنهج بعقلك ولا بهواك.



والفرقة ضد الجماعة، ومن الشذوذ أن الإنسان إذا دخل المسجد الحرام لا يصلي مع المسلمين، يصلي وحده ويقول: أنا لا أصلي خلف هذا الإمام، أو لا أصلي خلف هذا الخطيب. هذا شذوذ عن الجماعة، أو أنه إذا جاء وقت صلاة الجمعة جلس في بيته ولا يشهد الجمعة بدون عذر،، وهذا شذوذ شذ عن المسلمين.

قوله: (وَنُحِبُّ أَهْلَ العَدْلِ والأَمَانَةِ، ونَبْغَضُ أَهْلَ الجَوْرِ والخِيَانَةِ): المحبة والبغض هذه من آثار الإيمان، فإذا آمنت بالله وبرسوله وأسلمت صار من آمن وقام بأمور الإسلام في قلبك محبة له، ومن جار وظلم وخان وعصى الله صار في قلبك بغض له، لكن المحبة والبغض يتفاضل، وقد تجتمع المحبة والبغض في شخص واحد بأن نحبه من وجه ونبغضه من وجه آخر، نحب المسلم؛ لأنه أسلم لكن لكونه عنده معاصي نبغضه من هذا الوجه، فيجتمع فيه المحبة والبغض والولاية والعداوة، فلا نبغضه كبغضنا للكافر الأصلي، ولا نحبه محبتنا للمؤمن التقي الورع، ولهذا الناس ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لهم المحبة كاملة وهم الأنبياء والرسل والصحابة وأهل الإيمان الكامل، نحبهم مطلقًا.

القسم الثاني: نبغضهم مطلقًا، وهم الكفار والمشركون والشياطين.

القسم الثالث: نحبهم من وجه ونبغضهم من وجه، وهم عصاة المسلمين.

قوله: (وَنَقُولُ: اللهُ أَعْلَمُ، فيما اشْتَبَهَ عَلَيْنا عِلْمُه): لأن الواجب على المؤمن أن يرد الأمر إلى الله سبحانه وتعالى ولا يتكلم بغير علم، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣]، فالقول على الله بغير علم من كبائر الذنوب، ولا أدري نجاة لك، ولا تنظر إلى من استفتاك وسألك كيف ينجو لكن انظر إلى نفسك أنت كيف تنجو؛ لأنك إذا قلت له شيئًا بغير علم وأخطأت هلكت، فقبل أن تنظر إلى سعادة الآخرين ونجاة الآخرين ومساعدة الآخرين انظر إلى نفسك أنت، فإذا كنت لا تدري فقل: لا أدري. ففيها نجاتك ولا تتكلم بغير علم، والصحابة والعلماء كانوا يدفعون الفتوى إذا وجدوا من هو نظير لهم أو مثلهم، اذهب إلى فلان، والآخر: اذهب إلى فلان. حتى ترجع إليه، كلهم يدفعها عن نفسه خوفًا منها، وابن مسعود –رضي الله عنه– سئل في مسألة لم يكن عنده فيها دليل فقال: أمهلوني. والسؤال عن امرأة توفي عنها زوجها وهي مسألة في العدة، فجلس شهرًا كاملًا ثم بعد ذلك أجاب عن السؤال، ثم بعد ذلك بلغه عن الرسول

صلى الله عليه وسلم نفس الحكم الذي أجاب به فحمد الله عز وجل، والأئمة الكبار كانوا لا يبالون أن يقولوا للناس: لا ندري. وورد عن بعضهم أنه قال: ما أبردها على قلبي. فلا أدري تكفيك وترتاح، فما أبردها على القلب وما ألذها وهي سهلة ولا تضرك مهما علا قدرك، وقصة الإمام مالك المشهورة لما جاءه رجل معه أكثر من أربعين مسألة فأجاب عن بعضها ولم يجب عن الكثير منها ويقول: لا أدري، لا أدري. فأجابه عن أربع أو خمس مسائل وفي الباقي لا أدري، فقال الرجل: جئت من بلاد بعيدة وأنت الإمام مالك وكذا وكذا وتقول: لا أدري، فماذا أقول للناس إذا رجعت إليهم؟ قال الإمام مالك: قل لهم مالك بن أنس لا يدري. فلا تورط نفسك.

وكذلك التكلف مذموم، بعض الناس يأخذ الحروف المقطعة في القرآن (ألم، يس، كهيعص)، وما أشبه ذلك ويجمع الحروف الهجائية ثم يقول: هذه دلت على كذا. فهذا من التكلف، والعلماء ذكروا في الحروف المقطعة الله أعلم في المراد بها، فالله أعلم فيما اشتبه علينا، فلا ندخل في أمور ليس فيها نص سواء من القرآن أو من السنة، وبعض الناس يشتغل بما لا ينفع، ويجب عدم الخوض فيما لا علم لنا به.

قوله: (وَنَرَى المَسْحَ عَلَى الخُفَّيْنِ، فِي السَّفَرِ والحَضَرِ، كَما جَاءَ فِي الأَثَرِ): إذا سافرت ولبست الخفين على طهارة، والخف ما كان من جلد، والجور ما كان من قطن أو صوف، فإذا لبست الخف على طهارة تمسح عليه، يوم وليلة إذا كنت مقيمًا، وإذا كنت مسافرًا ثلاثة أيام بلياليهن، هكذا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمسح على الخفين خالف فيه الرافضة ولهذا ذكره العلماء في كتب العقيدة؛ لأنه صار من شعار الرافضة مخالفة هذا الباب.

قوله: (وَالحَجُّ والجِهَادُ مَاضِيَانِ مَعَ أُولِي الأَمْرِ مِنَ المسْلِمينَ: بَرِّهِم وفَاجِرِهِم، إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، لا يُبْطِلُهُمَا شَيْءٌ ولاَ يَنْقُضُهُمَا): الحج من العبادات العظيمة من أركان الإسلام الخمسة، لكنه واجب مرة في العمر على المسلم إذا استوفى الشروط الموجبة، لكن ولي الأمر وإمام المسلمين يقيم الحج، فيرتب شؤون الحج، يبعث أمير للحج، وأمير الحج هذا من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا وهو موجود، يكون مسؤول عن ترتيب أمور الحجاج، إعلان دخول شهر ذي الحجة، تحديد يوم عرفة، تنظيم شؤون الحجاج في



الدفع، في الإفاضة، في المبيت، ... إلى آخره، وهذا موجود إلى اليوم، فلو جاء شخصًا مثلًا من الأمراء الظالمين وقال للناس: لا تحجوا. لا يبطل الحج، ولا ينقض الحج هذا الكلام فهو ماض إلى قيام الساعة، سواء كان الأمير برًا أم فاجرًا، كذلك الجهاد من شعائر الإسلام ومن أمور الدين، وعدّه بعض العلماء من أركان الإسلام وجعله السادس، وبعضهم جعل السابع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن الصحيح أن أركان الإسلام خمسة، لكن هذا يدلك على أن أهل العلم اعتنوا به وبينوا أهميته، وهو ذروة سنام الإسلام، لكن الجهاد لا يكون فوضى إنما يكون مع ولاة الأمور، مع إمام المسلمين، لهذا قال: ونرى الحج والجهاد مع أولي الأمر. فإذا ذهبت لتجاهد من غير ولي الأمر يكون هذا الجهاد فوضى، فقد تقول جماعة من الشباب: نذهب نجاهد إلى الجهة الفلانية. وجماعة آخرين يقول: نذهب الجهة الفلانية. وتتفرق كلمة المسلمين وتضعف شوكتهم ويُسلط عليهم العدو، لكن إذا كانت كلمتهم واحدة وأمرهم واحد تحت إمام يدبر شؤونهم وينظم أمورهم الجهادية والقتالية والعسكرية قويت شوكتهم ونفع –بإذن الله– الجهاد، والجهاد هذا من الشريعة، ولكن له تفاصيل وشروط وهو نوعان: جهاد دفع، وجهاد طلب، ولكل شروطه، ومقصود المصنف هنا أن لا يأتي أحد وينقض الجهاد، مثل ميرزا القادياني هذا الخبيث الذي ادعى أنه نبي وأسقط الجهاد، والجهاد لا يسقط فهذا فريضة ماضية إلى قيام الساعة، لكن ليس معنى هذا أنه كل يوم يجب أن يكون هناك قتالًا كما فهم بعض الناس، فقد يصطلح المسلمون مع العدو كما صالح النبي صلى الله عليه وسلم قريشًا في صلح الحديبية، وقد يعطون الكفار مالًا من باب الضرورة، وقد لا يحتاجون ذلك إذا قوي أمرهم ويقاتلون الكفار، فجهاد الدفع والطلب له شروط وضوابط ليس هذا محل تفصيله، لكن في الجملة الشروط والضوابط لتحقيق هذه الغاية الكبيرة إعلاء كلمة الله،، ليس الجهاد لمجرد غيظ الصدر أو الحنق على الكافر، إنما المقصود إعلاء كلمة الله عز وجل، ولهذا ذكروا من الضوابط تحقق المصلحة للمسلمين، فإذا لم يكن فيه مصلحة للمسلمين فنسمك؛ لأن المقصود حفظ بيضة المسلمين ودولتهم وإعلاء شأنهم، وهذه الأمور تحتاج إلى اجتماع الكلمة والخبرة والدراية، وليس النظر المتعجل والمتسرع.

تنبيه:

بعض الناس يقول: لا يُشترط في جهاد الدفع إذن ولي الأمر. وأول شيء يجب أن تعرف أن الشروط التي ذكرها الفقهاء في جهاد الطلب أو في الرجل المجاهد سبعة، وهي مذكورة في كتب الفقه، وجهاد الطلب هو الغزو لنشر الدين وإعلاء كلمة الله، وجهاد الدفع العدو يهجم على المسلمين، ومن الشروط في جهاد الطلب أن يكون رجلًا، وأن يكون قادرًا سليم من الآفات؛ كالمرض والعمى، هذه من الموانع التي قال الله عز وجل فيها: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} [النور: ٦١]، وذكروا شروطًا أخرى ولا نريد أن نتوسع في هذا، لكن جهاد الدفع العلماء يقولون: بعض هذه الشروط يسقط. لأن العدو الآن نزل عندك، فإذا كانت امرأة فلا تقول: لست رجلًا. فالعدو أمامها أو قريبًا من البيت مثلًا، فيدفع المسلم عن نفسه، أو مثلًا رجلًا من المسلمين في ثغر من الثغور هجم العدو عليه، فهل يتصل بولي الأمر ويقول: هل أقاتله؟ العلماء يقولون: لا يشترط فيه إذن ولي الأمر؛ لأن المقصود دفع العدو عن البلد، وإذا أردت أن تستأذن ربما يحصل تأخير فيستمر الهجوم ويُقتل المسلمين.

مثال ذلك: لو كان هناك مدينة من مدن المسلمين هجم عليها العدو، فالجنود الذين في الأطراف لو قالوا: نستأذن ولي الأمر أولًا في قتال العدو فهذا تفريط ولهذا سلمة بن الأكوع –رضي الله عنه– لما جاء الكفار واستاقوا الإبل وهربوا لم يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه يعلم أنه موكل بهذه المهمة فأخذ يركض وراءهم حتى قاتلهم، فليس الإذن من الشروط في هذه الموضع، بل على المسلم أن يجتهد في تحقيق المصلحة للمسلمين، لكن لو دخل العدو مثلًا في بلد وصار أمر المسلمين فوضى فهل يمكن أن يطردوا العدو؟ لا، إذن لا بد من رجل ينظم شؤونهم وهو ولي الأمر، فهل نقول: لا طاعة له في هذا الباب؟ لا، وإلا فأصبح الأمر فوضى، فتجد بعض الناس يأخذ من كلام أهل العلم ويقصه ثم ينزله في الإنترنت ويدخل الشباب على الإنترنت ويقولون: العالم الفلاني قال كذا. فلا نحتاج إذن ثم يذهب ليجاهد، وهذا غير صحيح وعمله هذا فوضى لا يحقق للمسلمين المصلحة، والمقصود من الجهاد إعلاء كلمة الله، هذه إشارة لهذا الموضوع المهم.

أسئلة وردت للشيخ:

س١: يقول: قول المصنف: لا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله. هذا للحصر وهذا من أبلغ الحصر؟.



ج: كصيغة صدقت، لكن المصنف ذكر الاستحلال وهو غير الجحود، فأردنا أن نحسن الظن ونحمل الكلام على أحسن المحامل.

س٢: هل المرجئة عندما قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب. يستثنون الشرك؟.

ج: نعم، يخرجون الشرك.

س٣: كيف الجواب عن حديث: (لم يعملوا خيرًا قط)، فدل على نجاة من لم يعمل؟.

ج: إن النصوص يضم بعضها إلى بعض، ومعلوم أن قوله صلى الله عليه وسلم: (لم يعملوا خيرًا قط)، ليس معناه أنه لم يعمل شيئًا من أمور الإسلام، وإقرار المسلم على ترك ذلك، وإنما هذا معناه –والله اعلم– أن مع إتيانه بما هو من أصل الإسلام، هذا جواب، وجواب آخر: أنه قد يكون بعض الناس يموت على أنه قال كلمة الإسلام ثم يموت، لم يتمكن من العمل، أو قد يكون لم يبلغه وجوب العمل في بعض الديار التي يكثر فيها الجهل، يخفى الدين عنهم.

س٤: ما هو الفرق بين الكذب والتعريض والتدليس؟.

ج: التدليس هو إخفاء العيب سواء كان في خطبة امرأة، أم في بيع أو نحو ذلك، يخفي العيب، والكذب يلتحق به التدليس من جهة ويختلف عنه من جهة أخرى، أما التعريض فهو أن يتكلم بالكلام الذي ظاهره أنه يريد معنى وهو يقصد معنى آخر ومعنى الكلام محتمل لهذا وهذا.

س٥: هل يزيد صحابي؟ وما حكم من لعنه أو سبه؟.

ج: ليس بصحابي، وحكم لعنه مثل ما قال الإمام أحمد: لا نحبه ولا نسبه.

س٦: هل يكون العمل سببًا لدخول الجنة بحجة قوله تعالى: {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [النحل: ٣٢]؟.

ج: نعم، الأعمال سبب، ولكن ليست هي المقابل والعوض؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله)، فالجنة سلعة غالية ولكن العمل سبب.

س٧: إذا ثبت عليه الحد وكان في البلد حاكم لا يحكم بالحدود الشرعية هل يقيم عليه الحد؟ أم يُترك، فإذا تُرك فلا يقام عليه الحد؟.

ج: لا حول ولا قوة إلا بالله، عليه أن يسعى في إصلاح المسلمين والدعوة إلى تحكيم الشريعة بقدر استطاعته، أما أن يقيم الحدود شخصًا أو فردًا وليس ولي الأمر فهذا غير جائز، لكن يبين لولاة الأمر والمسؤولين فضل الشريعة ووجوب الحكم بها ويناصحهم ويكاتبهم حتى لو أنهم ظهر منهم الإصرار والعناد يصبر حتى يفرج الله، لكن لا يقيم هو الحد بنفسه، فهذا من الافتيات الذي مر ذكره، ومن أسباب الفتن، وتعريض المسلمين للقتل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المجلس: ٨.

*** المتن ***

٧٧- وَنؤْمِنُ بالكِرَامِ الكَاتِبينَ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ جعلَهُم عَلَيْنَا حَافِظِين.

٧٨- وَنُؤْمِنُ بِملَكِ المَوْتِ، الموكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ العَالَمينَ.

٧٩- وَبِعذَابِ القبْرِ لمنْ كَانَ لَهُ أَهْلاً، وسُؤَالِ مُنْكَرٍ ونكِيرٍ في قبْرِه عَنْ رَبّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّه، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الأَخْبَارُ عنْ رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَعن الصَّحَابَةِ رضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم.

٨٠- والقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ.

٨١- وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ، والعَرْضِ والحِسَابِ، وقِرَاءَةِ الكِتَابِ، والثَّوابِ والعِقَابِ، والصِّرَاطِ والميزَانِ.

٨٢- وَالجَنَّةُ والنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لا تَفْنَيانِ أَبداً وَلاَ تَبِيدَانِ، فَإِنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ الجَنَّةَ والنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلاً, فَمنْ شَاءَ مِنْهُم إلى الجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ. وَمَنْ شَاءَ مِنْهُم إلى النَّارِ عَدْلًا مِنْهُ, وَكُلٌّ يَعْمَلُ لما قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إِلى مَا خُلِقَ لَهُ.

٨٣- والخَيْرُ والشَّرُّ مُقدَّرَانِ عَلى العِبَادِ.

٨٤- والاسْتِطاعَةُ التي يجبُ بِهَا الفِعْلُ، مِنْ نَحْوِ التَّوفيقِ الَّذِي لا يَجُوزُ أنْ يُوصَفَ المخْلُوقُ بِهِ - فهي مَعَ الفِعْلِ، وأمَّا الاسْتِطاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحةِ وَالوُسْعِ، والتَّمكِينِ وَسَلامَةِ الآلاتِ- فَهِيَ قَبْلَ الفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعلَّقُ الخِطَابُ، وهُوَ كَمَا قال تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة:٢٨٦].

٨٥- وَأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللهِ، وَكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ.

٨٦- ولَمْ يُكَلِّفْهُم اللهُ تعالى إلاَّ مَا يُطِيقُون، وَلا يُطيقُونَ إلاَّ مَا كَلَّفَهُمْ وَهُوَ تَفْسِير: "لا حول ولا قوة إلا بالله". نقول: لا حِيلَةَ لأَحَدٍ، وَلاَ حَرَكَةَ لأحَدٍ ولا تَحَوُّلَ لأحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إلاَّ بِمعونَةِ اللهِ، وَلاَ قُوَّةَ لأحَدٍ على إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ والثَّبَاتِ عَلَيْهَا إلاَّ بِتَوفِيقِ الله.

٨٧- وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ الله تعالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِه. غَلَبَتْ مشيئتُهُ المَشِيئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّهَا، يَفعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُو غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سوء وحين، وتَنَزَّهَ عَن كلِّ عَيْب وشَيْن. {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}[الأنبياء:٢٣].

٨٨- وفي دُعَاءِ الأَحْيَاءِ وَصَدَقَاتِهم مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوَات.

٨٩- واللهُ تَعالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوات، وَيَقْضِي الحَاجَات.

٩٠- وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلاَ يَمْلِكُهُ شَيْءٌ، وَلاَ غِنَى عَنِ اللهِ تَعالَى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ.

٩١- واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لاَ كَأحَدٍ مِنَ الوَرَى.

٩٢- وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَلاَ نُفرطُ في حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم؛ وَلاَ نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُم، ولا نَذْكُرُهُم إلاَّ بِخَيْرٍ, وَحُبُّهُم دِينٌ وإِيمَانٌ وإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ.

٩٣- وَنُثْبِتُ الخِلاَفَةَ بَعْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أَوَّلًا لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، تَفْضِيلًا لَهُ وتقديمًا عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ، ثُمَّ لعُمَرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعَلِيِّ بن أبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ والأَئِمَّةُ المُهْتَدُون.

٩٤– وَأَنَّ العَشرَةَ الَّذينَ سَمَّاهُم رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَبشَّرَهُم بِالجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُم بِالجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُم رَسُولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَقَوْلُهُ الحقُّ، وَهُمْ: أَبُوبَكْرٍ، وَعُمَرُ، وعُثْمَانُ، وَعَليٌّ، وَطَلْحَة، والزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُالرَّحمنِ بن عَوْفٍ، وأبو عُبَيْدَة بنُ الجَرَّاحِ وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِين.

٩٥– وَمَنْ أَحْسَنَ القَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ المقدسينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ.

٩٦– وعُلماءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بعْدَهُم مِنَ التَّابِعِينَ –أهْلُ الخَيْرِ والأَثَرِ، وأَهْلُ الفِقْهِ والنَّظَرِ– لا يُذكَرُونَ إلاَّ بِالجَميلِ، وَمَنْ ذَكَرُهُم بِسُوءٍ فَهُوَ عَلى غَيْرِ السَّبِيلِ.

٩٧– وَلاَ نُفَضِّلُ أَحدًا مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، ونقولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ.

٩٨– وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِم، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِم.

٩٩– وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّال، ونُزُولِ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مِنَ السَّماءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا.

١٠٠– وَلاَ نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلاَ عَرَّافًا، وَلاَ مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الكِتَابَ والسُّنَّةَ وإِجْمَاعَ الأُمَّةِ.

١٠١– وَنَرَى الجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا.

١٠٢– وَدِينُ الله فِي الأَرضِ وَالسَّماءِ وَاحِدٌ، وهُو دِينُ الإِسْلاَمِ، قال الله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران:١٩]، وقال تعالى: {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:٣].

١٠٣– وَهُو بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِير، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ والتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الجَبْرِ وَالقَدَرِ، وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالإِيَاسِ.

١٠٤– فَهَذَا دِينُنا واعْتِقَادُنا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. وَنَحْنُ بُرَآءٌ إِلَى اللهِ مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ.

وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الإِيمانِ، ويَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ المُخْتَلِفَةِ، والآرَاءِ المُتَفَرّقَةِ، وَالمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ المشبَّهَةِ، والمعْتَزِلَةِ، والجَهْمِيَةِ، والجَبْرِيَّةِ، والقَدَرِيَّة وَغيْرِهم، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والجَمَاعَةِ، وَحَالَفُوا الضَّلالَةَ, ونَحْنُ مِنْهُم بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلاَّلٌ وأَرْدِيَاءُ. وَبِالله العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ.

*** الشرح ***

قوله: (وَنؤمِنُ بالكِرَامِ الكَاتِبِينَ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُم عَلَيْنَا حَافِظِين): هذا كما قال الله سبحانه وتعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار: ١٠-١٢].

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِمَلِكِ المَوْتِ، الموكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ العَالَمِينَ): وهكذا جاء تسمية ملك الموت بملك الموت وأما تسميته بعزرائيل فلم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بل هي من الإسرائيليات، وهذا الاسم منتشر عند العامة، والذي جاء في القرآن ملك الموت، فهو موكل بالقبض، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن ملك الموت يتوفى الأنفس، وذكر أيضًا أن الملائكة الذين معه سواء ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب تتوفى الأنفس، والجمع بينهما أن ملك الموت هو الذي يقبض الروح فإذا قبضها لم يدعوها في يده طرفه عين، بل يأخذونها وهم الرسل الذين قال الله فيهم: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} [الأنعام: ٦١]، والموت صفة وجودية، وليست صفة عدمية؛ لأن الروح تنتقل من حال إلى حال ولا تُعدم وتفنى، إلى دار البرزخ

قوله: (وَبِعَذَابِ القبْرِ لمنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وسُؤَالِ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ فِي قَبْرِه عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّه، عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَعن الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم، وَالقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ): قال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة: (استعيذوا بالله من عذاب القبر)، قالها ثلاثًا، وقال صلى الله عليه وسلم: (يهود تعذب في قبورها)، وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا قعد أحدكم في مصلاه وبعد التشهد فليستعذ بالله من أربع: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجال)، والأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في عذاب القبر ونعيمه كثيرة، ومجموعها يدل على أنها متواترة، فنؤمن بعذاب

القبر ونؤمن بنعيم القبر لمن كان له أهلًا، فالعذاب يكون للكفار ويكون أيضًا لأهل الكبائر إذا شاء الله، والنعيم يكون للمؤمنين الموحدين، وعذاب القبر حق وهو من الغيب؛ لأن العبد إذا مات انتقل إلى الدار الآخرة، ولذلك الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان الستة يبدأ من الموت، حتى إن ابن تيمية في الواسطية يذكر أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت، فيدخل في هذا أشياء كثيرة، فلا تظن فقط أن يوم القيامة والإيمان به يقتضي الإيمان باليوم الآخر، الإيمان باليوم الآخر يدخل فيها قبض الروح ورفعها وما يحصل لها من العقوبة وردها إلى الأرض واجتماع العذاب أو النعيم على الروح مع الجسد؛ لأن العذاب أو النعيم قد ينال الروح مجتمعة مع الجسد أو منفصلة، فنؤمن بذلك وإن كان الجسد يتمزق ويتحلل لكن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، والله سبحانه وتعالى يوصل من العذاب أو من النعيم إلى العبد ما يخفى على عقول البشر، وإن كان الميت في قبره إذا حُفر القبر لم ير الإنسان بعينه المجردة شيئًا من ذلك فإن هذا من الغيب الذي أخفاه الله عن العباد رحمة منه سبحانه وتعالى وابتلاء واختبارًا، وذكر الله جل وعلا عذاب القبر في القرآن في مواضع منها ما ذكره عن فرعون وقومه فقال عنهم: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر: ٤٦]، فمعنى هذا أن العرض على النار غدوًا وعشيًا قبل قيام الساعة، فالآن نؤمن بأن آل فرعون الكفرة يعرضون يوميًا في الغداة وفي العشي على النار، ثم يوم القيامة يقول الله: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}، ومن كذّب بعذاب القبر فقد كذّب بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم وبالآيات القرآنية الدالة على ذلك، فالذي يجحده ويكذب به هذا ممن كفر وكذّب بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأما من تأوله من المنحرفين من العقلانيين وأمثالهم تأولوا بتأويلات فاسدة فهذا علامة على ضلاله وانحرافه، والعذاب قد ينقطع عن العبد وقد يستمر، بأن يعذب بقدر ذنوبه ثم يخفف الله عنه، ومما ورد في هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال: (إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة)، وفي رواية: (لا يستنزه من البول)، أي يصيبه البول ولا يبالي، ثم أخذ صلى الله عليه وسلم جريدة رطبة، فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة، قالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: (لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا)، هذا دليل على أن العذاب قد يخفف بالدعاء، وبالاستغفار للميت، أما ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من

الجريدة هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلا يُشرع لغيره أن يصنع هذا، بل من صنع هذا فهو مبتدع؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما خص هذين، وهذه من آيات النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: (وسُؤَالِ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ فِي قَبْرِه عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّه): تسمية منكر ونكير وردت في حديث عند الترمذي في سننه، وإلا فالذي في الصحيحين لم يثبت تسميتهما بمنكر ونكير وإنما جاء فيه: (يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟)، والحديث الذي رواه الترمذي حسنه بعض العلماء، وبناء على ذلك فلا حرج في هذه التسمية؛ لأن الحديث الحسن يدخل في قسم الحديث الصحيح.

قوله: (وَالقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ): هذا ما جاءت به الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وأن المؤمن يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويفتح له باب إلى الجنة، وفي المقابل الذي قبره حفرة من حفر النيران يُفتح له باب إلى النار، وهذه أمور غيبية والله على كل شيء قدير.

وللرد على العقلانيين نعطي مثالًا: وأول شيء يجب أن نؤمن أن أصل الإسلام هو قبول الوحي الذي جاء من عند الله، فهذا هو الإيمان، فالذي يعترض على ذلك فهذا علامة ضلاله وزندقته وبعده عن الحق.

ثانيًا: لقد أرانا الله جل وعلا في الدنيا ما به نعلم بعض أمور الآخرة من جهة القياس، فإذا جاز في الدنيا أن يكلم الرجل الآن في المشرق من هو في أقصى المغرب بجهاز ويراه ويسمع صوته وبينهما مسافات هائلة، وهذا شيء يسير جدًا مما قدر عليه العباد والله على كل شيء قدير، فكيف نُعمل عقولنا فيما أخفاه الله عنا، فإن من أعظم صفات المؤمنين الإيمان بالغيب كما في سورة البقرة: {الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} [البقرة: ١-٣]، فما غيبه الله عنا وأخفاه عنا يجب أن نؤمن به، والدخول في ذلك بالعقول ورد النصوص والاستخبار عنها هذا علامة الضلال، علامة رد ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فالمسلم والمؤمن مستسلم لله بالتوحيد ومنقاد ومصدق ومؤمن فلا يعترض على الله جل وعلا ولا يجعل عقله هو الحاكم على الأدلة الشرعية.

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِالبَعْثِ وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ يَوْمَ القِيَامَةِ، والعَرْضِ والحِسَابِ، وقِرَاءَةِ الكِتَابِ، والثَّوابِ والعِقَابِ، والصِّرَاطِ والميزَانِ): هذه من أمور القيامة، البعث يبعث العباد بعدما ماتوا فيقومون من قبورهم

حفاة عراة غرلًا، ثم الحشر فيحشرون إلى أرض المحشر فيجمعهم الله في صعيد واحد، وجزاء الأعمال أي الحساب يحاسبون ويجازون على أعمالهم، والعرض أي عرض الأعمال على العباد، ألم تفعل كذا يوم كذا؟ ألم تفعل كذا يوم كذا؟، وقراءة الكتاب أي ما كُتب على العبد من أعماله في الخير والشر، قال تعالى: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: ١٤]، والثواب والعقاب والصراط الذي هو على متن جهنم، والميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة، هذه كلها نؤمن بها خلافًا لمن أولها وحرفها وقال: هذه ليست لها حقيقة، هذه المراد بها تمام العدل، هذه لا يقصد ظاهرها. وهذا ضلال، كذلك في المقابل من يدعي أنه يعرف حقيقة هذه الأمور وكيفياتها، هذا أيضًا انحراف، والحق أننا نؤمن بها وأما كيفيتها وحقيقة صفتها على ما هي عليه فهذه أمور غيبية فنؤمن بها، لكن كيف الميزان؟ ما صفته؟ حقيقته؟ الله أعلم، كيف الصراط؟ أُخبرنا عن الصراط وأنه على متن جهنم وأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف وأن الناس يمرون عليه على قدر أعمالهم، فناج مخدوش، ومكردس في نار جهنم؛ لأن الصراط عليه كلاليب مثل شوك السعدان يخطف الناس، ودعوة الرسل آنذاك: (اللهم سلم، سلم)، فالأمر عظيم، والورود على الصراط في قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} [مريم: ٧١، ٧٢]، هذا فيه قولان مشهوران:

القول الأول: أن المؤمنين يدخلون النار وتكون عليهم بردًا وسلامًا ثم يخرجون منها. وهذا منقول عن ابن عباس وجماعة، ويكون هذا من الآيات العظيمة أنهم يدخلون هذه النار السوداء المظلمة ثم تكون عليهم بردًا وسلامًا ثم يخرجون منها.

القول الثاني: أن الورود هو العبور على الصراط. فهو ورود عليها ولكن لا يدخلونها وهذا القول أصح وهو المشهور، وهذا هو الصحيح، والله أعلم.

قوله: (وَالجَنَّةُ والنَّارُ مَخْلُوقتَانِ، لا تَفْنَيانِ أَبَدًا وَلاَ تَبِيدَانِ): مخلوقتان أي موجودتان الآن، فلا تُخلق يوم القيامة كما يزعم بعض المبتدعة، إنما هي مخلوقة معدة قد فُرغ منها، ولا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، فأهل الجنة خالدين فيها أبدًا وكذلك النار، فالنار لا تفنى بل هي وأهلها خالدين فيها أبدًا، أما قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ} [هود: ١٠٦،

١٠٧]، فهذا فُسر على عدة تفسيرات، أصحها: أن الذين سعدوا أو الذين شقوا يكونون في الجنة ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك؛ لأن السماوات والأرض قد تنتهي وتفنى فيزيد الله جل وعلا ما شاء، فيستمرون فيه أبدًا كما أخبر، ولأنهم قبل دخولها لم يكونوا فيها فهذا المستثنى، فالمستثنى عند بعض أهل العلم أن خلودهم فيها {مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ} يعني دائم أبدًا لا ينقطع، لكن قبل دخلوهم هذا مستثنى لم يدخلوها بعد، أو أن مدة السماوات والأرض قد تقل وهم مدتهم لا تنقطع وبقاؤهم لا ينقطع، وعلى كل حال الأدلة صريحة ويُجمع بعضها مع بعض، خلود أهل النار فيها أبدًا ذكره الله جل وعلا في ثلاث مواضع في كتابه، وخلود أهل الجنة ذكره الله في أكثر من ثلاثة مواضع في كتابه، أما أهل المعاصي إذا ورد فيهم أنهم خالدين في النار من الموحدين فالمراد طول المكث، فالذي يقتل نفسًا متعمدًا {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: ٩٣]، وهذا الخلود معناه طول المكث؛ لأن هذا أعظم الذنوب بعد الشرك، كذلك الذي يقتل نفسه وينتحر فإنه يكون في النار كما قال صلى الله عليه وسلم: (خالدًا مخلدًا فيها)، يعني طويل المكث؛ لأنه من أهل التوحيد، فلا نقول: إنه يُخلد خلود الكفار.

قوله: (فَإِنَّ اللَّهَ تعالى خَلَقَ الجَنَّةَ والنَّارَ قَبْلَ الخَلْقِ): الله سبحانه وتعالى خلق الجنة وخلق النار قبل الخلق، قال الله في الجنة: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣]، وقال الله في النار: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة: ٢٤، وغيرها]، أعدت: فُرغ منها.

قوله: (وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمنْ شَاءَ مِنْهُم إلى الجَنَّةِ فَضْلاً مِنْهُ. وَمَنْ شَاءَ مِنْهُم إلى النَّارِ عَدْلاً مِنْهُ):

أي أن الله سبحانه وتعالى قدر المقادير وعلم أهل الجنة من أهل النار، فمن شاء منهم إلى الجنة فضلًا منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلًا منه {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩]، فالذي في الجنة هذا فضل الله عليه، والذي في النار هذا عدل الله فيه.

قوله: (وَكُلٌّ يَعْمَلُ لما قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرٌ إلى مَا خُلِقَ لَهُ): هذا الإيمان بالقضاء والقدر وأن الله جل وعلا قد فرغ من مقادير الخلائق، وعلم الله سبحانه وتعالى ما سيكون، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، هذه المسألة تقدمت وكررها المصنف هنا وسيزيد فيها بعض المسائل.

قوله: (والخَيْرُ والشَّرُّ مُقدَّرَانِ عَلى العِبَادِ): لأننا نؤمن بالقدر خيره وشره، فالخير خير ديني أو خير دنيوي مثل الصحة، والغنى، والزوجة، والولد، والجمال، هذا خير، فهذا مقدر على العباد، أيضًا الشر مثل المرض، والفقر، والموت، والمصيبة، والعمى، والعرج، وفقد الولد، ونحو ذلك هذه من أمور الدنيا، وأمور الدين أيضًا فالخير مثل الصلاة، الزكاة، قيام الليل، الصدقة، حسن الخلق، حفظ القرآن، والشر مثل المعصية، الكفر، الشرك، البدعة، وغير ذلك، فالخير والشر مقدران على العباد، وأفعال العباد كلها مقدرة مخلوقة خلقها الله جل وعلا؛ لأن الله جل وعلا خالق كل شيء، ونحن نؤمن بالقدر خيره وشره والله على كل شيء قدير، ولكن العبد محاسب على أعماله؛ لأنها مضافة إليه، وإن كان الله جل وعلا خلق كل شيء لكن الأعمال تضاف إلى من قام بها واتصف بها وإلى من فعلها فتضاف إلى العبد تسببًا وفعلًا، وإن كانت تضاف إلى الرب خلقًا وإيجادًا، فأنت الآن طويل أو قصير أو أحمر أو أبيض أو أسود هذه الصفة تضاف إليك والله خلقها، فالصفة أضيفت إلى العبد وصفًا وأضيفت إلى الرب خلقًا وإيجادًا، كذلك أفعالك كلها تضاف إليك فعلًا وتسببًا {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: {جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٧]، المتقين، المحسنين، المجرمين، أوصافهم تعود إليهم.

قوله: (والاسْتِطاعَةُ التي يَجبُ بِهَا الفِعْلُ، مِنْ نَحْوِ التَّوفيقِ الَّذِي لا يَجُوزُ أنْ يُوصَفَ المخْلُوقُ بِهِ – فهي مَعَ الفِعْلِ، وأمَّا الاسْتِطاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحةِ وَالوُسْعِ، والتَّمكينِ وَسَلاَمَةِ الآلاتِ– فَهِيَ قَبْلَ الفِعْلِ، وَبِهَا يَتَعَلَّقُ الخِطَابُ، وهُوَ كَمَا قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة:٢٨٦]): بعض الناس؛ كالمعتزلة يجعلون الاستطاعة نوعًا واحدًا ويقولون: هي التي تكون قبل الفعل. مثل الصلاة: ظهرك سليم، جسمك سليم، ركبك سليمة، ويديك سليمتان، هذه تسمى استطاعة على الصلاة، هذه قبل الفعل، هذه الاستطاعة هي التي يتعلق بها الخطاب، فلو كان الرجل مثلًا مقعد وظهره غير سليم وركبه غير سليمة وجسمه مريض ولا يستطيع أن يركع ولا يستطيع أن يسجد، فهذا ليس عنده استطاعة على الركوع والسجود وبالتالي تسقط عنه، ولذلك الخطاب متعلق بالاستطاعة قبل الفعل، فلو كان الإنسان عاجزًا قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة:٢٨٦]، فإذا كان الإنسان لا يستطيع الصوم فهذا تشمله الآية، والحج كذلك



لا يجب عليه، هذه الاستطاعة قبل الفعل، وهناك استطاعة أخرى وهي التوفيق، أن يكون الإنسان عنده قدرة على الفعل وسلامة الآلات لكن هل يصلي أم يترك الصلاة عمدًا؟ هنا هذه الاستطاعة معناها التوفيق عند العلماء، ولهذا قال الله في الكفار: {مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} [هود: ٢٠]، المنفي هنا التوفيق، ما وفقهم الله جل وعلا، أما حالتهم فهم يسمعون فعندهم سمع وعندهم بصر، فهم يسمعون الخطاب ويعرفون الحكم لكنهم لم يوفقوا، خُذلوا {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: ٥]، فالاستطاعة لها معنيان: معنى به يصح التكليف وهي الاستطاعة قبل الفعل، والمعنى الثاني هو التوفيق من الله سبحانه وتعالى، ولا بد أن نفرق بينهما، وهناك من أخطأ وظن أن الاستطاعة نوع واحد، فالمعتزلة ظنوا أن الاستطاعة هي المصاحبة للفعل التي قبل الفعل، والأشاعرة ونحوهم ظنوا أن الاستطاعة هي التي تكون مع الفعل، التوفيق فقط، والصواب: أنها نوعان، كما ذكر المصنف –رحمه الله– فقال: والاستطاعة التي يجب بها الفعل. وهي التي يوفق الله بها العبد فيحصل الفعل، كشخص مثلًا عنده قدرة وعنده كل شيء ولم يوفق لصلاة الفجر، مخذول، أخلد إلى النوم، يسمع الأذان ولا يبالي وهو سليم معافى، وآخر ذهب إلى الصلاة، فهذه الاستطاعة توفيق من الله سبحانه وتعالى، لكن إنسان مريض في البيت وصلى في بيته فهذا ليس عنده استطاعة قبل الفعل، فهذا معذور، ففرق المصنف بينهما وهذه عقيدة أهل السنة وهذه دلت عليها النصوص الشرعية، قال: والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به. لماذا؟ لأن التوفيق بيد الله، فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة:٢٨٦].

قوله: (وَأَفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللهِ، وَكَسْبٌ مِنَ العِبَادِ): أفعال التي يفعلها العباد هذه خلق الله كما تقدم وهي تضاف إلى العبد تسببًا بكسب منه، وتضاف إلى الرب إيجادًا وخلقًا، فأنت أيها العبد فيك أمران بهما تحدث جميع أفعال:

الأمر الأول: القدرة.

الأمر الثاني: المشيئة والاختيار. فالله أعطاك عقل تختار به الأشياء وتميز، والله سبحانه وتعالى أعطاك قدرة تستطيع أن تفعل بها الأشياء، فالذي خلق المشيئة والاختيار في عقلك الله، والذي خلق القدرة والصحة في آلاتك الله، فكل ما ينتج عنها فهو مخلوق لله.

والصفات خلق الله تضاف إليه خلقًا وإيجادًا وتضاف إلى العبد وصفًا، فالمولود قد يولد مبصر وقد يولد أعمى، وهذا لونه أسود وهذا لونه أبيض، وهذا لونه أحمر، فالذي خلقهم على هذا الشكل هو الله، وهذه الصفات لا تضاف إلى الله، فلا يقال عن الرب جل وعلا هذه هي صفاته: السواد والبياض، لا يجوز هذا، وإنما تضاف إلى العبد، كذلك أفعالك أنت من خير أو شر، الذي أوجدها وخلقها هو الله، وهذه الأفعال تضاف إلى العبد تسببًا وفعلًا، أنت الذي صمت وذاك الذي أفطر، وأنت الذي صليت وذاك الذي سرق، وهكذا.

قوله: (ولَمْ يُكَلِّفْهُم اللهُ تعالى إِلاَّ مَا يُطِيقُون): كما قال تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة:٢٨٦]، لم يكلف الله جل وعلا العباد شيئًا لا يطيقونه ويعجزون عنه، بل كلفهم ما يطيقونه ويستطيعونه رحمة منه سبحانه وتعالى.

قوله: (وَلا يُطيقُونَ إِلاَّ مَا كَلَّفَهُمْ): أي أن التكاليف في حدود طاقتهم، ولهذا إذا صار العبد عاجزًا سقط التكليف عنه.

قوله: (وَهُوَ تَفْسير: لا حول ولا قوة إلا بالله، نقول: لا حِيلَةَ لأَحَدٍ، وَلاَ حَرَكَةَ لأحَدٍ ولا تَحَوُّلَ لأحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إِلاَّ بِمعونَةِ اللهِ، وَلاَ قُوَّةَ لأحَدٍ على إِقَامَةِ طَاعَةِ اللهِ والثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلاَّ بِتَوفِيقِ الله):

لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة فأكثروا منها، قال صلى الله عليه وسلم: (يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله)، ومعناها عند السلف كما قال المصنف: نقول: لا حيلة لأحد. والحيلة العمل الذي يتخلص به من الأمور الصعبة، ولا حركة لأحد ولا تحول لأحد عن معصية الله إلا بمعونة الله، ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله، وكذلك غير المعاصي والطاعات، فجميع الأمور فلا حول للعبد ولا قوة إلا بالله، في بناء بيته، في تيسير أمر زواجه، في صلاح ولده،



في استقامته هو على الطاعة وثباته عليها، في أمر تجارته ورزقه، فلا حول أي لا حيلة لأحد ولا حركة ولا توفيق إلا بالله سبحانه وتعالى، كذلك القوة فهي كلمة معناها الاستعانة وليس معناها الاسترجاع عند المصيبة فقط؛ لأن بعض الناس يظن أنها للاسترجاع عند المصيبة فقط، فإذا سمع لا حول ولا قوة إلا بالله جعلها خاصة بوقوع المصيبة يظن أنها مثل: إنا لله وإنا إليه راجعون، وكلا الكلمتين حق ودين نقوله في وقت المصيبة وفي غير وقت المصيبة، لكن ينبغي أن تعرف معاني الكلمات وسعتها، فلا حول ولا قوة إلا بالله كلمة استعانة وقوة تعطيك النشاط وتعطيك العزيمة، ولهذا يُشرع لمن سمع الأذان والمؤذن يقول: حي على الصلاة. يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. فمعناها أني أستعيذ بالله وأطلب منه الحول والقوة أن يُعينني على أداء الصلاة، فهي كلمة عزيمة تستعين بالله جل وعلا وتعزم بقلبك على الانتقال عن المعاصي وعلى الاستقامة على الطاعات وأن تذكر أن هذا بيد الله وتسأله التوفيق مع الأخذ بالأسباب وبذلها.

قوله: (وَكُلُّ شَيْءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ الله تعالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ): ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

قوله: (غَلَبَتْ مَشيئتُهُ المَشِيئَاتِ كُلَّهَا): فإذا شاء العبد شيئًا وشاء الرب فإن الله جل وعلا تنفذ مشيئته ولا تنفذ مشيئة العبد، حتى سألوا أعرابي: بما عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم والهمم. يعني أني أكون عازم على الشيء فأقول: غدًا سأفعل كذا وكذا. ثم نصبح غدًا وتنتقض هذه العزيمة وأُغير رأيي أو لا أستطيع العمل، فمشيئة الرب هي النافذة لا مشيئة العبد، قال تعالى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [التكوير: ٢٨، ٢٩].

قوله: (وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الحِيَلَ كُلَّهَا): الحيلة ليست المكر فقط بل الحيلة التفكير في الأمور والعزم على الأشياء واتخاذ الأمور اللطيفة والخفية لإنفاذ أمورك، هذه الحيل إذا جاء القضاء وقفت فينفذ قضاء الله وقدره سبحانه وتعالى.

قوله: (يَفعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُو غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَداً، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سوء وحين، وتَنَزَّهَ عَن كلِّ عَيْب وشَيْن. {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء:٢٣]): أي أن أفعال الرب سبحانه وتعالى ومشيئته وتقديره

للمقادير ليست ظلمًا للعباد؛ لأن الله يقول: {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [النحل: ١١٨]، فبين الله أنهم هم الذين ظلموا أنفسهم، والقدر قدرة الرحمن وهو سر الله فلا يُكشف ولا يعلمه العباد ولا يعرفه العباد وإنما يعرفون أن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، أما لماذا هذا اعتدى؟ ولماذا هذا ضل؟ فهذا من تقدير الله جل وعلا، والعبد مهما كان يعرف من نفسه أنه هُدي النجدين، عرف طريق الحق وطريق الشر، فلماذا اختار طريق الشر وهو يعرف؟ وحتى أهل النار إذا دخلوا النار يعرفون أن الله عدل فيهم ولم يظلمهم، كما في سورة تبارك: {فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: ١١]، {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء:٢٣].

قوله: (وفي دُعَاءِ الأَحْياءِ وَصَدَقَاتِهِم مَنْفَعَةٌ لِلأَمْوات): مسألة دعاء الأحياء وصدقاتهم فيها منفعة للأموات؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له)، وكذلك قال الله جل وعلا في الصنف الثالث من المؤمنين، فالأول المهاجرين والثاني الأنصار والثالث: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الحشر: ١٠]، وهذا يشمل الأموات، وكذلك الصدقات؛ لقوله: (أو صدقة جارية)، وقال أحد الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، إن أمي توفيت، وأرى لو أنها بقيت تتصدق، أفلا أتصدق عنها؟ قال: (نعم)، فالصدقة عن الميت خصوصًا عن الوالدين هذه تصل إليهم وتنفعهم دلت على ذلك الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإليه يشير قوله تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم: ٣٩]، قالوا: والولد من سعي والده. وكذلك الحج وكذلك الصوم يصل للميت، فمن حج عن أبيه أو عن أمه أو عن قريبه المتوفى، فهذا يصل إليه، كذلك الصوم إذا كان عليه صوم نذر فهو خاص بصوم النذر وبعض أهل العلم يعممه بصوم الواجب المتعلق بالذمة، (من مات وعليه صيام صام عنه وليه)، قيل: هذا خاص بالنذر، وقيل: هذا عام في كل صوم تعلقت به الذمة سواء صوم النذر أو كفارة أو عن قضاء رمضان، ونحو ذلك، لكن هل هناك أشياء أخرى، فهل يصلي الحي على الميت؟ هل يزكي عنه؟ يسبح عنه؟ يقرأ عنه القرآن؟ الصواب أننا نقتصر على ما جاء به النص، هذا هو الأفضل وهذا هو الأسلم ولا نزيد، ومن

أهل العلم من وسع في هذا المقام وقال: لو أهدى ثواب الأعمال إليه فهذا جائز. لكن اهداء ثواب الأعمال والقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فهذا بدعة.

قوله: (واللهُ تَعالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعوَاتِ، وَيَقْضِي الحَاجَاتِ): فنؤمن أن الله عز وجل يستجيب الدعوات، قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠]، ولهذا يُشرع للمؤمن أن يسأل الله جل وعلا جميع حاجاته حتى لو انقطع شسع نعله، فإنه يسأل الله جل وعلا كل شيء.

قوله: (وَيَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلاَ يَمْلِكُهُ شَيْءٌ، وَلاَ غِنَى عَنِ اللهِ تَعالى طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَمَنِ اسْتَغْنَى عَنِ اللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الحَيْنِ): قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر: ١٥]، فالله يملك كل شيء ولا يملكه شيء، ولا يستغني المؤمن عن الله ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وصار من أهل الكفار، فالمؤمن لا يستغني عن الله فلا يقول: أنا غني لا حاجة لي إلى الله. لا والله، فهذا لا يقوله إلا الكافر، {أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}، وكل ما كان العبد مستحضرًا للافتقار إلى الله جل وعلا كلما زاد إيمانه، فهذا من أبواب الإيمان، من أبواب صلاح القلوب، أن تستشعر فقرك وحاجتك إلى الله سبحانه وتعالى، وموسى عليه الصلاة والسلام لما سقى المرأتين أوى إلى الشجرة وقال: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [القصص: ٢٤]، يعني مفتقر إلى خيرك وفضلك ورحمتك، فالافتقار إلى الله في جميع الحالات هذا دليل على كمال الإيمان واستحضار هذا المعنى يزيد إيمانك ويقوي يقينك بالله سبحانه وتعالى.

قوله: (واللهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لاَ كَأَحَدٍ مِنَ الوَرَى): هذا فيه إثبات الصفات الفعلية وتقدم، فنثبت الغضب ونثبت الرضا، والله جل وعلا ليس كمثله شيء.

قوله: (وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَلاَ نُفرطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُم؛ وَلاَ نَتَبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُم، وَنُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُم، وَبِغَيْرِ الخَيْرِ يَذْكُرُهُم، ولا نُذْكُرُهُم إلاَّ بِخَيْرٍ, وَحُبُّهُم دِينٌ

وإيمَانٌ وإحْسَانٌ، وَبُغْضُهُم كُفْرٌ ونِفَاقٌ وطُغْيَانٌ): هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، نحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم –رضي الله عنهم– نحب جميع الصحابة دون استثناء، لكن بعضهم أكمل من بعض، وبعضهم أعلى من بعض، ولا نفرط في حب أحد منهم، والإفراط هو الغلو وهو ضد التفريط، فلا نغلو في أحد منهم مثل ما غلت الرافضة في علي –رضي الله عنه– وأهل البيت، وإنما نحبهم باعتدال وتوسط، ولا نتبرأ من أحد منهم؛ كالخوارج الذين خرجوا على عثمان وتبرأوا منه، وكذلك الروافض الذين تبرأوا من أبي بكر وعمر، فهذه طرق الضلال والانحراف، ونبغض من يبغض الصحابة وبغير الخير يذكرهم فيذكرهم بالشر والسوء، وينقل عنهم الأمور السيئة ويكذب عليهم ويتقول عليهم ويصدق افتراءات الكذابين، فهذا نبغضه، ولا نذكر الصحابة إلا بخير، فهذه طريقة أهل السنة والجماعة أنهم يرون الكف عن ذكر ما شجر بين الصحابة، ونعلم أنهم بين الأجر والأجرين –رضي الله عنهم–، وحب الصحابة دين وحب الصحابة من الإيمان وحبهم من الإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، والأدلة على ذلك كثيرة، قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠]، فقد أخبر أنه رضي عنهم وقال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: ١٨]، وآيات أخرى، ومن السنة: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)، وقال صلى الله عليه وسلم: (آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار)، والرافضة الآن علامة النفاق فيهم بغض الصحابة من المهاجرين والأنصار، ليس عندهم إلا خمسة أو سبعة أو تسعة على خلاف بينهم يوالونهم ويبغضون الباقي، كذلك من يبغض أحدًا من الصحابة حتى لو واحد أو اثنين أو ثلاثة لا يجوز، فهذا من علامة النفاق والخروج عن الشريعة، فالحذر ا لحذر، فحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، فالواجب الترضي عنهم ومحبتهم والكف عما شجر بينهم، ونعلم أنهم بين الأجر والأجرين فيما حصل بينهم، ونعلم أن كثيرًا مما يُروى كذب، وزيد ونقص وغيّر، وافتُري عليهم أشياء كثيرة، والصحابة –رضي الله عنهم– نقلة الشريعة، حفظة الدين، قال أبو زرعة الرازي: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق. وفي رواية: فاتهمه على الإسلام.

قوله: (وَنُثْبِتُ الخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أَوَّلًا لأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضيَ اللهُ عَنْهُ، تَفْضِيلًا لَهُ وتَقديمًا عَلَى جَمِيعِ الأُمَّةِ، ثُمَّ لعُمَرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُم لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعَلِيِّ بن أبي طَالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهُمُ الخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ والأَئِمَّةُ المُهْتَدُون): مسألة الخلافة تذكر مع الصحابة، فأفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي –رضي الله عنهم–، أما الخلافة فالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، على الترتيب، فترتيبهم في الخلافة كترتيبهم في الفضل، وجرى خلاف يسير وضعيف أيضًا ولا يعتد به لكن من باب الإحاطة نذكره، وهذا الخلاف حصل بين بعض العلماء فمنهم من سوى بين علي وعثمان في الفضل، ومنهم من قدم عثمان وهذا هو الحق، ومنهم من قدم عليًا في الفضل، لكن ليس هناك أحدًا من أهل السنة قال بتقديم علي على عثمان في الخلافة، ولهذا كان أحمد بن حنبل يقول: من قدّم عليًا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. والقصة المشهورة وهي الاختيار من الستة الذين اختارهم عمر ليختار الناس منهم فيعرف أن الفضل والخلافة لعثمان بإجماع المهاجرين والأنصار –رضي الله عنهم أجمعين–، فالذي يتكلم في الخلافة ويقدح فيها هؤلاء هم الرافضة، يزعمون أن الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هو علي ويسمونه الوصي والإمام، ويجعلون اثنا عشر إمامًا رتبوها أولهم علي وآخرهم محمد بن الحسن العسكري الذي اختفى ولا يُعلم عنه شيء وينتظرون خروجه، فهؤلاء ضلال منحرفون، أما أهل السنة والجماعة فكما ذكر المصنف، أبو بكر لفضله وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة ولعدة أمور واعتبارات فهو أفضل الصحابة، ثم عمر ثم عثمان بالشورى ثم علي، فهو أفضل الصحابة بعد أبو بكر وعمر وعثمان، وهم الخلفاء الراشدون المهديون؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم وصفهم بهذا الوصف فقال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي).

قوله: (وَأَنَّ العَشَرَةَ الَّذينَ سَمَّاهُم رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم وَبشَّرَهُم بِالجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُم بِالجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُم رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وَقَوْلُهُ الحقُّ، وَهُمْ: أَبُوبَكْرٍ، وَعُمَرُ، وعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَة، والزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَسَعِيدٌ، وَعَبْدُالرَّحمنِ بن عَوْفٍ، وأبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِين): هؤلاء العشرة المبشرون بالجنة، وليس التبشير بالجنة خاص بهم بل ثبتت

البشارة بالجنة لأبي هريرة ولبلال بن رباح ولعبد الله بن مسعود وثابت بن قيس بن الشماس والمرأة التي كانت تقم المسجد وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم –رضي الله عنهم-، وهذه العشرة لأنهم جمعوا في حديث واحد: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة) الحديث.

قوله: (وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ المقدسينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ؛ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ): الذي يحسن القول في الصحابة ويثني عليهم ويترضى عنهم وكذلك يحسن القول في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم –رضي الله عنهن-، وكذلك في ذرية النبي صلى الله عليه وسلم وهم فاطمة –رضي الله عنها- والحسن والحسين –رضي الله عنهما-، فالذي يحسن الظن في هؤلاء ويحبهم ويتولاهم ويترضى عنهم هذا برئ من النفاق، وأما الذي يقدح في أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها- أو يقدح في أحد من الصحابة، أو يقدح في بعض أهل البيت في الحسن أو في الحسين ويبغضهم فهذا علامة النفاق.

قوله: (وعُلماءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بعْدَهُم مِنَ التَّابِعِينَ –أَهْلُ الخَيْرِ والأَثَرِ، وأَهْلُ الفِقْهِ والنَّظَرِ– لا يُذْكَرُونَ إِلاَّ بِالجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرُهُم بِسُوءٍ فَهُوَ عَلى غَيْرِ السَّبِيلِ): الذين جاءوا بعد الصحابة من العلماء وأئمة السنة وأئمة العلم فهؤلاء يذكرون بالجميل –رحمهم الله-، اللهم اغفر لهم وارحمهم، قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الحشر: ١٠]، ومعلوم أن العلماء ليسوا معصومين، لكن لا تجتمع الأمة على ضلالة، فإذا أخطأ العالم منهم فلا يؤخذ خطؤه ولا يُتعصب لقوله، لكن يؤخذ بما صح وبما عليه الجماعة، ومع ذلك يثنى عليهم ويترحم عليهم، ويذكرون بالجميل، ومن ذكرهم على سبيل التنقص والازدراء لهم والعيب لهم فهذا على غير السبيل؛ لأن الله قال: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الحشر: ١٠]، فقسم المصنف العلماء إلى قسمين: أهل الخبر والأثر، وأهل الفقه والنظر، فهناك من العلماء من هو من أهل الحديث والحفظ لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وهناك من العلماء من هو من أهل الفقه والاستنباط، وهناك من جمع بين الحسنيين وهم أكمل ويقال لهم: فقهاء أهل



الحديث، فجمعوا بين الفقه وبين الحديث، فكل هؤلاء العلماء يذكرون بالخير ويشكرون على ما قدموا من الجهود.

قوله: (وَلاَ نُفَضِّلُ أَحَداً مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، ونقولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الأَوْلِيَاءِ): هذا فيه الرد على الصوفية، فهم يجعلون الولي أفضل من النبي ودون الرسول، فعندهم الرسول أعلى ثم بعده الولي ثم بعده النبي، فجعلوا الولي أعظم من النبي، وهذه عقيدة باطلة ضالة خرافية صوفية، فمعتقد أهل السنة والجماعة أن الأنبياء أفضل من الأولياء، ونبي واحد أفضل من جميع الأولياء، قال صلى الله عليه وسلم في أبي بكر: (ما طلعت الشمس ولا غربت على رجل بعد النبيين أفضل من أبي بكر)، فدل على أن أبا بكر بعد النبيين فهو أفضل الأولياء، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كثرت دعوى الولاية، فيدعي أن هذا الشيخ لكثرة تبتله وانقطاعه وزهده ويغترون به ويجعلون هذا من الولاية، فلا بد أن يكون مستقيمًا على الشريعة ومتبعًا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان الصحابة يقولون كثيرًا: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة. فليست العبرة بالكثرة وإنما العبرة بالحسن {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [هود: ٧، وغيرها]، والحُسن مجمعه في صلاح العمل باتباع السنة وفي إخلاص العمل والسلامة من الشرك، والولي هو المؤمن التقي.

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِم، وَصَحَّ عَنِ الثِّقَاتِ مِنْ رِوَايَاتِهِم): أهل السنة يصدقون بكرامات الأولياء لكن هنا ضلالتان:

الضلالة الأولى: إنكار الكرامة، وهذا عند المعتزلة وغيرهم، وهذه طريقة فاسدة.

الضلالة الثانية: الغلو في الكرامات، فيصدقون بأشياء مخالفة للشريعة أو لا يمكن وقوعها؛ لأنها خاصة بالأنبياء أو بالرسل، أو أشياء أعظم وأعظم من خصائص الله، فمن خرافات الصوفية أنهم يقولون: إن الولي فلان ينظر في اللوح المحفوظ ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، وهذا موجود في كتب هؤلاء الخرافيين، وآخرون من خرافيين الصوفية يقول: أنا أكون عند النار أُخرج أتباعي ومريدي. وآخر يقول كذا ، إلى آخر هذه الضلالات، كان ابن تومرت يدعي الكرامات وهذا من الأمراء في المغرب وادعى المهدوية، فكان يفعل أشياء من الخرافات أمام الناس وهي كذب، فكان يوصي من يضع طعامًا في البر ويقول: اللهم ارزقنا طعامًا. ثم يقول: اذهبوا هناك لعلكم تجدون الطعام. فيجدونه ويقولون: هذا من كراماته. واستخدم هذا كثيرًا وادعى أنه يحيي

الموتى وكان يضع أُناس في القبور أحياء ثم يحفر ويقول: انظروا حي. حتى أنه لما خشي أن ينكشف أمره صار يدفنهم وهم أحياء فيقتلهم في بعض الأحوال حتى لا يفضحوا أمره، فالدجل والكذب يقع كثيرًا، بالإضافة إلى أن أغلب هؤلاء يستعملون السحر والشعوذة ويستعينون بالشياطين، وذكر ابن تيمية في كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أشياء وقصص واقعية في زمنه، حتى قال: إني أعرف من يوصي بعض الجن بالسرقة، وبكذا وكذا و يأتون بأشياء مسروقة، ويدعون أن هذه كرامات. وذكر أن منهم من يطير إلى مكة تحمله الجن والشياطين ويدخل مكة من غير إحرام، ويقول: وقفت بعرفة. وهو بغير إحرام ولم يمر بالميقات ويحرم منه حتى في الهواء، والله المستعان.

فالكرامات حق ودين نؤمن بها، وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ووقعت قبل، ووقعت في هذه الأمة وستقع، حتى الرجل الذي يقول للدجال أنت الدجال الذي أخبرنا عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيشقه نصفين ثم لا يُسلط عليه الثالثة، وهذه من الكرامات.

قوله: (وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خُرُوجِ الدَّجَّال، ونُزُولِ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ السَّماءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا): هذه بعض أشراط الساعة نؤمن بها، وأشرط الساعة الكبرى عشرة، ذكر المصنف أربع منها، وأشراط الساعة الصغرى كثيرة، منها ما وقع، ومنها ما لم يقع، أما الكبرى فلم تقع بعد، فخروج الدابة لا نعلم كيفيتها ولا صفتها ولا من أي موضع تخرج، وأشراط الساعة أي علامات الساعة، علامات على قربها، فالكبرى علامات على القرب الشديد.

قوله: (وَلاَ نُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلاَ عَرَّافًا، وَلاَ مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الكِتَابَ والسُّنَّةَ وإِجْمَاعَ الأُمَّةِ): الكاهن والعراف متقارب في المعنى، وقيل: الكاهن هو العراف، وقيل: العراف هو الكاهن، وقيل: بينهما فرق، فالكاهن هو الذي يخبر عن المستقبل عمومًا، والعراف هو الذي يخبر عن الأشياء الضائعة، الضوال والمسروق، ويسأل الشخص ويقول له: ما اسم أمك، أعطني يدك. أو يخط في الرمل، ويقال لهم الرمالين أو كذا، فهؤلاء يجب الكفر بهم والتكذيب بأخبارهم وأنه لو وقعت فإنها لا تعني أنهم يعلمون الغيب، وإنما هذا أحد أمرين: إما ما يتلقونه من الشياطين، والشياطين أخبر الله عنهم أنهم يسترقون السمع، ثم يكذبون مع ما سمعوا مائة كذبة،



وإما أن يكون هذا موافق، كأن يقول لك: سيأتيك ولد وذكر. ويأتيك الولد، فهذا وافق القدر، أو يقول نحو هذا الكلام، فلا تغتر بهم، قالت عائشة –رضي الله عنها-: سأل أناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليسوا بشيء) قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً الشيء يكون حقًّا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني، فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة)، فلا تغتروا بالكهان ولا العرافيين ولا كذلك المنجمين الذين ينظرون في النجوم، ولا بمن يكتب الحروف الأبجدية، حساب الجمّل ويجعلها دليل على وقوع الحوادث والحروب، والجمّل المقصود به أن الحرف له عدد عند العرب: أبجد هوز حطي كلمن، هذه حروف مرتبة عند العرب فيجعلون الألف واحد، والباء اثنين، والجيم ثلاثة إلى أن يصلوا عشرة، ثم تنتقل من عشرة إلى عشرين، ثلاثين، أربعين، إلى مائة، ومائتين، ومثاله: يأتي الكاهن يقول: الملك فهد. يجمع حروف الملك ويجمع فهد ثم يضعها في جدول ثم يحسبها ويقول هذه كذا وكذا، وهذا كله خرافات ودجل وأكل أموال الناس بالباطل، وهذا كثير في مجتمعاتنا، فالحذر الحذر، فيجب أن ننصح الناس والعامة وننبهم على أن هؤلاء دجالين، حتى لو منهم من له لحية ووضع العمامة فلا يصدق في هذه الأمور، فيجب أن ننشر العقيدة السلفية والتوحيد ونحافظ على هذا الشيء العظيم، فالذي يصدق الدجالين والكهنة هذا كفر بالقرآن العظيم.

قوله: (وَنَرَى الجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، والفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا): نرى الجماعة ونلزمها، ونرى أنها هي الحق، والجماعة جماعة البدن ولزوم السلطان والسمع والطاعة في غير معصية، وجماعة الدين ولزوم الحق ولزوم ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، والصبر عليه، والفرقة ضد ذلك، فالخروج على السلطان فرقة والخروج عن السنة وعن الدين فرقة وزيغ وعذاب.

قوله: (وَدِينُ اللهِ فِي الأرضِ وَالسَّماءِ وَاحِدٌ، وهُو دِينُ الإِسْلاَمِ، قال الله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران:١٩]، وقال تعالى: {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة:٣]): فدين الله واحد هو دين الإسلام، وليس هناك دين آخر غيره، لا في الأرض ولا في السماء، {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران:١٩]، وقال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥]، فمن زعم أنه على طريقة غير طريقة الإسلام، ودين غير دين الإسلام فهو من الكافرين، والأديان

الأخرى الآن باطلة واتباعها كفر وضلال، لكن في وقت بعثة الرسل حق ودين، فاتباع موسى عليه الصلاة والسلام حق ودين، وهو دين الإسلام العام بطاعة الرسول الذي أُرسل في ذلك الزمان، واتباع عيسى عليه الصلاة والسلام في ذلك الوقت دين وإيمان وهو الإسلام، لكن بعدما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم نُسخت تلك الشرائع، فمن اتبع غير دين الإسلام فهو من الكافرين، الآن أهل الأرض كلهم من الجن والإنس من مشرق الأرض إلى مغربها ومن شمالها إلى جنوبها، بحرها وبرها لم يدخل في دين الرسول صلى الله عليه وسلم فهو من أهل النار من الكفار؛ لأن الدين الذي رضيه الله وشرعه واحد وهو دين الإسلام، يقول صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم لا يؤمن بما جئت به إلا كان من أهل النار)، وقوله: (من هذه الأمة) يعني أمة الدعوة أي الذين بلغتهم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: (وَهُو بَيْنَ الغُلُوِّ والتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ والتَّعْطِيلِ، وَبَيْنَ الجَبْرِ وَالقَدَرِ، وَبَيْنَ الأَمْنِ وَالإِيَاسِ):

أي أن الإسلام دين وسط، قال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: ١٤٣]، والوسط معناه العدل الخيار، أي ليس فيه ظلمًا ولا حيفًا إلى طرف من الأطراف بل هو عدل، وخيار أي كل ما فيه خير، بل خير الخير، بين الغلو والتقصير، فالغلو مثل غلو النصارى، والتقصير والجفاء مثل جفاء اليهود، فالإسلام وسط، وبين التشبيه والتعطيل، المعطلة كفرعون وأتباعه ومن كان على شاكلته يجحدون ويكذبون وينكرون، والتشبيه مثل الممثلة والمشبهة كالمشركين الذين شبهوا الأصنام وشبهوا الأولياء الذين يعبدونهم شبهوهم بالله، فالإسلام وسط فيه تنزيه لله سبحانه وتعالى وتعظيم له وإثبات لكماله ولأسمائه وصفاته، وبين الجبر والقدر، والجبر أي أن العبد مجبور ولا اختيار له، والقدر يعني نفي تقدير الله وأن العباد هو الذي يفعل كل شيء بدون قضاء الله وقدره، والإسلام وسط فالعبد له اختياره وله مشيئته وقدرته والرب سبحانه وتعالى مشيئته هي النافذة وقدرته شاملة وهو الذي خلق كل شيء، وقد تقدم هذا، وبين الأمن والإياس وتقدم معنا أن المؤمن يكون بين الخوف والرجاء يجمع بينهما، فلا ييأس من روح الله، ولا يأمن من مكر الله.

قوله: (فَهَذَا دينُنا واعْتِقَادُنا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. وَنَحْنُ بُرَآءٌ إلى الله مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وبَيَّنَّاهُ): أي بينه واجتهد –رحمه الله– في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة وإن كان مسألة أو مسألتين نُبه على



الخطأ فيها فالأصل أن ما ذكره في الجملة هو عقيدة أهل السنة والجماعة، والإنسان غير معصوم من الخطأ، لكن تقدم أن مسألة الإرجاء ومسألة الإيمان وما حصل للمؤلف من نقص فيها، فالمقصود أن المصنف اجتهد في بيان العقيدة الصحيحة للناس.

قوله: (وَنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الإيمانِ، ويَخْتِمَ لَنَا بِهِ، وَيَعْصِمَنَا مِنَ الأَهْوَاءِ المُخْتَلِفَةِ، والآرَاءِ المُتَفَرِّقَةِ، وَالمَذَاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلَ المشبَّهَةِ، والمعْتَزِلَةِ، والجَهْمِيَةِ، والجَبْرِيَّةِ، والقَدَرِيَّة وَغَيْرِهم، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والجَمَاعَةِ، وَحَالَفُوا الضَّلالَةَ, ونَحْنُ مِنْهُم بَرَاءٌ، وَهُمْ عِنْدَنَا ضُلاَّلٌ وأَرْدِيَاءُ. وَبِاللهِ العِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ): الواجب على المؤمن أن يعرف الحق ويلزمه، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن الأمة ستفترق على بضع وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: (من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)، إذن هذا هو النجاة أن تتعلم كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتحفظ سنته وتضبطها، أما الفرق الضالة فقد ذكر أمثلة لها فقال: مثل المشبهة. يعني الممثلة الذين يمثلون الله بخلقه، ومثل المعتزلة وأصل بدعتهم القول بنفي القدر، فقالوا: إن الأمر أُنف. ودخلت عليهم بدع أخرى مثل الخروج على ولي الأمر، فعندهم خمسة أصول ضالة: التوحيد ويقصدون به نفي الصفات، والعدل ويقصدون به نفي القدر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقصدون به الخروج على السلطان الجائر، والمنزلة بين المنزلتين ويقصدون بها أن الرجل إذا ارتكب معصية لا يقال إنه مسلم ولا يقال: إنه كافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد ويقصدون به أن صاحب المعصية مخلد في النار، وكلها اعتقادات فاسدة، وسموا بالمعتزلة لأن واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري، والجهمية نفاة الصفات وتقدم ذكرها، والجبرية يقولون: بالجبر وأن العبد مجبور على أفعاله. والقدرية على العكس من الجبرية يقولون بنفي القدر، قال: وغيرهم. كالرافضة والخوارج والمرجئة وهكذا، من الذين خالفوا السنة والجماعة وحالفوا الضلالة ونحن منهم براء وهم عندنا ضلال وأردياء، وبالله العصمة والتوفيق.

نسأل الله جل وعلا في ختام هذه الدروس أن يغفر للطحاوي ويرحمه، ويجزيه خيرًا على ما نصح، ونسأل الله جل وعلا أن يجعل هذا العلم نافعًا خالصًا لوجهه، نافعًا لعباده، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المفرغ: إلى هنا انتهى شرح العقيدة الطحاوية للشيخ فهد بن سليمان الفهيد.